

أوجان فایسات
Eugène Vayssettes

تاریخ قسنطنیة

خِلالَ الْفَتْرَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ

1517 - 1837



مترجم: هارون حمادوف

مترجم: أحمد نيكايوي



أوجان فايسات
Eugène Vayssettes

تَارِيخُ قَسْنُكِينَةِ

خِلَالِ الْفَتْرَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ

1837 - 1517

مراجعة وتقديم
هَارُونُ حَمَّادُ

ترجمة وتقديم
أَحْمَدُ نَيْسَاوِي



كنوز يوغرطا
للنشر والتوزيع



كنوز يوغرطا

للتنشر والتوزيع

«قيمة الغزء ما يُخسئنه»

عنوان الكتاب: تاريخ قسطنة خلال الفترة العثمانية (1517-1837)

المؤلف: أوجان فاييسات (Eugène Vayssieres)

الناشر: دار كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع - هارون حمادو

الطبعة الأولى

الحجم: 16x24

عدد الصفحات: 337

© منشورات كنوز يوغرطا، 2019

ISBN 978-9931-9557-02

الإيداع القانوني: أكتوبر، 2019

صورة الغلاف: لوحة زيتية بعنوان «استقبال سفير في قصر قسطنة»، حوالي سنة 1880
للنحاتن الأمريكي فريدريك آرثر بريندمان (1847-1928)
Reception of an Ambassador (Palace of Constantine), Algeria
Frederick Arthur Bridgman (1847-1928)

العنوان على الغلاف: بقلم الخطاط التونسي حميد الجمعي
الصفحة 284: إعادة رسم من إنجاز الفنان حمزة سلامي

حقوق الطبع محفوظة
دار كنوز يوغرطا للنشر والتوزيع

من الماسح: رقم 24 - طريق عين الماء - قسطنطينة - الجزائر

الطبعة: 14 02 98
e-mail: koutoubia@outlook.com

تنويه

«تاريخ قسنطينة تحت السيطرة التركية 1517-1837» هي الترجمة الحرفية لعنوان هذا الكتاب في نسخته الأصلية باللغة الفرنسية:

Histoire de Constantine sous la domination turque 1517 - 1837

للمؤلف «أوجان فايسات» (Eugène Vayssettes) (1826-1899) الذي يُعدُّ أحد أبرز الباحثين المهتمين بالتاريخ الجزائري في عصره.

يُعتبر هذا الكتاب من بين أهم المصادر الأساسية التي وثّقت لفترة هامة من تاريخ الجزائر امتدت على ما يزيد عن ثلاثة قرون؛ وهي الفترة العثمانية.

وبإمعان النظر في العنوان الأصلي للكتاب، نجده يوحى بنظرة ضيقة لتلك الفترة؛ حيث تم حصرها في «سيطرة» (domination) من طرف عنصر إنشي مُعيَّن هو العنصر «التركي»؛ وهو ما يختزل تلك المرحلة الطويلة والهامة من تاريخ الجزائر بما تحمل من إيجابيات وسلبيات، وتفاعلات اجتماعية وسياسية وثقافية في مجرد «سيطرة تركية». ويعود السبب في ذلك إلى التوظيف السياسي لهذا العمل التاريخي بما يخدم المصالح الاستعمارية الفرنسية، وذلك من أجل إيجاد مبررات للاحتلال الذي طالما اعتبروه حلاً لآل محل الوجود التركي الذي سبقهم.

ولكن دراستنا الدقيقة لهذا العمل الضخم، من خلال ترجمته وتعريبه، جعلتنا ندرك هذه المغالطة التاريخية؛ فارتأينا أن نضع لهذه الترجمة عنواناً يتسم بالموضوعية، ويتناسب مع حقيقة تلك الفترة التاريخية الفارقة؛ وهو:

تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية

1517-1837

ترجمة الكتاب

بحكم اختصاصه في تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية، وفي خضم قراءاته الكثيرة في هذا المجال، أولى الأستاذ أحمد سيساوي - رحمه الله - لهذا الكتاب عناية خاصة، فشرع في ترجمته وتعريبه خلال عام 1984، فأنجز منه جزءاً غير يسير قبل أن ينقطع، ثم يستأنفه سنة 2007؛ حيث كلفني بإتمام ترجمة الجزء المتبقي مع مراجعته وتنقيحه.

في مسار إنجاز هذا العمل؛ اعترضتنا صعوبات جمة، ولعل أبرزها كانت إعادة نقل كافة الرسائل والعقود والوثائق الأخرى التي تضمنها الكتاب إلى اللغة العربية انطلاقاً من الترجمة الفرنسية التي قام بها مؤلف الكتاب؛ وذلك مع حرصنا الشديد على الاقتراب قدر الإمكان من نصوصها الأصلية التي يستحيل وجودها بسبب ضياعها إلى الأبد.

كما أننا سجلنا افتقاد صاحب الكتاب إلى حلقة من سلسلة تتابع البايات ضمت أربعة بايات متتابعين؛ وهم علي التوالي علي بن حمودة، وحسين شاوش، وعبد الرحمن بن فرحات، وحسين المدعو دنفزلي باي. لم يذكر فايسات سوى أسمائهم وتواريخ تعيينهم؛ فرجعنا إلى دراسة قام بها الأستاذ مولود فايد، ونقلنا عنه المعلومات الشحيحة التي أوردتها عنهم.

قراءة نقدية للكتاب

يرى الأستاذ أحمد سبأوي أنه رغم عيوب المدرسة العسكرية التي ينتمي إليها المؤلف؛ إلا أنها شكلت أرضية لجميع المؤرخين لدراسة البايك، وذلك لافتقارنا للمصادر الأصلية.

وعلى العموم فإننا نجد أن عمل «أوجان فايستات» (Eugène Vayssettes) (1826-1899) يتميز بالدقة والموضوعية العلميتين، ولكنه لا يكاد يخلو من بعض الأحكام التي تعكس مواقف الشخصية؛ الإيجابية أحياناً، والسلبية في أحيان أخرى؛ والتي طغى عليها الفكر الاستعماري الذي طبع المدرسة السانيمونية¹.

ولدى قيامنا بعملية مسح كامل لهذه الدراسة نجد أن الكاتب أبدى في عديد المرات إشارات إلى حقائق لا يمكن إنكارها؛ كوصفه للحالة الثقافية في قسنطينة قائلاً: «لقد كانت قسنطينة في القرن السادس عشر مركزاً للتثوير، مثلما كانت بجاية تحت حكم بني حماد، وتلمسان تحت حكم المرينيين؛ حيث كانت الدراسات الإسلامية تعتبر شرفاً كبيراً، إلى جانب الآداب والشعر»، واعترافه أيضاً بفضل الشرق على الغرب في قوله: «بدون شك، بينما كانت هذه الحركة العلمية والأدبية والفنية تشع من بغداد إلى قرطبة ومن القاهرة إلى فاس كانت أوروبا كلها غارقة في الظلمات؛ فحملت هذه الحركة مشعل الحضارة في الشرق والغرب، وحضرت لدينا مرحلة النهضة». وفي السياق نفسه، نجده لا ينكر مكانة

1. المدرسة السانيمونية (Saint-Simonisme): هي مدرسة فكرية ذات توجه اقتصادي واجتماعي وديني، أسسها الفيلسوف والاقتصادي والعسكري الفرنسي «سان سيمون» (Saint-Simon) (1760-1825). وهي تركز على فكرة إنشاء «تشاركية بين الناس» في إطار مساواة تامة للمعد من «استغلال الإنسان للإنسان»، وذلك «بتحسين ظروف حياة الفئات المريضة والفقيرة» بالاعتماد على التعليم كوسيلة لإزالة جميع الفوارق بين الناس، ونشر الحضارة في المجتمعات المتخلفة. ولقد تم توظيف هذه المدرسة في المشاريع الاستعمارية الفرنسية.

الجزائر بين الدول خلال عصرها الذهبي؛ فيقول: «... لم تفتأ الجزائر، بالنسبة للأوروبيين، تكون الجزائر المحاربة؛ الجزائر المنيعة التي لا تقهر، كما كانت تنصف بكل كبرياء».

ومن شدة إعجابه بالحس الحضاري لدى صالح باي وبالنهضة التي قام بها، أورد جملة من الملاحظات للثناء على إنجازاته؛ حيث يقول: «... آخر ما تبقى من عصر آخر لا يمكن أن يختفي تماماً إلا بفعل مطرقة الحضارة الحديثة لتحل محل يد الزمن البطيئة جداً في عملية التهديم»، وفي موضع آخر: «... كان بمثابة الشرف العظيم لروح المبادرة والتنظيم لدى الباي صالح»، وختاماً لتلك الفترة اللامعة من حكم صالح باي عقب قائلاً: «في نفس الوقت الذي كان يحاول فيه نشر ذوق البناءات الجميلة بين الأهالي، وإيقاد شعلة الدراسات في أنفسهم، لم يكن صالح باي يهمل بناتاً التشجيعات التي يوليها للزراعة وخدمة الحقول».

ولدى وصفه وفاء سكان قسنطينة، لم يستطع إخفاء شعوره المتأرجح بين الإحباط والعجرفة بسبب فشل قوات بلاده الغازية أمام صمودهم؛ فقال: «إنها حقيقة تُحسب لصالح هؤلاء السكان الأوفياء لوطنهم؛ والتي فشلنا نحن أمامها في مرة أولى، في حين أن النصر كان يتبع رايتنا أينما حللنا. ولا يتخلف القسنطينيون عن التذكير بهذا الماضي النليد، بشيء من الفخر، كلما أثير الحديث عن حروب الأزمان الغابرة».

وأمام الإنجازات التي قام بها الحاج أحمد باي، آخر بايات بايلك الشرق، لم يُخف الكاتب إعجابه وانبهاره بها؛ حيث يقول: «خلال سنوات السلم والفراغ القصيرة هذه؛ استطاع أن يشيد بجانب داره، وبمصاريف كبيرة، أنظار أوروبي؛ حيث ينتشر الرخام بوفرة، وتذكر بساتين البرتقال والليمون فيه بالحدائق الساحرة لبغداد مدينة الألف أعجوبة وأعجوبة»، ولكنه سرعان ما يردف بما ينم عن أفكار شخصية لا تجد مبرراً لها سوى خدمة مشروع الغزو بعيداً عن الروح العلمية التي تُميز كاتباً مثله؛ فيقول معقياً: «فهناك، وبانتشائه بعقب الحرم، كان ينسى في أحضان مئة جارية، عبء شؤون الحكم الثقيل، وكان

يستسلم، دون قيد، إلى هيجان أهوائه الشهوانية. ورغم هذا؛ فإن ملذات الحب المهيجة لم تكن أبداً تُضعف هذه النفس الفولاذية. فقد كان يقترب من النساء بمزاج عنيف؛ غير أنه لم يكن يحبهن ولا يحترمن، ولم تكن حياتهن تعني له شيئاً، وكان قلبه لا يحس أبداً بتوسلات ودموع عشيقه ناحية قد جعله مزاجه أو نزوته يعذبها أو يقتلها». وفي الموضع نفسه؛ لا يخفي النوايا الاستعمارية التي كانت تخفيها فرنسا، فيقول: «لكن الأحداث الجسيمة التي كانت تتحضر وراء البحار، سرعان ما كانت ستأتي لتغير مسار أفكاره، وتصرفه لفترة عن إصلاحاته الداخلية، وتنتزعه من ملذات الهرم».

وعلى صعيد آخر، لم يتوان فايسات في كتابه هذا عن تمجيد الحضارة الغربية الذي هو من صميم أهداف الحركة السانسيمونية التي ينتمي إليها؛ حيث يثني على أحد أعيان مدينة فلسطين قائلًا: «وهو... واحد من العرب الذين استوعبوا جيداً أفكارنا الحضارية، وعرفوا كيف يضعوها حيز التطبيق». ونلاحظ جيداً أنه لم يكتفِ بتمجيد تلك الحضارة، بل نراه ينظر لها حين يقول: «ولا يعتبر الخطر كبيراً إذا عرفنا كيف نستبدل ذلك بمعارفنا الحديثة؛ لأن تجديد الشعب، ليس تعديداً هذا الجيل ولكن الأجيال القادمة، لا يكون إلا بهذا. ولكن إعادة تشكيل ماضٍ عندهم طالما رفضناه لصالحنا سيكون منافياً للحضارة، وهو الدور الذي ليس على فرنسا لعبه في هذا البلد الذي صار بالنسبة لكثير منا وطناً ثانياً». وفي سياق ذلك التمجيد، يبدي افتخاره الذي لا ينبغي أن يرد في عمل علمي كهذا؛ كقوله: «أما بالنسبة لنا، نحن الذين ندرك بشكلي آخر قوانين الشرف والولاء، نعيب هذه العجرفة الحقة التي أبدتها الباي بوجنك».

وفي المقابل، يورد الكاتب، في مواضع عديدة، إشارات تهدف إلى إزدراء الحضارة المحلية السائدة آنذاك في الجزائر؛ فيقول في معرض دراسته لقبيلة الزمالة: «وعلا شأنهم بالقيمة التي ترتبط برجل الحرب على حساب الجري أو العامل في بلادٍ حيث الحضارة لم تعترف بتفوق القوى العلمية على القوى الهمجية»، قبل أن يستطرد واصفاً أفرادها: «الشراسة التي كانوا يظهرونها في قتل ونهب القبائل البائسة المستهدفة دليل على تغلب حس الضراوة لدى العربي

على حساب الشعور بالأخوة الوطنية». وفي السياق ذاته يقول: «إنه من الغريب أن نرى امرأة فارسة تقود وتسود قوماً يعترفون الجنس الأنثوي». ويبالغ الكاتب في ذلك الأزدراء حتى يقول واصفاً مدينة الجزائر: «مدينة القراصنة ومرسى كافة الضمائر المجرمة أو المضطربة». ومن خلال انتقاده لصالح باي، يظهر بغضه للجزائريين بصفة عامة؛ حيث يقول: «إن صالح باي، بمزايده الكبيرة، كان بعيداً على أن يكون منزهاً عن العيوب الملازمة لمزاجه الخاص ولجنسه»، حتى يقول جازماً: «فلدى الشعوب البربرية، كما نعلم، لا تقاس عظمة الأمير بمدى المحبة التي يمكن أن يخلقها بل بمدى الرعب الذي يوحى به اسمه».

وعلى العموم فإن عمل فايسات لم يتخل من الإشارات التي تترجم نزعة العدوانية التي تندرج ضمن التأسيس والتنظير للمشاريع الاستعمارية. ويظهر ذلك جلياً في اعتراف صريح؛ كشف الكاتب من خلاله عن النية التي كانت تُبنيها فرنسا للاستيلاء على الجزائر منذرعةً بحادثة المروحة، ومحاولاً إعطاء صبغة إنسانية ودينية للغزو العاشم، ومعتزلاً، في الوقت ذاته، بقوة الجزائر وكبرياتها؛ فيقول: «وبعد نصف قرن، ارتفع ذلك النداء نفسه ليجمعهم مرة أخرى حول مدينة الجزائر ليصدوا المسيحي اللعين أيضاً. غير أن الغازي هذه المرة كان فرنسا الفهانة التي جاءت لطلب تصحيح شتيمية شخصية، والانتقام، في الوقت نفسه، للإنسانية قاطبةً على ثلاثة قرون من القمع والعار. لقد كانت مهمتها مقدسة، وفي طيات رايته حملت الحضارة الجديدة. وإلى أن انتصرت، لم تفتأ الجزائر، بالنسبة للأوروبيين، تكون الجزائر المحاربة؛ الجزائر المنيعه التي لا تقهر. كما كانت تتصف بكل كبرياء».

ونجد الكاتب يحرص على تبرير الاحتلال بطريقة تفتقد للحس العلمي الذي يفترض أن يتحلى به؛ فيقول: «إنه الداي نفسه الذي أدت إهائته لقنصلنا «دوفال» (Doval) إلى سقوط الجزائر تحت غزونا. ولكن إذا كانت مثل هذه الإهانة يمكن أن تجد لها عذراً لدى قانون الناس؛ فإنه يجب التذكير بأن حسين داي لم ينفك يكرر بأن الإهانة التي وجهها إلى القنصل لم تكن إلا بنية إهانة فرنسا». ويزيد على هذا بإيجاد ذريعة أخرى، ليس فقط لتبرير غزو بلاده

للجزائر، بل لإضفاء الشرعية أيضاً لذلك العلوان الغاشم؛ فيقول: «شرف آخر. إذًا، لفرنسا التي خلّصت أخيراً أوروبا من تلك الأعباء». وتأكيداً لهذا، يقول في موضع آخر: «إن بأخذ فرنسا على عاتقها قضية الإنسانية المغتصبة والمُهانة في ما لا ينبغي المساس به؛ وهو حقوق الأمم، قد قررت معاقبة الجزائر آخر معاقل القرصنة الحديثة. فالإهانة التي وجهها الداوي لممثلنا دوقال كانت بمثابة الشرارة التي وضعت النار في البارود. فقد تبع ذلك إعلان للحرب، وبعد ثلاث سنوات تراءى الماريشال بورمون على سواحل مدينة الجزائر على رأس الأسطول الفرنسي. وفي 14 يونيو 1830، تم إنزال الجيوش في سيدي فرج».

ولا يخفي فإبسات انتشاءه بسقوط الجزائر في يد السطحات الغازية التي كان هو لسان حالها حين يقول: «أمنيات جميلة كان الرد عليها بعد أقل من قرن برفرقة العلم الفرنسي على أسوار قصبة الجزائر»، وأيضاً في قوله: «ولكن رغم الجهود المتظافرة للأتراك والعرب الذين جاءوا من كل مناطق الإيالة؛ رُفِر العلم الفرنسي في يوم 5 يوليو من العام نفسه على قصبة الجزائر، ليشير لأوروبا المفاجئة بنهاية القرصنة البربرية، وللشعب المهزوم بقدم حضارة جديدة على هذه الأرض».

وبقصدٍ أو بغير قصد، تجد الكاتب يقصص عن أساليب بلاده الاستعمارية الرهيبة لدى أزدائه للسكان المحليين؛ حيث يقول: «فالشراسة التي كانوا يظهرونها في قتل ونهب القبائل اليانسة المستهدفة دليل على تغلب حس الضراوة لدى العربي على حساب الشعور بالأخوة الوطنية؛ وهو الأمر الذي لمسناه في أيامنا هذه، ومنذ عام 1830، كلما استعملنا قبيلة لمعاقبة قبيلة أخرى». وفي السياق ذاته، ومن أجل التنظير لفكرة الاستيطان، وفي معرض تحليل وشرح تطور قبيلة الزمّول، يأخذ على السلطة العثمانية استعمالها لتلك الفكرة دون التأسيس لها؛ فيقول: «إنها - نابعة من الفكرة الاستيطانية الوحيدة التي جرّبها الأتراك في هذه البلاد؛ هؤلاء الذين طالما استغلّوها ولكن لم يؤسسوا لها شيئاً». ثم يؤكد ذلك بطريقة أخرى جاءت في شكل اقتراحات أو توصيات للإدارة الاستعمارية؛ حيث يقول: «وهنا رأينا توغل فكرة الاستيطان في السياسة

التركية؛ تلك الفكرة التي أخذناها عنها رماً معجباً، ولكن لم يكن ممكناً أن نكون
أقرب خصوصاً في نتائجها إذا وجدت تطبيقاً أكثر أنساعاً». وكمباركة لمجاح عملية
الاستيطان والتوسع من أجل الهيمنة على البلاد، يقول «وفي 2 ديسمبر 1854،
فتحت ثغرت أبوابها لنا، ورفرف العلم الفرنسي على قصة عاصمة وادي ربيع»

هارون حادو
أكتوبر 2016

توطئة الكاتب

لقد قام عددٌ من المؤرخين القدماء والمعاصرين بالعرف، بما فيه لكثيره، بسيرة في عهد ماسيبا ويوغرطا وأباطره الرومان وقام آخرون، وتحديد "شربونو" بحريف الجمهور بعض الأطوار المحلقة التي عاشتها هذه المدينة خلال الفترة العربية.

وحسب بحر فقد وصمما في «كشوف الجمعية التاريخية للجزائر»¹ (Bulletin de la Société Historique d'Alger) تحت عنوان «تاريخ آخر ديات قسطة» (Histoire des derniers Beys de Constantine) بداية عمل، بحتم عيب قطعه لخراب دهره، قبل يكمله، وبكه لم يكن يعطي سوى ثلاثة أرباع قريب تقريباً وبعد استئناف هذا العمل كان يجدون أمل بأن يمكن من تمام هذا البحث الأوربي الذي استطاع أن يكمل على الأقل جزءاً منه فلاطلاع على عديد الوثائق، لأصلية الثمينة، وبعض المخطوطات الجديدة، وبعض الكتب والمقالات المنشورة منذ 1862 حول ماضي الجزائر سمح لنا، ليس فقط، بالتمكن من مراجعة ثمرة ما قد كسناه سابقاً حول لإدارة العامة للإقليم وحول آخر دياتها، ولكن بالرجوع، أيضاً، إلى الحفنة الأولى من تلك السلسلة التي تربط قسطة بالسيطرة التركية.

إن غاية العمل إذاً تبقى غير مشورة، وحتى تلك التي نشرت قبلاً في المجلة الإفريقية (Revue africaine) قد تعرضت بتدليل لدرجة أنها أصبحت تشكل دراسة جديدة. وعلى كل حال، فإننا لا نستطيع فصل أي جزء عن الآخر دون أن يحتمل الكل.

إن هذا الاعتبار المردوح يصر الاهتمام الذي أردت «الجمعية الأثرية لقسطنطينية» (Société archéologique de Constantine) تخصيصه لهذا العمل بإدراجه كاملاً في مجموعتها للوثائق والمذكرات (Recueil de Notices et Mémoires).

¹ انظر لأعداد 14، 15، 16، 20، 21، 24، 26، 33، 35 من «المجلة الإفريقية» (Revue africaine).



مقدمة الكاتب

يسمو أن تاريخ قسطنطينية تحت السيطرة تركية أخرى بالدراسة لأنه أقرب بيت، ولأنه لا يعرف عنه الكثير فعلاً، إن الأنثى الذين كانوا هم سائق البشرين؟ كانوا يحسون استعمال السيف أكثر من استعمال القلم، والعربي المصري تحب طبعهم العيف قد سبي تدمرات حات الدكاء لكي لا يفكر إلا في إيقاد محبته أو حياته من صراوة المصطهد إذا كانت ابداً سائس ولا تصاحات مستمرة خلال ثلاثة اقرب الطويلة هذه؛ فيما من صوت أو كذبة تجرأت على لظهور بالاحتجاج على كل هذا الاستداد والحكم المطلق لهذا كان الأب يروي لانه ما تلقاه عن جده؛ فصارت الأحقاد ورثية، وبقيت الأحداث السريجة من أسرار العائلات ومن ذلك العهد تنالت أجيال عديدة، وذهب الحيل الذي يمكن أن يروي تصرفات حكومية لم تعد موجودة، وما هي إلا سموت قليلة وتندرم كلها الصمت لأدي وسيصبح ما رأته وما عدته إلى الأبد. دام سارع إلى استطفاه

ولإيقاد هذه لذكريات من لسان لذي يأخذ كل يوم ورقة منها، بأدب مدسة 1857 تثبت كل المعومات لشعوية التي يمكن أحدها من أمراء، شيوخ لأهلي الدين كمو شهود عدي، وكثيراً ما عيشوا هذه الساسة الدموية الطويلة

نقد كتب محمد اسوري، وهو شخصية متعلقة نوعاً ما من قسطنطينية، في 1848 محظوظ بطلب من شيرتوبو، مدي ساهمت دراساته العنمة في التاريخ المحلي بالكثير من الوثائق الشعبية، فوَدَّما بالعبصر لأولى بعمل أصبح أكثر حداثة يوماً بعد يوم ريثما توصل إلى اكتشافات جديدة وهكذا توصلنا، شيئاً فشيئاً ودون أن نشعر، إلى القيام بكل لبحوث التي من شأنها إلقاء بصوء على هذا الماضي المجهول أو غير المنشور.

هذا راجع رسمياً المجموعة الصحفة التي نشرها الحكومة كل سنة بحسب عموال «خداون المؤسسات الفرنسية بالخرائط» (Tableaux des)

Établissements français en Algérie) التي احتوت الأجزاء الأولى منها على الإدارة السابقة لملاذ حيث زوّدتنا مقالات عديدة له «ساندر رانج» (Sander-Rang)، و«كاريت» (Carette)، و«فالس إيسترهاري» (Walsin Esterhazy)، و«أوربان» (Urban)، و«فارنيي» (Warnier) بمساهماتها القيمة، كما اطلعنا أيضاً على «العزات العسكرية في القبائل الكبرى» (Les époques militaires de la Grande Kabylie) له «برمروغر» (Berbrugger)، و«التشريعة» (Tachrifat) له «دوفولكس» (Devoulx)، و«بحث في تاريخ قطية» (Essai sur l'histoire de Constantine) لصالح العنزي، وعدد مقالات لشيربويو، واعتدنا مؤرخاً عن «الحروب التونسية» (Les annales tunisiennes) له «ألفونس روسو» (Alphonse Rousseau)، و«سبون الجزائر» (Le pègnon d'Alger) لبربروغر، وتاريخات أممية قديمة، ومخطوطات من مخطوطات مصطفى بن جلون، ومجموعة من الوثائق التي استندعيا لترجمتها، وأخير «العزوات» التي أفادتنا خصوصاً في إعادة تشكيل العزات الأولى من الاحتلال التركي، وتثبيت الترتيب الكرومبولوجي، شيء من البقية، هذا الجزء المهم من التاريخ الذي أهمله المؤرخون محليون ومن دون شك حل عملنا بعد عن لتمام، فهو يضم محتويات كثيرة من بعض الأحداث التي تبقى أساسها أو نتائجها مجهولة، لأنه لا ومع ذلك فإننا نعتقد بأنه، حتى عن هذه الحالة، يمكن أن يكون مفيداً للدراسين محاولون فيها بعد إعادة تركيب قطع ذلك الماضي الذي لا يحل لفصول الباحث إلا شيئاً فشيئاً بأجزاء طالما تمهص للمصدقة.

تنظيم الجهاز الحكومي العثماني

نعم الأحداث الآتية، رتابة وجوب التنظيم لها سذجة قصيرة عن تنظيم الجهاز الحكومي لعثمانيين في إيالة الخرائر، بالتركيز خصوصاً على ما يتعلق بإقليم قسطنطينية. فالمداء لمكون هذه السياسة الأوليعارشية؛ التي استطاع العثمانيون، من خلالها، بحصة من الخراج، لبقاء لأكثر من ثلاثة قرون سادة لبلادها؛ كان يعتمد على تركيز كافة السلطات العسكرية بين أيدي المحتلين، وعلى الإبعاد الصارم للأهالي عن كل مشاركة في السلطة العليا

إن أول محاولة لإقامة حكومة لبلاد من ابلاد دخلت حيز التطبيق منذ بداية الاحتلال من طرف حير الدين كانت حطيرة حذاء؛ مثلها سوف يراه في بداية عهد الباريح؛ لدرجة أن من جاءوا بعده لم يتجرؤوا على تقليده

فمؤسسة المحرر التي تبدو للدولة الأولى أنها تشكل استثناء هذا المداء لا تحلله أند؛ لأن انقادة العرب المكلفين بحرية من السلطة كانوا ذوي مسؤولية عن إدارتهم أمام القيادة العسكرية الأتراك. فقد كانوا وسطاء للسلطة وللبوا أصحابها الحقيقيين، وكان مؤسسو هذه الأوليعارشية؛ عروج أولاً ثم حير الدين من بعده؛ قد رأوا بأنه يجب احتياط من خارج البلاد من سحكموها

الباشا أو الداوي

كان على رأس السلطة باشا أو داوي مقره في مدينة الخرائر وكان نصب انتخابي، ويتم إعلان تعيينه رسمياً من طرف سفير لدى الباب العثماني؛ الذي يوافق عليه دائماً لقد كان إجراء بسيطاً احتراماً لمثل الخلافة الإسلامية ومن جهة أخرى، فإنه لم يكن يعترف سلطة السلطان، وكان يقيم علاقات سياسية مباشرة مع القوى الأجنبية ولم يستقر هذا النوع من الحكم بصورة نهائية إلا مع بداية القرن الثامن عشر واستطاع الباشاوات الأولئك، الذين حلقوا حير الدين، الإنهاء على الحكم سلبياً مع العهد بشميل

المسطرة إلى قنصمات ولكن منذ نهاية القرن السادس عشر فانفسهم على هذه المسطرة لاعداء قنصمات، وأصبحت أعضاء الديوان، ولم يمض إلا وقت قليل حتى ضعفت سلطتهم وأصبحت صورية واستطاع الدانات، القادة المستحضر هذه الميليشيا التي يمكن اعتبارها أكثر تمثيل حكومة لم تقم إلا على الشاطئ لقسمي لنقوة طيبة ثلاثة فروع، من انتصص كل شيء ولم يعد منصب الباشا ولا وظيفة عاطلة خطيرة وحب روائها مع الوقت وكان آخر باش بعثه الباب العالي هو إبراهيم باشا الذي لم يصل إلى آخر اثر، حيث أرعته المعاصرة على رسولي لقل، ومات هناك سنة 1711 (أنظر المجلة الإفريقية، ص 207، عام 1858). ومنذ ذلك الوقت أصف الداي لقب الدشا إلى منصبه

الباي

كان ترب لإيالة مفسماً، لا ثلاثة أقاليم أو دلكات

- قسنطينة في الشرق؛

- وهران في الغرب؛

- التيطري في الجنوب.

ويدير كل أمهات بي (أو حاكم)، يعينه الداي ويخضع لإرادته

ينفخ هؤلاء الموظفون بعثة هامة من نقوة سائدة ويستخدمونها بحرية، ويقودون مييشيب نظامية وغير نظامية حاصو بالإقليم، ويقومون بجمع الضرائب كل ثلاث سنوات، عليهم الذهاب بأنفسهم إلى مدينة الجزائر لحمل الدوش أو الصربية؛ الذي سوف يتعرض إليه لاحقاً تفصيل أكثر وبعد لقيام هذا الوحد يعودون إلى عواصمهم حيث يمارسون سلطة مطلقة نوعاً ما حتى اليوم؛ الذي تسحب فيه منهم الصادة بعنف، بسبب رغبة أو بركة من الباشا ويرمون بالنقوة في سجن مظلم، أو يُقتلون في أغلب الأحيان

ويعين بايات قسطية أحياناً من بين الأثرات انقاطين بالمدة، وأحياناً من بين ملين مخطون مددة الخرائز، أو من نقطة أخرى من الإباله وفي ما يلي الرسميات المستعملة لتنصيبهم.

عندما يكون الباي الحديد دوطاً في قسطية، يرسل الباش تعيينه مباشرة مع انقطاع أو ثوب الشرف إلى آغا البو، وإلى ديوان القصة، مع أمر تنحية الباي الحاكم، والشروع في نصب الباي الجديد وحسبما يتوجه الأعا والديون إلى دار الباي (دار الحاكم)، يدخلون إلى الأجمة دون الإعلان عن أنفسهم، فيحتجرون شخص الباي ويرجون به في السحر

بعد هذه الإعداد على الطريقة التركية، بأنون بالمتحجب الجديد الذي يأخذ مكانه على العرش، وتنصطب حوله جماعة العباء، وأعيان المدينة وأعضاء الديون عندئذ يقرأ الباش كتاب الوافق الوحيد، بصوت مرتفع وواضح، بحيث يسمع حتى من الخارج، أوراق الاعتماد التي تحمل تعيين الباي الجديد ثم يفسر الباي قطعان الشرف، فتفرع الطول، ونطلق المدافع فدائمها، ويخرج «الزجاج» (المادي الشعبي) ليعلن اسمه عبر الشوارع واساحات العامة وفي الوقت ذاته، تُبعث الرسائل الرسمية إلى بغداد وشيوخ الأقسام في مختلف الجهات لإعلان التعيين الذي حدث واستدعاء من ذلك اليوم يستلم الباي مهامه وبأحذر مدام الأمور

أما إذا احتار ناشأ الباي من صفوف ملبشيا عدية الخرائز، فإن الباي في هذه الحالة يأتي ومعه أوراق اعتماد والقطعان غير أن الباشا، يكتب سري، يرسل أمراً مسبقاً إلى آغا البو وديون القصة بتوقيف الباي الحاكم وسجنه أو قتله، فسعد الأمر فوراً ثم ما إن يتم الإعلان عن قدوم الباي الجديد، حتى يخرج العباء والأعيان والديون بمدته وتحته، ثم يفسر انقطاع وبعد فراء قرار اعتماده، يدخل المدينة وسط فرح بطول، وأصوات المدافع مسوقة بالزجاج معللاً للسكان اسم سده الجديد

تكوين المخزن

يحيط بالساي كبار موظفي الحكومة أو المحزون، وهم على التوالي بصلاحياتهم الرئيسية:

1. الخليفة. يشرف على شؤون الأوطان (مناطق السهل)، ويعتد بقوده على كامل الإقليم، ويأتمر القياد بأوامره، ويتصرف في كل الميليشيات النظامية لجمع الضرائب وإبقاء السكان طائعين. وعليه الذهاب مرتين في السنة إلى مدينة الحرائر، في فصل الربيع والخريف، لتسليم الدبوش عندما لا يذهب الساي نفسه وتقع تحت إدارته المباشرة تسع قبائل غندة بمشي فارس أما في مدينة الحرائر، فإن هذه المهام هي من اختصاص الأغا.

2. فريد الدار مكلف بالإدارة وشرطة المدينة، ويرؤد الميليشيات بمؤمها الشهرية، ويجهز القوات عندما تقوم بالحملات، ويدير انقسام الأكر من أملاك البايك الربيعية، والعقارات المصادرة في المدينة. ويتأمر عملية تحرير الحبوب الواردة من العشور، وتجميع النس والريت والشحوم والحطب، ومستحقات أخرى بدولة لدى العارمين وتحت رعايته، كان يتم تموين رجال المساجد وموظفي المدينة الآخرين وأحياناً فقد كان قاصباً، دون الساي، في كافة الحس والجرائم داخل المدينة؛ فيحكم بالصرع بالعصا أو التعريم دون تمبير، أما الخرائم التي تسوجب عقوبة الإعدام فكانت تعرض على الساي

1 بالرغم من أننا لا نتحدث هنا إلا عن نظم بابلت فقط، فإن هذا التنظيم ينطبق إلى حد ما على الإقليمين الآخرين.

• ونطبق هذه الكلمة حسب اللهجة الحرائرية بسكون «الخاء»، وعاء ما تنطق هذه الكلمة على النحو التالي «الخليفة»، وهذا دليل على تأثير اللهجة الحرائرية على المصطلحات الإدارية التركية وربما يكون هذه المصطلحات قد أثرت في المجتمع الحرائري لدرجة أن هناك أسماء أعلام حرائريين «خليفة»، كذلك «باش آغا»، وهذا يدل على قوة الحكم التركي والمركز الربيع للحكم الأتراك، مما جعل بعض الحرائريين يسمون أسماءهم بهذه الوظائف بعد روال الحكم العثماني. (المترجم)

3. القائد (أمير الخوارة) سده كافة المصالح المالية، ويشرف على جميع نفقات، ويراقب فرض وجمع الضرائب بالإضافة إلى جميع الدخول.

4. آغا الدائرة و قائد الدوائر كان أحد قادة فرسان المحرر، وكان يقود القوم في حملاتهم، وكان مكنها بكل ما يخص هذه الفرق غير الطامة تقع تحت إدارته تسعة وثلاثون قبيلة، وله أعلام خاصة، وغالب ما يكثف حملات صغيرة ضد القبائل المداينة.

5. الباشا كاتب، أو الكاتب العام يمرر الرسائل الرسمية لأكثر أهمية لبسة الباشا، ويحتفظ بسجل المداخل لكل أنواعها: العدل، والحبول، والعدل، والأمن، والأعمال. أصبح لمحصله من كامل الإقليم، ويسجل غزواتها، ويراجع الرسائل الواردة من طرف الكتاب الآخرين، ونسخها بحم الأمير كما يحرر بعض رسائل تعيين الموظفين الآخرين، ويدير خارج المدينة إقطاعاً كبيراً جداً مؤلف من ثلاثة وعشرين قبيلة يساعده ثلاثة كتاب مكثف تحرير المحاضر الرسمية خاصة بالصفاء المعروضة على الباشا، والمرسلات العامة مع الشيوخ والقادة.

6. الباشا سيار، أو رئيس السعاة ينقل مراسلات الباشا إلى الباشا، ويسمى لها شخصياً، ويتلقى الردود لمكتبه عنها إن وجدت كما يصاحبه كمن ذهب لدفع الدخول.

7. الباشا سايس كان تحت مراقبه كل ما يعلن بالخارج، وصانه وتكائره خيول وبعال النابلث.

8. شواش الكرسي وعدده اثنان، من أصل تركي، ويقومون بوظيفة الجلال وعندما يخرج الباشا من أمامه وجوه الناس باسمه إسمها وسيطون عربيان تتحدث عن السلام والمحبة بين حاكم وزعماءه ويمكن هذه النقطة وحدها تغيير السياسة التركية.

وخمسة هؤلاء الموظفين الكبار الذين ذكرنا ألقابهم وأحسابهم هم: سم محاري (رجل حكومه)، فكان لهم حق الأقباط من الباشا ومصاحبه في كل خرجاته؛ وشكوبون محله الخاص، وكان حضورهم ضرورياً عندما يظهر في قصور الباشا.

وبمك أنص اعتبر بعض الموظفين جزءاً من المحررين وهم قد
يعو بي (فقد حركته)، فأنه انه منه (فقد الرمز)، والباش حمه، وهي
وصفه محرومة عن رباط موسى من طرف الباش الأخر، الخراج أحمد، على
مصب لصاحبه المقرب من عيسى¹

في تحت هرو، به عدد من الباش من قبله، الأداة الباش للأقسام
موظفون حرو، من راحة دس لا يسمون إلى المجلس، ولا يقبل هم الباش
مباشرة ولا يصب وأمر اعطاهم أوامر شخصية وهم

1. الباش لصاحبه بدور الباش، ويقع تحت سلطته الباش و عدد الباش
يقومون بدور الماعدين،

2. الباش محبة الباش مكلف به، يد الباش الباش الباش الباش،
بخدمه، والباش الباش الباش الباش الباش الباش الباش

3. الباش علامه الباش الباش الباش الباش الباش الباش الباش
مباشرة بعد الباش عندما يخرج في المحلة.

4. الباش الباش، فريد الطول ويجرحون مع حمه والباشه والباشه

5. الباش الباش فريد الباش الباش الباش الباش الباش الباش
الباش الباش، ويقود الباش الباش الباش الباش الباش الباش
بقضاه من سبع قبائل.

6. الباش الباش مكلف بحراسه الباش الباش الباش الباش الباش
وكذلك تهبه الباش الباش الباش الباش الباش الباش الباش

7. الباش الباش مكلف بتوفير الباش الباش الباش الباش الباش
القيام بعروة الباش

¹ حمه في الباش هو خط من الباش يعود شكله إلى الباش محمد طابا، الذي من قبله
الحكم في الباش الباش الباش الباش الباش الباش الباش الباش
بشر: Roussier, Annales tunisiennes, p. 67

إدارة قسنطينة

عمل من إدارة مختصة شأن شأن الإدارة العامة في قسنطينة
مختصة به، كان تحت امرته أمراء الأحياء حرفة، والمعلمة أو
اليهود، وعدد كبير من المواطنين المحليين.

كان يوجد في قسنطينة حوالي عشرين اتحاداً، هو اتحاد أساتذة
من مكنت حرفة بعض وحل أسرارهم التي بشأنهم، ولا يخفى لأحد
في هذه المسألة لا يرحل حصص من لأمن ومن بين الأمراء حرفة الأمن
وأمن الفضة، الذين كانوا أكثرهم أهمية.

فقد كانت مأمور نائب محلي رسوم الحرف وجميع الأعمال
والتصنيع في تدخل مدينته، كان تحت مومته حرفة أو كسبه وعشيرة
يتبع مع كسبه في ذلك يقع في طرف السوق الكبير ناحية باب الدار
التي ترسبي، وذلك باب حديده وباب المنصورة ثم وسيل من طرف الحرفة
وكان يساحر هذا مكان يقع مسوي قدره 10000 ريال في حوالي 18000
فرانك (شيرنوبو، حربية 1896-1897، ص 19).

فيلد السوق مفتش الأسواق

فيلد الربيل يسهر على نظافة الشوارع والأسواق

فيلد المقصود في مدينته خرابير تدعى لمرارة، مكنت شرفة المدينته، وخصوصاً
شاء أسل، وتشيد لأحكام ضد المحرمين، كما كان يرافق العباد
وتقوم مع حيفة النيل وحارس نيل بدوريات بمساعدة رمرة من لفتحيه
(جمع محلي) أو رجال الشرطة وهو أول من كان تدخل في الصباح على
الباب ليقدّم له تقريراً عن أحداث الليلة.

لبراج اصداي العام بعض في الأسواق أوامر لسي وفيلد الدار، ويرافق
المنحكرم عليهم إلى التعديت، ويشتي مع شواش الذي عدم يوح هذا
الأحياء

مداخل الولاية

تتكون لمصادر المالية للإقليم من:

1. الضرائب.
2. أملاك الديك.
3. حقوق لتولية، والعمارات، والمصادرات وصرائب أخرى غير منتظمة

الضرائب

كانت على عدة أنواع كما يأتي:

- الخكور ضريبة مالية قدرها 25 فرنك على كل جادة، أو قطعة أرض يمر بها ثوران مربوطان إلى عربة في الفصل الواحد، تتراوح مساحتها بين 10 و 15 هكتار، أو أكثر حسب طبيعة الأرض.
- عشور وتؤخذ على محصول القمح ولشعير.
- الشبكية: ضريبة التبن.
- العرامة ضريبة مائة تُفرض على القائل لتعبدة عن عاصمة الإقليم وليرة العمة النقدية تؤخذ في الغالب عيباً مثل الخيول، والاعدم، والحيان، إلخ

أملاك البايك

تضم الأملاك المحلية وأملاك البايك المباشرة. تتألف من عدة أنواع مختلفة من العقارات؛ وهي كما يلي:

رأب البايك مروح أو أراضي البايك، تُزرع من طرف القبائل المجاورة المطبوعة لهذه العدة، أو من طرف الخماسة (مزارعين الخمسة) الذين يحصلون على خمس المحصول كأجر عن عملهم

¹ خابطة، حسب ملاحظة أحد مدراء من الحملة الإفريقية، تتوافق مع الرومية في ديمس خرابر وضعت هذه الملاحظة فوق حدود الرومية، بعد حيرة قرار من البلاط الملكي، بمرتب كما يلي في السهل 2 هكتار، وفي الساحل 7 هكتار، وفي الجبل 9 هكتارات

الدنوش

لدنوش أو دفع الصربية السادسة الإقليمية لدى حرائر الدولة في مدينة الحرائر بمصر، كما سبق ذكره، مرتين في السنة؛ في الربيع وفي الخريف يتألف الدنوش العادي؛ أي الذي يدفعه الخلفة، من أموال نقدية وباوايت عينية مختلفة كما يأتي.

مئة ألف ريال بسيطة¹، وخمسون حجراً² (أنش الحضان)، ومئة نعل مختارة، وثلاثمائة ثور، وثلاثة آلاف حروف، وعشرون قرصة سم، وعشرون ورصة مخور³، وعشرون ورصة فريك⁴، ومئة قصبة غير مختار، وخمسون قصبة من الريشون الجيد، وجلود أسود، وجلود فهود، وبرابيس الخريد، وجياك⁵ للعطاء، ومشتحات عمر ومرحان، ومشتحات مختلفة، وطرايش حمراء مصوغة في تونس.

ولكن من كل هذه الصربية لا يدخل إلى الحرية حتى يصعب؛ حيث تنص هدايا الباشا وكنار الموصفين القسم الأكبر

لباشا عشرة آلاف ريال بسيطة، ومئة محبوب من الذهب⁶، وخمسون حجراً، وعشرة نعل، وخمسون ثوراً، ومئة حروف، وقرشان من سم، وورصة مخور، وورصة فريك، وخمسة وعشرون قصبة قر، وخمسة قصاف ريشون، وأربعة برابيس، وأربعة جياك، ومشتحات عمر، ومشتحات مرحان، وحريرة من مشتحات الورد واليسمين، وجلود أسود، وجلود فهود، وأربع درسات من الطرايش الحمراء لدخترناجي، ولباش آغا ووكيل حرج باب الحرية؛ لكل منهم ألف ريال

¹ يساوي الريال بسيطة 2.5 فرنك، أي ما يعادل 250000 فرنك

² ذهب رقيق جداً يصنع به أحسن الكسكي

³ تقطع السائل وهي لا تزال حمراء، وتخزق في الفرن ثم تكرر جيداً، والعرب يأكلونه شراهة كبيرة، ويحصر مل الرز وأصلها في اللعبة العربية «الفرنكة» (البرجم)

⁴ جمع مفردة جايك، وهي كلمة عامة تعني عطاء من الصوف

⁵ محبوب قطعة ذهب قيمتها 4.05 فرنك.

وفي هذا يدور اوده (وهم أشهر اهل) التي لا تفل لأصغر ائمة بقوه
فيها بعض احوال كتب السقطه وراشه ضمن عدة عائلات مافيه أو
معدله وفي هذه حده حقه عم نفسه بطلب شيخ

ولم يزل اهل انقاد أو انشراح الك في الإقصة مع عدد الحاصل التي

بديرو ٣

- شيخ الخاشية ١٢ فبه

شيخ العرب كل (ابن) كده ١١ فبه من اهل

في بحر كده من ربح اسم فهد العاصمي و من ربح لأهله خص

في بعضه حاشه في ربح و محول اسمه ١١ فبه من ربح و من ربح لها عرب

من الشاوية

- فهد الخاشية

و من ربح ١١ فبه من ربح ١١ فبه من ربح ١١ فبه

- فهد الأوراس ٤٢ فبه

- فهد عامر الشرفه ١١ فبه

شيخ الديار أو شيخ أولاد يحيى من طالبه باحیه نسبه

- شيخ بلرمه ١١ فبه

كل هذه القادات نوحد باحیه الخروب

ويضم الساحل والخروب العربي

- فهد أولاد براهيم ١١ فبه

فهد مكينه ١١ فبه

فهد رداره عدة فهد فبه

- شيخ روعة ١١ فبه

- شيخ مريحويه ١١ فبه

- فايد عبد النور: 31 قبيلة.

- فايد التلاعمة.

- فايد عامر الغرابية: 5 قبائل.

- شيخ قصر الطير، ربعة.

- شيخ أولاد مقران يدير مجاعة. 13 قبيلة

- فايد أولاد دراج في الحصنة.

عموماً فإن قائمة رعاء الإقليم، الذين ذكرنا أهمهم يمكن أن تتلخص كما يلي

- 11 موظف يحمل لقب شيخ.

- 22 موظف يحمل لقب فايد.

- 4 قياد يحكمون مدن نسة، وميلة، ورمورة وميلة

في المجموع 35 موظفاً باستثناء القضاة التسعة مباشرة بالبيت

هكذا كان تنظيم عاصمة وبإيالك فسطحة ولكن هذا التنظيم اعتمد على استئثار القائد وشراء الوظائف، غير التام واعتقد للتأثير المباشر وللمرافقة، كان أضعف من أن يدعم سياسة الأتراك الدموية والسيطرة، ويهيئهم في بلاد جلب إليهم طغيانهم فيها الكثير من الكراهة لو لم يكن هذا التنظيم وسيلة قوية وسبباً وحيها، مما القوة الشعبية وحق السيف العبد وهذه القوة العسكرية هي التي بقي أن نتعرف عليها.

القوة العمومية

تألفت هذه القوة الشعبية عاينان معبريان عن معصيتها وهما صول
ممارسة السلطة المركزية بخصيص البلاد خركتها السلطة من جهة، من جهة
أخرى نهر عن حدودها البر والمحافظة عن القدم
وتوسيعها بقوة نفوذها من أجل صول عمل السلطة المركزية كانت

1. الميليشيا

2. الرهول.

3. دائرة المحزن

وخصيص نهر الأخرى القوة الشعبية للديارات العديدة تحت مختلف
السلطات، ويرتبط بسلطة الدولة والديارات المحلية

1 الميليشيا

في كل ولاية محلية، على وجه الخصوص، كانت السلطة المحلية من الأثر
السلطة المحلية كانت على وجه الخصوص، على وجه الخصوص، كانت السلطة المحلية من الأثر
السلطة المحلية كانت على وجه الخصوص، على وجه الخصوص، كانت السلطة المحلية من الأثر
السلطة المحلية كانت على وجه الخصوص، على وجه الخصوص، كانت السلطة المحلية من الأثر
السلطة المحلية كانت على وجه الخصوص، على وجه الخصوص، كانت السلطة المحلية من الأثر
السلطة المحلية كانت على وجه الخصوص، على وجه الخصوص، كانت السلطة المحلية من الأثر
السلطة المحلية كانت على وجه الخصوص، على وجه الخصوص، كانت السلطة المحلية من الأثر
السلطة المحلية كانت على وجه الخصوص، على وجه الخصوص، كانت السلطة المحلية من الأثر

ويمكن عند هذه الأوقات، في أوقات معينة، سحب السلطة المحلية كحدود،
ومعدات لول نفس الدولة، والديارات المحلية، مثل الأثر
نقسم عمل الميليشيا في السنة إلى خمسة لول، أو الحامية، والخدمة في
المحلة أو قوة المحلة.

تألف كل لولة من عدة سفراء أو رؤساء من 19 إلى 20 رجلاً
وهذا، حسب «الشريعة» لـ «دوقولكس»، ما كان عليه عدد ومواقع اللوات

* التركيب الإداري لتركيا لأسرة وتركيلا لاوروس
** عليه تاريخه صارت يسمى حاكم برمي (المرحم)

يتألف فيلق الزوارة من الحدود المتطوعين أساساً من الفصائل القبائلية
التي تحمل هذا الاسم وفيها بعد صار يُقفل، دون تغيير، كل من يريد الانصواء
تحت راية الميليشيا.

وكان عدد حيام حامية الشرق ستون خيمة، مقسمة كما يلي.

فيلق النسي، 20 خيمة

فيلق الخبيفة، 20 خيمة

فيلق بحية، 20 خيمة

من بين الألف ومئمة (1500) تركي الذين يصلون مسوياً في
فصل الربيع بجحوس، لإقليم، ويجموا الصربية، يعود منهم ألف ومئتان
وخمسون (1250) رحلاً إلى مدينة الخرائر في فصل الخريف، ويقصي
منهم مئتان وخمسون (250) فصل الشتاء في قسطنية؛ إما معسكرين في
القصبة، أو يحمين على أبواب المدينة على صفاق وادي الرمان، وهو ما
يُطلق عليه اسم محلة الشتاء. معادر هؤلاء المئتان والخمسون رجلاً مع
شيخ العرب في فصل الخريف لجميع الإنارات في الصحراء، ويعودون
في فصل الربيع

2. الزمول

كان الرعوم أو رجال الرماله الذين يشكلون في إقليم قسطنطية
أقدم وأقوى حيالة في المخزن، يقصمون في سهل ميلة الحميل، على
طريق قسطنطية إلى ننة. لقد كانوا يشكلون قبيلة حربية يحمل قناصها
العسكري والإداري لقب قائد الرماله. وبأمر من لاي كانوا يحملون
السلاح، ويركزون جيوشهم ويدعمونه، سواء بمعاونة الممردين أو لتسهيل
تنفيذ الأحكام الإدارية. وبكل خمسين جندي تقريباً كان يُعَيَّن شوشاً لا
يمارس سوى سلطة عسكرية بحتة. وفي عهد آخر ماي، لحاج أحمد، كان
عدددهم أكثر من 500 جندي يقودهم 10 أو 15 شوش حسب ما تتطلبه
الظروف.

3. الدائرات

بنصوي تحت هذه التسمية كل رجال الحرب من القبائل الأخرى غير قبيلة الرمول ومثل الرمول، كان يجب عليهم حمل السلاح كلما طلب الأمر ذلك، لكن اعتباراتهم كانت أقل اتساعاً، وعوض إعتناهم غداً من الصرائب كانوا يدفعون الخُصُص. كان قائدهم العسكري والإداري هو عماد الدائرة، لكن هذا الموظف كان يقيم في قسنطينة، وعليه يبقى الشيوخ هم الإداريون الصعيون لقبائل الدائرات. وتنصم هذه الخيالة حوالي ألف رجل، يقودها عشرون أو ثلاثون شاموشاً وهذه أهم مجموعات الدائرات والقاطات التي تحتلها:

- 1 في وادي بوملة، بين عين الخشة وحيلة. يحملون اسم دائرة لواء
- 2 في الشري، جنوب ميلة يسمى هؤلاء الفرسان دائرة السراوية.
- 3 في ودرمازي، على أرض تارلت لهم فرقة عنها
- 4 في قسنطينة نفسها، حيث يُجند حوالي خمسون فارساً

بالإضافة إلى كون هذه القبائل حربية أساساً فإن محاسن كل شبح كبير أو قبيد كان يوجد عدد معين من الفرسان يُعرفون بدائرة المراقبة (المرحبين) في القيادات الكبيرة، والرمال في القيادات العادية، لا يدفعون مثل رجال المحرن، إلا حُشي الحكور، ومعفون من العرامة التي تُعتبر دوماً صرية المنهزمين.

وفصلاً عن هذا فإن فرسان المحرن مهما فعلوا فإنهم لا يتلقون مباحاً أبداً، وعندما يوظفون في جباية الصرائب القندية والعراصات؛ كان هم لحق في عُشر المدافع المجموعه. هذا العُشر يدفعه لهم العارمون، وأما في العروات فكانت تُترك لهم لعائتهم، وبعد انتهاء حملتهم يعودون إلى بيوتهم ليتفرغوا لزراعة الأرض والاهتمام بمطعماتهم

أما بالنسبة للقبائل فيؤكد بأنهم كان بإمكانهم تحييد من 15 إلى 20 ألف جندي من المشاة، إلا أن أكبر تجمعاتهم لم تتجاوز أبداً عدة آلاف رجل.

وعموماً فإن فوات الأقسمة كانت يصل إلى 220000 حدي من المشاة، و240000 حدي من مجموع 400000 رجل، ولكن حتى لو امتدعت جميع هذه القوات فوق لم يصل إليها إلى أكثر من 10000 أو 15000 حدي، وبحولي نفس العدد من المشاة.

الفترة الأولى

من 1514 إلى 1647

بدايات احتلال قسنطينة من طرف الأتراك

في العصر الذي كان مهد فيها الإحوة بروس لإرساء السيطرة العثمانية في الجزائر وذلك بانسراع حمل من الخويع سنة 1514، كانت قطنة، ومن نهاية القرن الخامس عشر، قد صارت متعلقة نوعاً ما ولا تحصى إلا برعاء نجرهم هي أو تقلهم بكل حره، هد رعم أسها لم تول تنع اسمياً لأمر، «دولة» حفصية في تونس الدين حكموها لأكثر من ثلاثئة عدم

ولكن متى وكيف انتقلت المدينة تحت سلطة وإدارة المحتلين الحدد بهفئة هاشية؟ إله المسألة التي لا توجد الإجابة عنها في أي مكان ولا لتأريجات الإنسانية، ولا الأسطر جولة، ولا القصص متوارثة تعليل أصافت لنا شيئاً جديداً في هذا الموضوع وحتى كتاب «العروا» المرحود في كتابات الأب «الموسور دوبردي» (Vernon de Dardis) ولدي قام بشره «اسندر رابع» و«دييس» (Denis) سنة 1887 تحت عنوان «أسس إبانة الجزائر» (Fondation de la légende d'Alger) لم يصف شيئاً كذلك، فاسم قسنطينة م يذكر وبو مرة واحدة في هذا العمل

ولكن ليس محكناً أن نقل بأن مدينة بهذه الأهمية تبقى خارج الأحداث السياسية الكبرى التي كان هذا الجزء من إفريقيا مسرحاً لها، وبالتالي سأحدد معلومات مستفدة من كتاب العروا كدليل ليربح هذه العصر

منذ عام 1517، أي غداة احتلال مدينتيه الجزائر الذي كان حوالي شهر يوليو من عام 1516¹؛ نجد أن نابا عروج، وهو أكبر الإخوة بربروس، انقسم مع أخيه حبر الدين حكم البلاد المسيطر عليها

وردد في الصفحة 94 من الجزء الأول: «لقد استولى هذا الأخير على لقسم لعربي واستقر في «ندلس» (Tedis) أو دلس (Dellis) مصحوباً بالقوات التي كانت ضرورية لحرص احترام سلطته وإحصاع الولايات الثائرة التابعة هذه المقاطعة، وعيّن أربعة مساعدين في مختلف مراكز حكومته».

لم يجرنا الكاتب عن المراكز التي عيّن فيها هؤلاء المساعدون لأربعة، ولكن يُعتقد بأن قسطنطينة قد استقلت واحداً منهم ولعل ما يدعم هذا الرأي هو ذلك العقد التوثيقي المحرر في 1528 (بين 15 و 25 سبتمبر) من طرف قاضي المدينة الذي جاء فيه أنه في هذا التاريخ كان «الفحص الأبيض» أرحامه قسطنطينة مرعاً للأسود والحيوانات المفترسة، ومخاً للصياد وقطاع الطرق والمجرمين، وهذا بعد قلب القوة العثمانية».

هذا العقد الذي يعود الفصل في الإشارة إليه إلى «بريسي» (Bresin er)، انظر (Chrestomatie arabe, p 407 deuxième édition) يشير بطريقة إيجازية بأنه قبل عام 1528 فترة طويلة «حاو الأتراك، وكس دور جدوى، بسط سيطرتهم على قسطنطينة؛ التي سرعان ما طردو منها» ويضيف «وحسب كل الاحتمالات، يكون الطرد المشار إليه هنا حدث حوالي عام 1520».

باعتقادنا على هذه العرصة، نجد أن محاولة الأمر كلاً أولى لسطحهم على قسطنطينة لم تدم سوى فترة قصيرة تراوحت بين عامين أو ثلاثة أعوام على أقصى تقدير، إضافة إلى أنها كانت بطريقة غير مباشرة وعلى أية حال، فقد كانت قسطنطينة خلال هذه الفترة تنعم على الأقل اسمياً لمملكة تونس، ولم يكن هناك أي موضوع خلافٍ ليعكر صفو العلاقة التي كانت بين الإخوة

¹ انظر العمل العام الذي نشره بربروس تحت عنوان:

Pegnon d'Alger, ou les origines du gouvernement turc en Algérie

قصبة صاحب الفصل عليه بعد كان جواراً سم عن كبرياء ومهخرة ولكن إن صدقته الأحداث اللاحقة، قدم مولاي محمد تأسيس هينات جديد، وبما كان حبر الدين مشعلاً باسترجاع تلمسان؛ استطاع أن يستميل ابن القضي إلى حاسه، ونحصل منه على وعد بأن يقدم له يد المساعدة وقت الضرورة

بناءً على هذا الوعد استطاع سلطان بوس إدخال جيش كبير إلى إقليم مدينة الخرائر، بعد هزيمة في المواجهة الأولى ضد الأتراك، وتخصص في حاس فليسة طارده الأتراك قبل أن يُبدوا عن نكرة أيهم بحياة من طرف ابن القاضي؛ الذي أعلن الثورة ضد ذلك الجيش مستملاً كل العرب بوعدهم بحائره ودرها قطع من ذهب لكل من يأتيه برأس تركي، وعجأة وحده نفسه السيد المطلق لكامل إقليم اشرق. (Sander-Rang, p 162, vol 1^{re})

يُعتقد أن هذه الأحداث قد حوت في نهاية العام 1519، إذا اعتبرنا أنه في الفترة الرسمية منذ وفاة عروج في مايو 1518، كانت حملة «هو عودي مونكاد» (Hugo de Moncade) على مدينة الخرائر في أغسطس 1518، وسفاره حبر الدين سليم، سلطان القسطنطينية، تهته له على فتحه الجديد، واسترجاع تلمسان من مولاي عبد الله المخلوع

1 لا يعرف المصدر الذي عتمد عليه بربروني في كتابه تاريخ بلاد المغرب (p. 158, 1^{re} vol.) حتى يصبح هذه المصادر ربما قبل حملة «هو عودي مونكاد»، رغم أن كسي «العرويات» والزهراء السمرقندية برمجها رؤيتهم ذات العكس ربما يكون فعل ذلك اعتماداً على اعتماد هابسبورغ والأستور بحسب لا يعرف هذا الكاتب إلا عن طريق مولانا بعدد ما سي بعدها أن حروب معاصروها، ومصادروها الخاصة وبذلك التي تخبرها حالياً ملكة الولاية لقسطنطينية التي ظهر خضائه بشهادة لم يتمكن من معاينة تلك الوثائق بقدر ما كان الشأن بالنسبة لوثائق أخرى كانت مهمة جداً في دراستنا وفي معارفها من أجل توضيح الشكوك التاريخي التي كانت تظهر في كل مرة غير أنه في هذا الموضوع سنود ملاحظة استعناها من كتاب «دور وياتي» (de Rotat et حوز التاريخ حوزات) (p. 158, 1^{re} vol.) والتي تنقح معها تماماً هذا نصها

«يقترن ما يبدو أن هذه الأحداث المهمة (فول سادة مدسة الخرائر من طرف نائب الوالي) قد وقعت قبل حملة مونكاد، ولكنه خطأ جتاً لأن هذه حملة جندت بعد شهرين أو ثلاثة من وفاة عروج حبر الدين لم تجد مساعداً من الوقت لباش هذا الأمر مع نائب الوالي سمن حسان العلي، حل على هذا يجد هابسبورغ نفسه متفصلاً مع «سندود» وأبعد مع المخطوطة العربية «العرويات» ويبدو لنا هذا التصيد حاسماً

(de 1830) ورد فيها أنه بين سكان القل وسكان قسطنطينية لم تكن توجد أية علاقات أو تبادلات، وأن تجارة هذه المدينة مع الأوروبيين كانت عبر سكيكدة و سطورة؛ التي كانت مباءها الطبيعي وفي الواقع، لقد ورد في مقال «كوبو» (Chollo) قوله «لقد أنقروا على أنفسهم أحراراً» (ويقصد سكان مدينة القل)، وذلك بمقاومة قوات مدوك «تلسن» (Telensen) وأيضاً سيد قسطنطينية التي تفصل بينها وبين مدينة القل حائل عائية على مسافة مئة وعشرين ميل¹ وفي المقارن لمواي، وباختلاف عن سكيكدة؛ التي يسميها سكيكدة، يصيف «ولكن، ولأن بها مباءة جيداً، أسس فيها سيد قسطنطينية بعض البيوت والمحالل لصالح تاجر حوة الذين يتعاملون في هذه البلاد ومن دلت المكان وحتى مدينة قسطنطينية يرى طريقاً مرصوفاً بحجارة سوداء كما لم توجد حتى في إيطاليا».

هذا ما يؤكد «مارمول» متحدثاً عن سطورة التي يسميها «يسورا» (Lstore) «وهي يقع مباء قسطنطينية» vol 2 p 432 في تقرير الذي قدمه هيدوييقي إذاً بعيداً عن أن يكون مقعاً.

وبالرغم من هذا، فلا يمكن التحلي عن حسن بية المورج المتعلقه بمقارنة لتواريخ؛ ولذلك سنعتمد إلى التحقق ما يد كتاب تروبر هيدوييديم هذا لتقارب

متبعة لترتيب الأحداث لسابقة، لم تكن حملة قدرة حسن قل نهاية عام 1520 أو بداية عام 1521؛ وعنده فإن الوثيقة الأصلية التي نشرها بريسي، والتي عرصب سابقاً مقتطف منها، قد أثرت بشكل قاطع بأنه في شهر ستمبر 1528 كانت الحداثق والحمول ابو قعة في المحصن الأبيض خارج لمدينة قد صارت بعد قلب القوة العشائية مرتعاً للحجيرات المتوحشة ومحاً للصوصل مهمما تكن كثافة السانات التي ترحل بها الأرض الإفريقية، فلا يمكن بأي حال من الأحوال الاعتقاد بأن تتحول حداثق عتة إلى مرنج للأسود خلال ثمانية أو عشرة أعوام، وبالأخص على عنسات مدينة

¹ وردت في طبعه 830، (السخة الفرنسية) كلمه (Genevra) وهو خطأ مطبعي، ولا يرد في قراءتها (Génoit).

لا بد إذاً أن يكون القوه العثمانية قد رالت منذ فترة أطول من هذه حتى يتسنى للمكان التحول إلى ما أصبح عليه. بالإضافة إلى ذلك، فإنه يُحتمل أن يكون هذه السلطة قد استوتت على البلاد لمدة سنة أو ستين على الأقل لأن البعض يحدثنا عن قلب، وهي اللعطة التي تُعتر عن وجود سلطة مؤسسية بقوة وبمدة طويلة نسبياً. وإذا نسبنا تأسيس هذه السلطة إلى قارة حسن، ودست بربط التتو ربح، يكون قد وصعنا الصيغة في ناقص مع نفسها؛ لأنه، كما ذكرنا سابقاً، لم تكن حمته ضد القتل تعود إلا لنهاية العام 1520. وبين هذا سربح و1829 يكون الفترة قصيرة جداً لتبرير كثافة الأشجار والبيات لبي صحت عليها منطقة الحامة

هذا، ولم يصلنا أي حديث تاريخي بعد سنة 1520 يُعبر من وكيف تم قلب السلطة لعمه. ولكن بالرجوع إلى سنة 1517، تدرج أول محاولة لاحتلال فلسطين من طرف الأتراك، محمد نصير قلب بطمهم معروف الأراضي الحربية من طرف جيوش سلطان تونس في 1519. تبعاً لما سردناه سابقاً ولا شك أن فلسطين تكن أهميتها قد روتت الحملة القادمة من تونس بأقوى مقاتلها المصروعين، وأدى نجاح هذه الحملة إلى تأسيس حلف من مولاي محمد وسكان فلسطين؛ الذين ظنوا أنهم في قبض لسيطريه، وحتى لأتراك الذين استطاعوا فرض أنفسهم بمعصر احدهم أو انما جاء؛ فقد طردوا من اندية حتى قبل الانصرار بدي عتق بعد حيلة من الفاصي هم

وأي لآخر، يبقى شك عدا برددنا في الإفصاح عنه لأنه لا يعصي سوى لصحد البر بدي مدعه انترصيت حول المحاولة الأولى لاحتلال لأتراك فقطه برمه. بتبريد حديث عن وثقه لبي ترجمها بريسي يتركز هذا شك على كلمة واحدة؛ وهي كلمة ساسية في العهد اندي مارنا بعتره بعد الآن دأصيه لا خلاف فيها وببكي واصبح أن ترددا رجع لشك لذي أثرناه بكل تحفظ

د. لوئيمه الي ترجمها بريسي هي نسخة نُشِرة نصلية كانت مرجع يومها أي ثمانية ونهين سنة، وكانت بالية ومضموسة في مرحلة ان اناقل

نفسه قد اعترف أنه، نظراً لهذه الحالة، وحده نفسه مجبراً على ترك العديد من المقاطع فارغة وعده، فإن هذا الناقص أو الناسخ الذي عاصر الوجود العثماني، وبسبب عدم تمكنه من قراءة العبارة، أو ربما بسبب هفوة منه، قد كتب الدولة العثمانية بدل الدولة صفوية التي يُحتمل أنها كانت في الوثيقة الأصلية؟

سيكون من المجازفة والاعتباط بأن نعتمد على التخمين حول فرضية كهذه إذا لم يكن لدينا ما يبرر به عدا الإهمال المحتمل لذلك الناسخ فعبثاً إذاً أن نعصح عن الأسباب لأخرى التي دفعت إلى احتمال وجود خطأ في نسخة المخطوطة.

في خصم محاولة تحديد، بصفة دقيقة، بداية هذا الاحتلال العثماني الذي أدى القضاء عليه إلى تحريك الحامية؛ توصلنا إلى إقرار ذلك العام 1517، غير أن في هذه الفترة لم يكن تغد الإخوة بروس هم الممنوعون للسلطة العثمانية من المعلوم أنهم كانوا قراصنة أتر كأ مدعين من قراصنة آخرين، ولكن دور تكديف محدث من الدولة العثمانية أو تبعه يرتبطهم بالناب العدائي بقدر كبير مجرد قراصنة يعملون لحسابهم لخاص وبعد فترة، أي عداة بحملة لغاشلة له هو عودي مونكدا على مدينة خرائر (أواخر أغسطس 1508)، بدر حير الدين بإهداء عروه سلطان لقسطنطينية، الذي رد عليه بالقول: إذا فليس من المظفي أن نجد في عقيد عام عاره قلب للسلطة في فترة لم تكن أصلاً هذه السلطة معترفاً رسمياً دوح البلاد

بالإضافة إلى هذا، كيف يمكن تصور ضروره ملاحظة في 1528، من خلال عقيد موثق، حالة مكاب تعود لأقل من عشر سنوات والتي يمكن أن تكون معروفة لدى كل معاصري تلك الفترة؟ وأيضا لماذا تحديد أن بعض الشهود المستمع إليهم قد أدنوا شهادتهم بالتواتر، وبعض آخر بملاحظة مباشرة؟ حيث أن النص يقول «إن شهادة بدين بعدوا هذا، إما بالتواتر أو بالملاحظة المباشرة، تؤكد دفعة لأحداث المذكورة، وهو ما لاحظناه هنا» ألا يكون من المعقول أكثر أن يكون دليل ذلك التحريف أبعد من عشر سنوات

وأن يكون من بين الأشخاص الشهود من هم مُسَوِّدُ شهودا اردهار الحامة،
وأن يكون الشاب مهم قد عرفوا ذلك عن طريق السمع؟

يجب في هذه الحالة، إذاً، اسحث عن مسبب ذلك التحريف، ليس في قلب
السلطة العثمانية التي كانت قزح وحيرةً جداً، إذا كانت قد وُحِدَتْ خلال
تلك الفترة التي كانت مرتبطةً بالاضطرابات دون الاستقرار، بل في قلب
السلطة الخصية التي فقدت سيطرتها على قسطنطينة خلال فترة حكم الفاييد
نبيل في أواخر القرن الخامس عشر.

وفي واقع الأمر، فإن المؤرخين يتحدثون عن أن المدينة قد دخلت منذ
هذه لفترة في حالة دائمة من الفوضى غير معترفة بأي واحد من أحكام
المعوثين من ملاح نوس، ويصيحون بأن هذه حالة استمرت إلى عاية إدارة
الفايد علي بن فراح

نسي هذا الترتيب للأفكار يُعسِّرُ كل شيء. ولعقد الموثق يجد تعبير
وحدود، وكل عبارة فيه تجد قمتها، كما أن الطبيعة لم تُعَدْ مسافة مع نفسها،
وسطيع فهم سبب الشهادة المردوجة. ولكن إلى ماذا تؤول فكرة البطرة
الأول التي تعرضا إليها في الصفحات السابقة؟ تاريخياً، كل فكرة لا تعتمد
عن معطيات أكيدة وأصلية تصحح حقلاً مفروحاً للنقد، أو فرضية محل
حلاب يمكن للمعاش أن سرها، ولكن المؤرخ لا يستطيع أن يجي منها
سوى الاحتمالات ما دامت الحقيقة لم تُؤكَّد من طرف كاتب من تلك الفترة.
هذا السبب، ومن أجل الاقتراب قدر الإمكان لاكتشاف هذه الحقيقة،
بحث من حسا في كل مكاب ولكن دون حدود، حيث أننا لم نعتقد أن أنه
يمكن صحت ذلك الشك بدي نخط سيطرة تاريخية بطن أننا وحدنا نصيرها
«حقيقي»

لنمحص ما كتبه «البصيري» (Limbéry) في مؤلفه «تاريخ قسطنطينة»
بلسة لعربية، والذي قدم «فيراود» (Féraud) مقطعاً منه في «المجلة الإفريقية»
(السنة العاشرة، 1866، ص 190) «من بين العقود التي كُتِبَتْ وترجمها
وجدت عمداً يحمل تاريخ 985هـ محرراً من طرف القاضي الخمي لقسطنطينة»

سي محمد بن حمزة، كما يحمل ختم رمضان باي وعليه رقم السنة 935هـ.
يؤكد هذا العقد ما قاله ابن دينار عن مجيء الأتراك إلى قسطنطينية في 932هـ.
(1526-1525م) ١.

ومن هنا يصح ليميري إلى «أن أول باي تركي عُيِّن حاكماً لقسطنطينية هو، دون أدنى شك، رمضان باي في العام 935هـ» وإذا كتب الاستدلال 935هـ و985هـ صحيحين، نجد أن فترة حكم رمضان باي كانت على الأقل خمسين عاماً؛ وهو حدثٌ عرِيت في الخواريات الخرائزية عما يدّعون لشكيب في أصالة الوثيقة حتى ولو كانت تحت أعين كما قام ليميري نفسه بتكذيب بعض السطور اللاحقة عندما يصيب «وبعد عُرِّي جعفر باي في سنة 975هـ إداً، إذا كان جعفر قد حلف رمضان في 975هـ فإن عمداً خُزِر في عام 985هـ؛ يمكن أن يحمل ختم هذا الأخير مع رقم السنة 935هـ.

لن نبحث عن المزيد من التفاصيل؛ لأنها كثيرة في هذا حكم دار من المعلومات التي تقتضي إلى الدراسة والعمد، والتي أدت لها مساعي الكثير من التحفظات بشأنها. ومع ذلك يبقى بربر هايدو صعباً ومعمداً إذا سحبا دعم تلك الوثيقة التي يمكنها لوحدتها فقط، حدد لأن، أن يعيب صحة الحقيقة التاريخية ٢

وعلى كل حال؛ فإن احتلال قسطنطينية في الظروف التي تحدث عنها المؤرخ يظهر غير مفسول، ونحن نعتقد بذلك هذا أن المدسة التي صارت عبر

١ انظر حول هذا الموضوع ملاحظته لبربرو، أصبحت كتكملة للعمد، رُدي ١٩٥٥ بربرو
المجلة الإفريقية (Revue africaine)، ص 96.

٢ لقد أعد هذا التبرير ببعض التعبير من طرف إدوارد دافي (Pierre Davity) في عمله «وصف عام لإفريقيا» (Description générale de l'Afrique)، حسب هورن «سوى» (شريف) (Cheredin) أو «هايردين» (Haradin) في 1522 على مساهمة لفل (Karillo) ومدرسة لسيه، سي كانت تعيش في حربه؛ وذلك فوّض حكم مونت بوس (Mont Bous) (Estimé de 1666, p 205).

٣. يعلم من جهة أخرى بأن هايدو كثيراً ما تختلط عليه التواريخ؛ ونشير على ذلك هذا «ديغو دي فيرا» (Diego de Vera) على مدينة خرب رلي وقت في 1516 و «سي» يصعد في 1517، والاستلاء على الإمالة في 1529 الذي يصعد في 1530، وكذلك وقاه حسن أعا في 1545 التي يصعد في 1543 بالإضافة إلى كل الأخطاء التي حددتها بربرو وأخرى

مكتنزة بالصرع القائم بين أحمد بن القاضي وحر الدين؛ قد بقيت تحمص لزعيم تختاره بنفسها.

لن نتابع، إذ، كفاح البلاد ضد الأتراك الذي استمر حتى حوالي عام 1520؛ والذي أفضى تدريجياً إلى طرد خير الدين من مدينة الجزائر، بعد حياة صديقه قدره حسن له؛ حيث أرغم على التراجع إلى جيجل مهدجاً له لأول ولم يمكن خير الدين من استرجاع السلطة نهائياً إلا باستغلاله لخلافات وقعت بين أعدائه استعمل فيها كل ما أوتي من قوة لهمهم وإحصاءهم لقد كانت القبائل الكبرى مسرحاً لكل هذه الأحداث¹، ولا شيء، بحسن أن تكون قسطنطينة قد شاركت فيها وجميع علاقاتها السياسية كانت مع تونس، وبالتالي توخّب عليها أناس مصر هذه العاصمة التي كانت تهيمن عليها، في وقت كانت لا تربطها بمدينة الجزائر أية علاقة

كان زعيم المدينة، القائد علي بن فراح، كما يجبرنا العقد المذكور أعلاه؛ حيث جاء فيه: «لقد استمرت حدة التحريض هذه حتى حكم لقيد الشهير وحكيم والشيخ؛ أبو الحسن علي بن فراح»، وبعد بضعة سطور نجد: «لقد شجع الفايدي، بكل أصل، اليهود بالفحص برراعتهم بما يستجيب

1 على الرغم من أنه سج عن هذه برونه ناقص مع ما كتبه حول هذا الموضوع في المحنة لإفريقية (601) p. 57, 1854, *Revue africaine* بربروغر؛ ذلك العالم الذي شرف به طبر بر والذي نكّن به شخصاً آخر ما كبر، فرب لم يصدق لنا مشاطرة الراي هذه مرة؛ حيث أن البواربع مدرجة أعلاه وانصوب من طرفه بدون صحاحه لأمر الذي يؤكد أن في ذلك العهد نفسه نقطة انطلاقي شمس حيث ورد به «مد يصح سواب ثم يرسم بعض الخدامين الصخرية بالقرب من كس»؛ بعد ذلك الرسم قد تم صنع سواب قبل 1528؛ فيجب حيناً الصور بأن يرجع تلك سلطة العشانية الذي دي إلى هجران الخدمة يرجع إلى ما بعد 1520 م

2 انظر: *Epoques militaires de la Grande Kabylie* par Herbrugger p. 14 et suivantes

3. على الرغم من أننا أبدينا شكاً حول عبارة «السلطة العشانية» (puissance ottomane) التي وردت في نسخة هذا العقد؛ فرب لا نعتبر هذه الوثيقة صلبة تماماً بالنظر إلى الأحداث التي تقدمها؛ لنا فنجد ما يؤكد هذا في عقد مؤرخ في نهاية شهر ذي الحجة من عام 926هـ (1520م) يؤسس لحبوس من طرف يحيى بن محمد بن لعقوب، وكان من بين شهود هذا العقد عمود والعداوي وأبو الفصيل العربي؛ الذي عرفنا من خلال وثيقة يورعافية أنه واحد من أكبر فقهاء قسطنطينة في تلك الفترة. ونصف هذه الوثيقة أنه أصيب بالسهو وأرغم عن الحثوث في السج حتى وافته امه

لمنطق تلك الفترة (وقفه الله ما يرمى إليه ورأى أحداً ومهاجرة) وهو
ما ثبت أن الأصوات التي نسب في الموصي وتخريب الفحص المذكور
كانت قد توفقت.

وكن من كان على بن وراح هذا؟

حول هذا الموضوع نقرأ عند مارموني ما يلي .

« بعد ظلت قسطنطينة لفترة طويلة ترفض استقبال حكام حتى قرر أحد
الأمراء وهو مولاي محمد والد مولاي حسن إرسال ابنه مولاي ناصر الذي
قُبل خلال الحملة الأولى التي قادها ضد الأرواغ فأرسل أخيراً وهو عبد
الرحمن الذي عمل من طرف أحد أساعه وأخيراً أرسل ثانياً وهو مولاي
عبد المؤمن الذي أراد لشعب قفله بسبب إضرافاته، مما دفع به إلى سجنه
وقفه إلى تونس لابتدائه من أيديهم، وأرسل بدله أوروييا كان قد عيّن
لإسلام يدعى علي بن فراكس، وقد كان ذا حياء، وفيه لشعب بولا
حسناً

وبعد وفاته جلا حاكم مولاي حسن، استلمت مدينة الجزائر من
وصعواها حامية على عور جمع النقاط امنية في شبكة ولكمهم حكمو
الطرفة بطريقة جمعت سكانها بوجوه الثورة عديمات، وفي مواهب فعلا في
1568 فقبضوا حاكم وعاصم الحامية وتخربوا، وبعد ذلك قام حاكم آخر
عنوش علي آخر طاس بحصارها واحدهم بالقبول ثم هبط، وأرغم من قفله
شعير فعبه به على بعضتهم، وأن يدعوه به حمير، وحينئذ قطع دمه،
قبل أن يجردهم من سلاحهم وأصبحوا مسجونين أكثر من السابق

بعد سردنا المقطع بكمله وعلم أن هناك سعدا على عورده من وصف
إليها، وهذا لأن صعود إلى هذه الأحداث وهذا لم يكن على من وراح أو
في كس، حسب الحق الإنساني، على حد قول مارموني، لا فحش بل من
أصل حاكم المستطه من طرف مولاي محمد، صفت بوس، والذي كان

1 عليها من العرب الأندلسية (Al-Habib, vol II, p. 47) هذه السيرة أعدها مؤرخ
الجزيرة العربية في القرنين الأولين هـ - 1514 - 1647

تعيينه قبل سنة 1526؛ لأن السلطان توفي في 29 ربيع الثاني من سنة 932هـ الذي يوافق 11 فبراير 1526م.

(El Kairouani, traduction de MM Pellissier et Remusat, p.270)

تبدو وجهة النظر هذه، لأول وهلة، متناقضة مع ما سبق ذكره عن لوصية الباشا لقسطة التي أصبحت مسئلة عن الدولة الخصب في تونس مدة سبعمائة انقرون الخامس عشر ولكن في حقيقة الأمر لا يوجد فيها ما يدعو إلى التساؤل وخاصة أن مازمول يؤكد صحة تلك الأحداث بهذا الرجاء المشهور الذي كان متواحداً في نهاية نهاية العام 1514 خلال حملة عروج عليها، والذي اتجه إلى قسطة للذهاب إلى تونس، كما أخبرنا هو نفسه، بقول لنا بأن سلطان تونس قد أرسل إلى حكومة قسطة ثلاثة من أمراءه، فكان مصرهم، ما العمل أو الطرد، وبصف ثم أرسل لحكم قسطة، مسيحياً مرتد، أراد الملك إخبار مدي وقته، حيث كان معروفاً عنه بلومه بكثير من لأشبه الشهرة لقد أراد الملك أن يروح كفيلاً برسالة إلى هناك، حيث كان أهل المدينة راضين بحكمه وشرحه¹

(L'Annuaire de l'Afrique du Nord de 1830, t. 1, v. 264 et 2, v. 13)

ملاحظ، إذاً، أنه بإرسال ثلاثة أمراء على التوالي إلى قسطة، فإن الخصم من تارلو، بات عن السيطرة على هذه المدينة، مما من حبه، ومن جهة ثانية، فإن المستعبد لا يكون مترددون في المعركة عندما لا يرصون عن حكمهم، وهذا قد علم من فراح يرجع ذلك إلى حصوله الشخصية وليس لأنه يمثل سلطة تله لمزول

يمكننا إذاً أن نقول أن قسطة عاشت فترة هدوء تحت حكم علي بن فراح؛ فتمتع سكانها إلى حدمه أراضيهم واستطاعوا ربحاً حاداً من الخامة إلى حالتها الأولى. وقد استمرت هذه الوضعية حتى وفاة هذا الحاكم كما كانت، حسب مازمول، خلال حكم مولاي حسن الذي اعتلى عرش تونس مع مطلع سنة 1526¹ ولكنه يصف بأن قسطة استسلمت للأتراك الذين

¹ لقد قام علي بن فراح هذا بعقد محال في البلاد وأنشأ له قاعدة فيها؛ حيث نجد عتدين

ومحمدا مرمون أيضاً (v.2, p.436) بأن «شارل الخامس» (Jean Charles)، بعد طرده لخبر الدين من تونس (في شهر يوليو 1535)؛ استولى على عناية في طريق عودته إلى إصطيا وبركها حامية، «وكان أول حاكم لها» «أنصار عومار راعا» (Alvar Gomez Zagal) مع ألف رجن من المشاة وخمسة وعشرين حصاناً؛ حيث حاربو السلاو وأخذوا منها عدداً من القلعين والعبيد ولعائن التي هبوا من العرب والبربر، كما أحرروا عدة انتصارات على أتراك قسطنطينة الذين قاموا بدورهم بنهب عدد من الكنائس مع العرب إلى عناية أبواب عناية ولكن دون أية جدوى»

ثم يصيف (ص 487) «بعد إلقاء السمن من عناية وجمع عدد آخر» «تجه بربروس نحو «مينوركا» (Minorque) واستولى على مدينة «ماهون» (Mahon) وحررها دون أن تواجهه مقاومة تذكر، لأنه رعم طلب للإمبراطور من حاكم عناية بإرسال أربعين من جنوده إلى هذه الجزيرة؛ اعتذر هذا الأخير بعدما بلغه أن حاكم قسطنطينة حسن آغا قدّم بها حنته، وبألتي حنته إلى كن قوائه بدفاع عن مدينته»

ديس آخر يؤكد على أن قسطنطينة كانت حينئذ تحت سلطة الأتراك، وهو أن عدداً من الوثائق المسيحية لتلك الفترة تعرض أن خير الدين، بعد سقوط تونس في يد شارل الخامس، هرب إلى قسطنطينة مع أربعة آلاف تركي، ليمرور إلى عناية ومن ثم إلى مدينة آخر ثم فيرمون نفسه يقول (ص 485، ح 2) بأنه سلك طريق مدينة الخرثر بر مصطحاً حياً؛ وهو ما يتعارض مع ما جاء في كتاب المعرويات ويكرر، إذا ما أحداً بأن خير الدين قد سافر بحراً، وهو الأرجح، لم يكن لديه سوى اثني عشر أو ثلاثة عشر سفينة؛ مما جعله يرسل جزءاً كبيراً من الأتراك الذين كانوا من الموت المحقق في عناية عن طريق البر، وللوصول إلى مدينته لخرثر بر يجب المرور حتى بقسطنطينة إذا أحداً بأن حسن آغا، كما رأينا عند مرمون، كان في وقتها حاكماً

1 انظر من بين وثائق أخرى رسالته ل «كومت أميلار» (Comte d'Amilard) نُشرت في السيفية (La Goulette) بتاريخ 25 يوليو 1545، وردت في كتاب ماسر والي (Sardar Hagg. vnl.2, p.235)

لقسطنطينية؛ وإن تعيينه كان مرتبطاً بهذه الظروف وحسن أعاقد صاحب خبر الدين في حملته على تونس وكان أحسن فادته، وهناك احتمال كبير بأن يكون هو من كلمه خير الدين بقيادة الأتراك إلى مدينة الجزائر هروباً من مطاردة شارل الخامس وبرحومعه إلى قسطنطينية، استقر فيها بين نهاية عام 1535 وبداية 1536 للدفاع عن هذا الجزء من الإقليم الذي كانت تهدده الحامية الإسبانية الموجودة في عسنة، وحتى محاولة الخلول محلها مثلاً حياء راصص في المقطع السابق

وأخيراً، فإن نجد في مجموعة قديمة من الوثائق العربية نُحمت في منتصف القرن التاسع عشر من طرف أحد أفراد عائلة من الساسي لعاب، رسالة من الشيخ سيدي عمر ابوزان في قسطنطينية إلى حسن أعا الذي أصبح نائب للجزائر، يعنדרه فيها عن عدم قبول مهام القاصي التي أراد أن يوكلها إليه ويمكن أن نستطع منها تقطع لأتية أبي تعد سنة وصيب ديوب كانت عليه قسطنطينية في تلك الفترة

بعد أن قام ذلك الأستاذ بتواضع بعرض طويل لجميع الرخات التي يجب أن يصطلع بها قاص حدير هـ المصـب، صيف

هناك اعتاران بخولان دون قبول هذه المهام، وسيكونان في نظرهم كافيين، فالأول؛ وهو شخصي، ويتعلق بأن لديّ قعدة كاملة، والله على ما أقول شهيد، باني لا أصلح لهكذا منصب، والجاهل فقط من يتحلى عن فباعه ليتسنى إراء الآخرين. وأما الاعتبار الثاني فيرتبط بمرمان والمكان

فأما الممان، فقد أدخلنا عام تسعمئة وثمانية وأربعين (1541م) في الطلمات حيث أن كل المصائب، كما هو معروف، وقعت فوق رؤوسنا، واساق الجميع في حصنها دون أن يكبح جماح طموحاته، حتى أصبح العالم والجاهل متساوين في تلك الفترة، والاختلاف انوحيد بينهم كان في أن الأول يفوق على الثاني باستعمال معرفته المكتسبة في المكر والخديعة والتدليس للحصول على الثراء والمناصب وهو مبرر صده، ورغم هـ فكان قليل من عباد الله من اتبعوا شمة بيته، ولكن

* نص الرسالة ليس أصباً، فهو مرجم من النسخة العربية المبدئية من الأصل

أين هم؟ ومن يعرفهم؟ ولأن الأحداث التي وقعت في العقد الخامس من القرن العاشر الهجري لم تكن كافية لردع هؤلاء الذين حاولوا حشر أنفسهم في الوظائف العامة بإدريّة أو القضاية، ففي أي زمان سيكون ذلك؟

وأما المكان؛ وهو المدينة التي تسمى قسطنطينية، والتي طالما أطلق عليها قديمٌ وحديثاً اسم بلاد الهوى أو بلاد الهواء، ففي معنى الهواء لا يمكن أن نجد أبعاداً أخرى، ولكن في تسميتها بلاد الهوى، بمعنى الشغف، بعدها تنمو وتكبر بتوالي الأيام وتبلي لدرجة أن كل شخص يمكن أن يلاحظ هذا. وأصبح هذا جزءاً من التراث العام. لذي لا يمكن لسكان قسطنطينية الاستغناء عنه.

وأما الحالة العامة فهي معروفة تقريباً، وتكفي الإشارة إليها فمن جهة أخرى، فالقاضي الذي يريد أن يحامل الرعية يعرض نفسه لحسن ثوب أدبها والآخره دون أن يسمح في إرضاء كل المصالح ما دامت المظالم التي تُقسّم سكان المدينة اليوم متصارعة وصعبة الإدماج رغم تقديم كل أنواع التارلات.

أما بالنسبة لي. فإن الله قد سخرني للتعليم وسأبقى هكذا ما حييت. ما دامت دروسي نافعة لسكان المدينة ومن يأتي من خارجها بغية متبعته. وخارج الدروس، سأفعل كل ما يوسعني لإرضاء كل من يقصدوني من أجل الاستشارة أو لأكون حكماً في خلافاتهم غير أن مهام القاضي هي رفيعة ومهمة وكثيرة ومليئة بالهموم لدرجة أنه لا يمكن لأصحابها أن يتحصوا العصب إلا البرر القيين من رجال القانون؛ لأنهم غالباً ما تستولي عليهم أهواؤهم بحكم أنهم بشر ثم إن أغلبهم، في هذا برهان، مثلي، ضعيفو التعم. بالإضافة إلى ذلك فهم يتجاهلون الخوف من الله وحب الخير.

حزني لله كل من عمل بسعي لقد شرحت له (أي لحسن آغا) أسباب رفضي، ولقد قبل اعتدري دون حرج فبصيح الله الحال العام، ولبعد عن شرور العام، ولخرجنا من قسطنطينية سالمين غامضين، امين ولكن من يرى رفضي تصرفاً خارجاً عن الطاعة، فالله سبحانه ﴿وَرَبِّكَ بِعِلْمٍ مَا تَكُنْ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة القصص، الآية 69) فإن الله موثلي، هو يعصمني من كيدهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذه الرسالة؛ التي عرّضها فيها بعض المقاطع، توّضع لنا جلياً بأن في عام 1541 لم تعد قسطنطينية حرة، وأصبحت تابعة للسلطة الجديدة التي تأسست في رأسها مولاي حسن، وأصبح تحت تدبيرة للسلطة الجديدة التي تأسست في مدينة الخرائز على يد آل بوروس، كما تمّحروا أيضاً عن الحالة العسية للمدينة؛ أعما الذي حلف حبر الدين. كما تمّحروا أيضاً عن الحالة العسية للمدينة؛ حيث استمرت المكائد والسياسات من أجل الاستئثار بالمناصب والامتيازات التي تروّحها كل حكومة جديدة، وبه من المهم أن نلاحظ في حضم هذه الطموحات التي لا حصر لها، عدم الاكتراث ابادر والحمد، في كل الأرماء وفي كل أرحاء البلاد، الذي أظهره هذا الأستاذ المؤمن والمتواضع والذي رفض الوظائف العليا لمصّب القاصي معامراً بأن يجلب إليه كراهية سيّده حسن آغا، ومفضلاً الاستمرار في مزاولة مهية متواضعة، وهي تدريس لثبات لقد وجد سلوك هذا الرجل جليلاً لدرجة أننا رأينا بأن سرّ شيء من سيرته لا يخرجنا كثيراً عن موضوعنا.

هذه سيرته التي قرأناها في مؤلف أحمد بابا التيموكتي الذي كان قد نشر منه شيرينو مقاطع عديدة في حوية الجمعية الأثرية لقسطنطينية (سنوات 1854-1855، ص 1 وما بعدها).

وُلد الشيخ أبو حفص سيدي عمر الوران في قسطنطينية يقول عنه المحور لقد كان عالماً وفقهياً لامعاً ذا فكر مستقيم، وعلم عريض وحارق فمّير في العلوم التنفيذية والميتافيزيق إلى جانب لورع والضيافة خلال الفترة التي اتسع فيها أستاذنا أبو زكرياء يحيى من عمر الزواوي دروس الفنوى والآداب عند الشيخ الوران، كان يتحدث عنه بحماس كبير، وكان يُجلّه أكثر من كل علماء عصره وقد كان الشيخ السطحي من تلاميذه لقد ترك مؤلفاً يدحض فيه كل أفكار أتناع المراط عرفة القيرواني، ويؤكد فيه تمكّنه من العلوم الصوفية كما أُلّف أيضاً بحثاً ممتازاً حول مواقع الكواكب والنجوم الثامنة تحت عنوان «البدعة المُرّجاة»، وسجل أيضاً أقواله حول الفنوى والجدلية وفي مدرسته تكوّن أبو الطيب السكري

وعند الكرم لفقون، ابن مدنته، وكثير من التلاميذ الآخرين
توفي الشيخ عام 960 للهجرة (1553م)، حسب أحمد نان، ولكن المترجم
التمبوكتي كان قليل الاطلاع في هذا الأمر. فحسب سجل الوفيات؛ فقد
توفي يوم الأربعاء 21 من شعبان 965هـ (8 يونيو 1558م) قبل شهر من وفاة
سيدي أبو الفص فسم لفقون، قاضي قسطنطينة، الذي يكون قد عُيِّن في هذا
المصب عوض الوزان الذي رفضه.

لقد كان والده، كما جاء في إحدى سيرة، قاضياً لحقوق باب قسطنطينة
وفي تلك الفترة كان الشيخ أبو عباس أحمد رروق معتاداً على زيارة لمدينة
كنيسة قادمًا من المغرب على رأس قافلة تجارية، فكان أبو الوران، بداعي
احترام عمه وصلاحه، لا يقص منه حقوق الدحول، كما كان يستصعبه في
داره.

ولدى وصوله إلى قسطنطينة في إحدى السنوات لم يجد أحمد رروق أما
لوران في مكانه المعتاد، وما سأل عنه علم أنه قد وُلِدَ له صبي وتُحْتَم عليه
المكوث في داره. فزار الشيخ لورانت، وحين انطلق بين در عيه طويلاً داعياً
به بكل خير.

كر الصبي وراول دراسته في جامع قسطنطينة الكبير؛ حيث عتد لقاء
بين مكتبته على باب الهر إلى أن صار أحد أكثر الشخصيات علماً وصلاًحاً
في زمانه.

أدى به الحزن على وفاة أمه إلى الانقطاع عن مراولة وظائمه المعصية،
ولكن تمكن من السلب عن نفسه، وسخر نفسه لخدم من جديد، واكتسب
معارف جديدة في الصوفية التي لم يكن يعرف عنها إلا لقليل قبل ذلك
دع الشيخ في مدرسة من أفوناس؛ التي كانت تقع على أخيه ليمس
بالمطريق المؤدية إلى باب الواد. وكان ضريحه مغالياً لضريح الشيخ أبو عبد
الله محمد بن أفوناس؛ الذي كان قد رَوَّحَ استه التي دُفنت هي أيضاً هناك.

1 لقد كانت هذه المدرسة موجودة في راونة من رجة الجبال بين أن تدمها لمصالح بولانيه
عام 1852 لتؤسس مكانها المدرسة البلدية. وبعد فترة استعمل النساء لأغراض أخرى، واليوم
يُستعمل كمسجد للأهالي.

بعد هذا الانتظار ترجع إلى صابغة الأحداث فحلل سنة 1541، كانت الحملة الشهيرة التي شها شارل الخامس على مدينة الجزائر، التي كان يترعها حسن آغا، وكما هو معروف فقد انتهت هذه الحملة بفشل مردوم في البر والبحر.

أما فيما يتعلق بمشاركة قسطنطة في هذه الأحداث؛ فقد كانت مشغولة بالثورة التي أحدثتها الحكومة التركية داخل أسوارها من أجل إرسال شباه من المعكرين إلى مدينة الجزائر لصد الحملة المسيحية، وهو ما حدث فعلاً وعلاوة على هذا، فإننا نعتقد أن حاكم قسطنطة قد شارك في الحملات التي شها حسن آغا، بعد فترة، ضد بكرة والراب؛ والتي انتهت بحصوع كامل البلاد تزامناً مع توسيع وتحرير السيطرة التركية في باقي إقليم الشرق في سياق هذه الفرصة يجب أن نذكر الحملة الخطيرة التي قادها صالح راس عام 1552 ضد تفرت وورقلة، والتي دعمه فيها بني عباس، وكذلك تحرير بجاية من الأسان سنة 1555 في عهد هذا الباشا نفسه، والكهاح الذي دم عامين بقيادة عبد العزيز، رعيم بني عباس، بين 1558 و1559 ضد حسن بن خير الدين؛ ذلك الكهاح الذي انتهى بمقتل نطل استقلال بقائل بعد أن كبّد الأتراك أكثر الهزائم دموية.

بحلول عام 1563، بدأ اسم قسطنطة يتردد للمرة الأولى مع المقاطعين الآخرين في الكهاح الذي خصه الأتراك، منذ تأسيس الإالة، ضد الأسبان الذين وجدوهم لدى وصولهم أسبداً للمراكز الساحلية الكبرى هم يكتفوا بانتزاع مدينة الجزائر، وبجاية، وتلمسان ومستعصم منهم، من أرادوا أيضاً طردهم من وهران ومرسى الكبير، وهو ما عزم حسن بن خير الدين الذي أعيد انتحايه باشا على الجزائر للمرة الثالثة، على فعله.

بعد مطلع ربيع ذلك العام، 1563، أطلق الباشا يداءً إلى رعاء كوكو وبني عباس وحاكم قسطنطة الذي لم يكن يحمل سوى لقب فايد وفي 15 أبريل، أطلق من مدينة الجزائر سالكا طريق مستعصم البني وحد فيها بخدي مقاطعة الشرق ومن هناك انجد إلى مرسى الكبير؛ حيث أرعم حامة شرح

«القديسين» (Tour des saints) على الاستسلام، ولم يتردد في مهاجمة حصن «القديس ميشال» (Saint Michel) الذي كان مركزاً للمطقة التي الهجوم الأول الذي استمر من الصباح إلى الليل؛ كان القناصل شراً للدرجة أن حمسة من أشجع الإنكشاريين لقوا مصرعهم، كما وجد حاكم قسطنطينية بين القتلى في الناتج من شهر مايو وصلت المدفعية التي كان يتطرها حسن وسرعان ما نصب عدداً من المدافع، وناشر في ذلك الحصن مدفعين كبيرين وبعض انقطع الصعيرة. وفي يوم الاثنين السابع من الشهر نفسه، شهد الباشا عمسة الاقتحام شخصياً لقد قاتل الأسان قتال الأسود؛ حيث قتل أكثر من ألف تركي وعربي، كما خرج حسن في وجهه من وراء صخرة حجرة ورغم شجاعتهم أبعد المحاصرون غير أن المحاصرين أدركوا أن الحصن لا يمكنه أن يصمد أمام هجوم جديد؛ فعادروه بحماية حرس من مئة جندي كان قد أرسلهم «دوم مارتن» (Dom Martin) فرطه الذي كان قائداً على مرسى الكبير، والتحقوا بالقوات التي كانت هناك.

سرعان ما استولى الأتراك على حصن ووجهوا كل جهودهم ضد المدينة. حيث بصروا مدفعيتهم من حديد، وحفروا الخنادق وأعطوا مهلة للحاكم للاستسلام لم يكن لهذا لتحديد أي أثر فلما رأى الناس أنه لا يوجد أي أمل للاتفاق جمع قذاته، وأصدر أمراً بصداء القل في اليوم التالي، وبالأعداد له، وفي الصباح حضر مدفعته كلها لدره كل حطير حتى أحدث ثغرة في المدينه في اصداء تقدم اثنا عشر ألف رجل من أهلي وعربي وبربري لإراحة فدائف المدفعية، ثم تبعهم الإنكشاريون والأتراك والمسيحيون المرشدون، ثم لحقهم الناس مع عائلة حيوش الحراس وحرسه الحصن، كلهم عاء النعرة من الحصن و«سرح احيائه» (sarcophagus) ومن جهة البحر المنحدر من أتراك وعرب صطبة، وعاء، وسر، ومستعالم مع الكثير من العرب نديس كانوا يحملون سلاطهم وعبر ذلك» (Marmol. I II, p 378) ولكن بعد أربع ساعات من هجوم الذي يُعتبر لأعنف، حيث هلك فيه أكثر

من جسمته بين تركي وعربي، هتت عاصفة هوجاء أرعمت المحاصرين على الانسحاب إلى حادقهم ثم نُقِدَ هجومٌ أخيرٌ في الخامس من يوسو دون أي نجاح؛ فقرر عندها حسن باشا أن يتحلى عن الحملة برُمها التي فشلت فيها جميع قواته، وبعدما علم بوصول تعزيزات قدمه من إسبانيا؛ رفع الحصار وعود إلى مدينة الجزائر

لقد أظهرت لنا هذه التفاصيل التي أخذناها عن الرواية الدقيقة لدرمول الدور الشط لأهالي قسطنطينية في هذا حصار النرس فقائدهم الذي لم يحتفظ المؤرخ المذكور باسمه والذي لم يحده في أي مصدر آخر؛ قضى في المحوم الأول، ولم يرجع عن رفقه إلى ديارهم سالم إلا الرر القليل لقد شكَّلت هذه الحملة جزءاً من ذاكرة قسطنطينية، عبر أن التاريخ المحلي لم يحتفظ بأي أثر عنها يمكن أن يضاف إلى رواية درمول؛ مما يحرص عليها الاكتفاء بالمقاطع التي سردناها

منذ عام 1544، طلت مظاهر التآمر تنود المجتمع القسطنطيني، وكانت بعيدة عن الروال، كما أن استداد الأتراك بدأ في الظهور عام 973 هـ (1567). 1568م) على حد قول أحد مؤرخي المدينة؛ مما أدى بـكان قسطنطينية إلى سبيل خلافتهم لفترة ونوحيد جهودهم ضد من يقمعونهم متحدين قراراً بالثورة وقبل أن يلجأوا إلى العنف، فضَّلوا أولاً طريق المصالحة بإبلاغ سيد مدينة الجزائر شكواوهم الكثيرة

لقد كلموا بهذه المهمة سيدي عبد الكريم لفقون مصحوباً بـمعتي عبد اللطيف المسَّح وبعض الشخصيات الأكثر تأثيراً في المدينة ولدى وصولهم إلى مدينة الجزائر، استقلوا في قصر الباشا محمد بن صالح الذي حلف حسن بن خير الدين قبل فترة قصيرة؛ فشرحوا له سبب قدومهم إليه ملعين إياه حالة السخط التي يعيشها أهل قسطنطينية ومؤكدين له على وفائهم وولائهم واستمع إليهم الباشا بحسن ولطف؛ حيث كان متأثراً بشكواوهم، فوعدهم بأن يجد حلاً لها، ثم سمح لهم بالانصراف، وقد خصص لهم محل إقامة بالقرب من القصر.

من ستراح الوفد حتى بلغه أنه بعد معادرتة مدينته انتقص أهل
بصبيته صد حاكمهم ، وطردهوا الخامية المركية حرج أسود المدنة التي
كانت في حدة ثوره على وقع هد الخرج، حتي أعصاء الوفد من عصب
كانت لدي كبر يعكس أن يصب حومه عليهم؛ فصارعو بفرار من مدينة
خراسان باتجاه بلاد رواوة، وفسل أن يصبوا إليها حرج في ثورهم عدد من
بهرسان، فأنقوا عليهم لنقض و قتادوهم مكسبين إلى مدينة الخرائر وبعد
استحري عن هذه الحادثة لم يشت صددهم ما يدل على تواطؤهم مع الثائرين ،
وأمر باشا بطلاق سراحهم بعد أن اعتدروا له، وشرحوا له أن فرارهم لم
يكن إلا بداعي الخوف.

سارع باشا لتجهيز فرقة عسكرية يسير نحو المدينة المنقصة وناقراها
هزج بمسطيسون بفتح الأبواب لها حيث كانوا حائقيين، ويحمل أيضاً أسهم
يكونو متحدين فيها بينهم ودخل لاث لمدينة منتصراً، وعقب لثورطين
في لأحدث بلا شفقة؛ حيث أنه أعدم بعضهم، وسجن أعينهم قبل أن
يُدعوا في سوق للحاسة وبعد أعاد الهدوء إلى المدينة، فصل راجعاً إلى
مدينة الخرائر ترك وراءه رمصا يائي تشولاق كحاكم لنفسية ويصيف
مؤرخ بأن ذلك لعدو الفسي قد سمر لسكان، وهو ما دللهم إلى إرسال
شكوى إلى سلطان المصططبية، الأمر الذي كان سبباً في عونه بعد مرة،
وحنقه على لعلح لفرطس على رس مدينة خرائر وفيما بين رواية هارمول
حول هذه الانتفاضة

أي عدم أمن وحسنه وثيرة وسن وحب، فمظنة) بقتل حاكم
و جميع عناصر الخامية وحررت نفسه ولكن حاكم خرائر، ابلح عي
بشرطامن، جاء بحاصره مدينة، فحدث، فقه وحررها، ثم أعزم أعينها
على تحصين بقعة على بعتهم، ورفح خمس أو سس ألف قطعة ذهنية، قبل
أن يحردهم من سلاحتهم وأصبحوا فمسعدس ستر من سس.

استعمل بوج محل كلمة الأولى: تشير إلى حاكم مصططبية؛ لأنه يُعتقد أنه في تلك الفترة
١٥٦٠ يمكن استعمال لقب يائي الذي أصبح كمنه في بعد حكام لفاطمة
١٥٦٠ في الأصل إلى عدم حبه وبه وبسر (أو حقد وصدع بعد تصحجه، وبوج).

لقد أُرِجَت هذه الرواية لأحداث إلى عام 1568 تحت حكم الدش
العلج علي المدعو القرطاس، والتي هي تختلف اختلافاً محسوساً عن تلك
التي رواها المؤرخ العربي ولكن يعتقد بأن الأفضلية يجب أن تكون لهذا
الأخير، إلا إذا كان مرموز يتحدث عن ثورة أخرى حدثت بعد سنة من
ذلك التاريخ، والتي لا يُحتمل أبداً أن تكون بعد اندرس لدي أحده سكان
قسنطينة.

بعد ثلاث سنوات، وفي عام 1570، عزم علي باشا هذه على غزو تونس
التي كان يحكمها مولاي أحمد، والذي كانت تربطه به علاقة كراهية شديدة،
حيث هزمه في ساحة، مما أرغمه على سجنه في الحامية الإسبانية التي كانت
تحتل حصن «جنتق بوادي» (La Goulette) (أو حصن البقية)، وسقطت
تونس دون عناء في يد المتصربين وترك علي باشا القائد رمضان حاكماً
عليها، وهو الذي صاحبه في هذه الحملة، ثم عاد إلى الجزائر *Annales*
(antisiennes, p.2, et el-kairouani), p.292,

لكن الذي حلف رمضان، والذي لا يعرف اسمه، لم يمكن من المحافظة
على هذه المدينة وخارجها صار مغرب من الوقاحة والخراب، في درجة أنه
في أحد الأيام خرج الشيخ سيدي عبد الكريم علقوم، في صواحي قسنطينة
مصحوباً بصديقه عبد تطيب وصهره الذي كان يشغل منصب مرزوق
الشرفة وفقد حشش إندية، فقامت عصبة من العرب باحتدادهم انتقاماً
من حاكم لركي ندي كان قد أعار عليهم من قبل، وأقروهم مسجونين
لديهم لعدة أيام حتى جاء بخدمهم فأدب يدعي العباسي وحررهم، قبل أن
يُحقن بالعصبة حسائر سبعة بن حيام ومطعمين وعنانم أخرى

في وجود سيطرة لا تفرص آخر منها لا في الداخل ولا في الخارج، كانت
انفصاصة جديدة وشكوة حد، وأسي المعجب في 572 حيث أن السكان
العاصيين سبب مصائب التي كانوا يتعرضون لها، فأروا بقوة هزم
الحامية التركية من مدينتهم، غير أنهم وجهوا قمعاً رهيباً فعرصت بيوت

للهب، وقتل الأطفال شائعة، وعاد السكان المهزومون إلى تير الاستعداد على يد العرب، وعم السلام لفترة من الزمن.

في العام الموالي، 1573، أُقيد محملو المدينة مرة ثانية إلى أسوار تونس، مرة من طرف أحمد باشا وبعدها من طرف رمضان باشا، بعد قدومهم من مدينة الجزائر؛ وذلك لضم قوتهم إلى قوة حكام طرابلس والقيروان من أجل مساعدة ساد باشا في طرد الأسبان إلى الأبد من هذه الربعة من إفريقيا؛ التي استولى عليها «دون خوس» (Don Juan) لصالح فيليب الثاني ملك إسبانيا. بعد مقاومة بطولية سقط حصص خلق الوادي بقيادة «كوت سيربانو» (Conte de Cerbailon) بعد قتل عدد من أفراد الحامية وأسر الباقي؛ وبذلك صارت تونس تابعة للإمبراطورية العثمانية بشكل نهائي. وقبل انسحابه؛ أرسى ساد باشا قواعد الإدارة الحديثة على شاكلة النظام السائد في مدينة الجزائر. ثم عاد إلى القسطنطينية أحداً معه اخنرال الإسباني والسلطان محمد، آخر حكام الحفصيين، مُضغدين في الأغلال.

بوصولنا إلى هذه الفترة نجد أنفسنا أمام فحوة تاريخية وجميع الوثائق المسيحية والتأريجات المحلية لم تستطع إعطية السواب المنوابة حتى وصول مرديني، وكل ما استطعنا جمعه، يقتصر على بعض الأحداث التي مسجلها لعرض الإفادة فقط.

في 1574، استولى المسيحيون على عدة وثقوا فيها مدة ثلاثة أعوام ففر الشيخ سيدي حليف بن سيدي عيسى العوشري هرواً من الوجود لكافر، واستقر في قسطنطينة كواحد من الرجال الصالحين؛ حيث أن سكان قسطنطينة كانوا يسمونه سيدي بومعرو، وهو يرقد الآن في رابطة سُميت على اسمه بالقرب من باب القطرة¹

هذا لاسلاء على عنانه من طرف المسحين؛ الذي لم يحد له أي أثر في الأحبار الأوروس، لا يمكن ربطه إلا بحمفة أمير الحمص، «دون خوان» (Don Juan)، عن تونس ربما كانت عابدة في تلك الفترة تابعة لحكومة تونس وعنه، بحث فقط إرجاع النارج إلى سنة 1574، وإنقاص منه الاحتلال سنة واحدة؛ لأنه لا يحمل أن لأسان يكون قد احتفظوا بعناية بعد طردهم نهائياً من تونس

في 1582، اجتاحت الطاعون مدينتي قسطنطينة فقد كان هذا الوباء يصيب سكان المناطق البربرية بين القية والأحرى فيهلك منهم الكثير؛ حيث نجد إشارات عديدة تدل على ذلك حتى في أغلفة الكتب التي يحدد فيها تاريخ حدث ما بعام الطاعون.

وفي نهاية القرن السادس عشر هذا؛ يعكس أيضاً تحديد ثورة الشيخ سيدي يحيى بن سليمان الأوراسي التي احتضنت لها الأحرار المحلية بذكرين عنها ببعض التفاصيل.

هذا الشيخ الذي تكوّن في مدرسة سيدي الورد ثم في مدرسة سيدي قاسم بن لعقون؛ قد صدر واحداً من المعينين بالقسطنطينة فقد قدّمه سمعته إلى بلاط سلاطين الجزائر الذي أصبح يلج إليه بكل حرية؛ حيث لم يكن المناشوات هناك لينحدوا أي قرار مهم يمس بالأسانيل القصائيه إلا باستشارته والأحد برأيه، كما أن عرب الريف لم يكونوا ينفون إلا به.

نتج انهياره التي اكتسبها لم تمنع عنه الحاسدين الذين أدوه إلى درحة أنه فكّر في العودة إلى قسطنطينة، وظل الوشاة يلاحقونه رعيين بأنه بخرص سر على عصيان وللفرار من الملاحقات هرب إلى قسطنطينة صحبة أخيه أبو العباس أحمد، والتجأ إلى حبال الأوراس. ثم السحق به حشد كبير من العرب الذين كانوا في حالة عصيان؛ وخاصة أولاد عيسى وقرقة، وكان على رأسهم أحمد وعلى الرغم من عدم ظهور الشيخ سيدي يحيى مسانداً بتمتصير؛ فإنه لا يمكن لأحد أن يشك في كونه مشط الحركة وروحها بطراً تأثير سلطته في النفوس.

وسرعان ما اتحد العصيان أعباداً أخرى لدرحة أنه كان من الضروري إرسال وحدات عسكرية لإبقائه ولا يعرف من كان يقود الحشد، سوى أن الراوي يضيف بأنه بعد عدة معارك ناجحة ضد العدو تختم على الأتراك، الانسحاب دون أن يحفظوا أي نجاح واستمرت الانتماء لفترة معينة قبل أن يتشر السلام بين المتمردين، واستطاعت جماعة مدونة هم يستدرج الشيخ سيدي يحيى عندها بطريقة مخادعة متحججين بإكرامه؛ فلم يتردد في

رداهاب إنيهم رعم أنه كان يعلم بما كان يتطوره، وتم قتله في ثلث الليلة
أرحمه الله في رحمة (عن الراوي) وبعد مقله، تولى ابنه أبو عبد الله
أحمد، والذي يحمل نفس اسم أخيه، قيادة المتمردين؛ ولكن مع استمرار
الاضطرابات الداخلية التي أدت إلى مقتل والده، وخوفاً من أن يلقى المصير
نفسه، أو ربما لنسب آخر، لم يتردد في الانفصال عن المتمردين والدخول إلى
قسنطينة مستنسياً، حيث مُنح له الأمان وعاش في المدينة مدة طويلة.

وفي جزء من القصة بصيف هذا الراوي، لقد سمعت الطالب محمد
النفوسى، وهو وراق في قسنطينة، يقول إنه قد قرأ في كتاب عن الأحداث
للسيرة والإصلاح أن الشيخ يحيى بن سليمان سينور في الأوراس، وسيستشهد
في سبيل الله؛ وهو ما حدث فعلاً فيها بعد، ولقد وصلي هذا الخبر قبل أن
ينور الشيخ

بعد ذلك، أكد لي ابنه أحمد بأن أباه كان على علم تلك السوءة، كما أخبره
بأنه هو من سيفقد الثاثيرين بعد موته.

لقد كان الشيخ يحيى هذا حاصراً خطه احتصار سيدي عبد الكريم
لعقون، لذي ذكرنا قصة دهايه إلى مدينة الخرائر آنفاً، فقد توفي في 13 أغسطس
1581، وعليه فإن نوره سيدي يحيى قد وقعت بعد هذا التاريخ ومن جهة
أخرى، إذاً اعتبرنا بأن سيدي عبد الكريم بن محمد لعقون الذي نقل عنه
هذه القصة، قد وُلد في يناير 1581، وبأن الوراق محمد قد أعلمه بذلك الخبر
قبل أن ينور سيدي يحيى، وبأن يكون بعد ذلك كثير أعين الحقيقة إذاً وصفاً
هذا الحدث في سنة 1611 ميلادية

فلن حتم القرن السادس عشر هذا، لنذكر أسماء أهم الشخصيات التي
تميزت خلال تلك الفترة، والتي احتفظت رواية قسنطينة بذكرياتها بالإضافة
إلى الذين ذكرناهم آنفاً، نجد:

سيدي بركات بن سعيد، من مروافقة... كان معاصراً لسيدي يحيى لعقون،
وكان قاضي الجماعة بقسنطينة توفي في شهر شوال من عام 942هـ (أبريل
1536م).

الشيخ أبو عبد الله محمد العطار. - كان رجلاً عالمًا، وذا تعمق في المعرفة، كما كان غياً حذاً وصاحب تجارة كبيرة. قاده تجارته إلى تونس التي كانت ما تزال مقر الحكومة التي تتبعها قسطنطينة؛ حيث حصر لفترة دروس، ثم جامع المدينة الكبير، وسرعان ما جلب إليه الانتباه بفصل جدرته فقد كان في نفس الوقت مفسر وصديق الشيخ الوزان. ويحكى أنه حدث، في هذا الصدد، أن شخصاً عرّض مسألة على هذا الأخير فلم يجبه عنها، ولذا التقى هذا الشخص الشيخ العطار أمام باب الزيت للجامع الكبير، وكانت به على حقة الباب وهو بهم بالدخول، طرح عليه مسألة كتابياً، فقرأها الشيخ وحلها في الحال. وسرعان ما أحبر هذا الشخص الشيخ الوزان بالحلول؛ فكان رده بعيداً عن العيرة والحمد، ومعتبراً عن إعجابه بزميله وهما كثير عن ذلك. وعلق الراوي على هذا بعد قرين من الزمان قائلاً: «لا يتصور هكذا أبدأ علماء عصرنا هذا».

نوي الشيخ العطار سنة 943هـ (بين 1536 و 537 م)، وترك أحاده، هو أبو القاسم، وولداً هو أبو الحسن عبيد الله بن عبيد الله، أيضاً في الفتوى نوي الأول كفيفاً، ودفن الثاني في 28 صفر 982هـ (19 جوان 1574 م)، وبقي خلفهم أحياء إلى الوقت الذي كتب فيه هذا الكتاب.

سيدي قاسم بن يحيى الفقون. - انتحق بأبيه في تونس؛ حيث صار إماماً للمسجد المسمى جامع الأساط، ثم عاد إلى قسطنطينة ليصبح قاصداً فكان معاصراً لشيخ الورن الذي كان تلميذاً له، ونوفي إثر مرض لم يتعد يوماً واحداً صبيحة يوم الخميس 20 رمضان 965هـ (9 جويلية 1558 م) لقد كان صاحب عدة تعديقات من بينها واحد حول كتاب ابن هشام الذي جلب اهتمام كبير، ودفن خارج المدينة.

الشيخ محمد الكماد. - في بداية حياته انقصابية كان قاضي الجماعة في قسطنطينة وفي نهاية مشواره صار نائباً للقاضي الحمفي خلال العهد التي كان فيها لأتراك يمسكون بالسلطة. لقد كان تلميذاً لشيخ الورن ومعصراً بقاسم لفقون؛ الذي كان يبادل كرهاً شديداً.

من المؤسف ألا يحدد لنا المؤرخ تواريخ تعييناته ووفاته، وربما يعود هذا إلى أنه في تلك الفترة لم تعد السلطة التركية معترفاً بها في قسطنطينة؛ وهي نقطة من تاريخنا يتعين توضيحها.

القاضي أبو العباس أحمد، المدعو أحمد بن باديس - ينسب إلى واحدة من أعرق وأصل عدلات قسطنطينة، وهي عائلة طالك تير أفرادها في القضاء، أو في الدين، أو في وظائف الحكومية، حيث أن وظيفة إمام مسجد القصة كانت مقتصرة عليهم تقريباً.

لقد اشترك هؤلاء في صفات الورع ولعلم وروح المبادرة ولدكاء، فكانت متوارثة لديهم كسراً عن كسر «كيف لا»، يقول هذا المؤرخ، وقد قام أحد أجددهم بتأليف السيرة (وهي قصيدة شعرية تعدد مآثر أكرم مرابطي بعدد)، وبشرح «المختصر» لاس هشام، ويقال بأنه في فترة ما، كان حوالي أربعين من أفراد هذه العائلة يشغلون في نفس الوقت مختلف الوظائف العامة في قسطنطينة. توفي القاضي أحمد سنة 959هـ (1552م).

سيدي عبد المؤمن - كان آخر ممثل لعائلة قوية تورث أبوها مصبي شيخ لإسلام وأمير ركاب الحج، وهي لمصباح ابنه انتقالاً إلى عائلة بن لطفون. لقد كان رجلاً طاهراً سائراً في سبيل الله وخدم للامدنيين الشريفيين.

1 في معرض مدح عائلة بن باديس الذي كتب منذ أكثر من مائة سنة، يجدر بنا أن نضيف بأن ذلك الشيء لم يكن مبالغ فيه. فاسم بن باديس قد ورد في تاريخ البربر لاس جلدون كقسم من قبيلة لوانة مسيطرة على منهن نفوس. وقد حفظنا أحمد بن باديس في سيرة ثلاثة من أفراد هذه العائلة وهم حسين بن مصطفى بن باديس، الذي توفي وهو يشغل منصب قاضي قسطنطينية نهاية القرن السابع للهجرة 1249م، وحسن بن حبيب بن باديس «الغني» الذي توفي أيضاً وهو يشغل منصب قاضي قسطنطينية عام 784هـ 1382م، وحسن بن أبي العاصم بن باديس المتوفى عام 70هـ وبنو عام 787هـ (1385م). وفي الأخير يقول ابن المثل لحسين هذه العائلة، سيدي انكي بن باديس، مستطع أن يجمع بين كل هؤلاء أجداده، كما أضاف إليها عدد من شرفاته التي لم يعرفها غيره، فهو في نفس الوقت قاضي قسطنطينية وعضو لمجلس الولائي، وعضو مجلس عدم، و«رئيس جمعية» لاسره «la famille» وفارس جوقه الشرف «chevalier de l'ordre d'honneur» وهو من جهة أخرى واحد من العرب الذين اسمعوا أحد أفكاره الخصارمة، وعرفوه كيف يصعبوا خير التطبيق.

(مكة المكرمة والمدينة المنورة) توفي يوم الأربعاء 12 محرم 971 هـ (4 سبتمبر

1563 م)

المفتي أبو الحسن علي بن يحيى البوداري. - ينحدر من بني أورار، ين
فرحيوة وجبل النور، وكان من تلاميذ الشيخ الوران

أبو الحسن المدوني، تلمذ من ألمع تلاميذ الشيخ الوران - اشتهر بفعه
في كل ما يقوم به قصة عصره؛ مما جعله مصدر خوف ورهبة إلى درجة أن
سدي حسن المفقون عندما صار قاصياً لفلسطين، واعتماداً منه أنه لم يفت
من انتقاداته اللادعة؛ أقدم على احتجاره في المحكمة حتى لا يخرج أي حكم
مها حتى يجتمع لمواقفه، فكانت طريقة مريدة لكنت حجاج هذا الرقيب
العبد. وفي أواخر أيامه فقد بصره، وتوفي دون أن تأسف عليه الكثير من
معاصريه من العلماء.

المفتي سيدي أحمد بن تفضة. - جاء من بلاد روضة يستقر في فلسطين؛
حيث اعتكف على التدريس وفي إشارة بطلب من السلطات حول
عملية وره للحووم؛ اقترح أن تورن احراف دون برع أحسانها، وهو ما
كان يعارض العادات الحاربية آنذاك، فأجد رأيه الذي لم يرض عنه السكان
(ماعد الحرايين)، فتنصروا صده بما أرعاه على انصر ربهداً لحياته، ومنه
ذلك الوقت لم يبر أبداً.

الشيخ سيدي محمد بن حسن. - كان ممياً مميماً، ولكنه كان أحف في
تعمله مع لأمور اليومية دفع في مسحد راوية سيدي أبو العباس، بالقرب
من رحمة الحمال غير بعيد عن راوية الشيخ الوران

المفتي عبد اللطيف المسبح، من عائلة تنحدر من مرداس حوب عنه
- كان مفتي فلسطين، ورجع الشهرة التي تمتع بها طيلة حياته إلى العلاقات
المستمرة مع رعيه السلطة وكان فدرا من الشيخ عبد الكريم لمفقون في رحته
إلى مدينة الحرائر عدة انتفاضة 1567 التي ذكرها أنما كم أصبح أخوه أحمد
أو حميدة مفتي فلسطين مثله، ولعد كان صليفاً أكثر من أخيه لدرجة أن هذا

الأخير كان يعود إليه في كثير من المسائل ويستفيد من دروسه.
وكان لها أثر ثالث يدعى بركات، وكان أصغرهم وأعلمهم؛ فلم يكن
لحبه للمعرفة حدود لقد كان يطلب العلم منهم للدرجة أنه كان يتابع دروس
جميع الشيوخ ذوي الصيت الواسع؛ وبالأخص الشيخ مسدي عبد الكريم
بنغون الذي كانت تربطه به صداقة شديدة. توفي عن عمر من الطاعون في 992هـ
(1584م)

بعد ذلك حين لم نعتنا عائلة المسنح ثرؤد قضاء قسطنطينية بأنها، وحتى
منتصف هذا القرن (القرن لتاسع عشر ميلادي)، ولكن ثماني لعائلة اليوم
انحرفوا عما كان عليه آباؤهم، وأصبح لا يوجد من بينهم إلا اثنان يعرفان
المقراءة والكتابة.

هذه الشخصيات التي ذكرنا أسماءها وبعض الأحداث التي تمك من
جمعها، لم تكن على قدر كبير من الأهمية، بأشياء حدثت أو ثلاثة ولم يدرجها
في هذا الموضع، إلا لاستخلاص ما يلي لقد كانت قسطنطينية في القرن السادس
عشر مركزاً لتبوير، مثلاً كانت محطة تحت حكم سي حماد، وتلعبت
تحت حكم المرينيين، حيث كانت الدراسات الإسلامية تعتبر شرفاً كبيراً،
في جانب الأدب والشعر وكان الطلاب يسافرون إلى تونس أو القاهرة
للإتمام لدراسة على أيدي سائدة معروفين، ولم يكن لإحداها المصوحة من
طرفهم حتى يجوزوا لقب شيخ محرد شهادة فحسب؛ فمن أجل الحصون
عندها تحب على الطالب اثبات قدراته والخصوع للاحتياجات ومما فيه
رسالة مهم الجمهور بدو، شك، سيما كانت هذه الحركة العلمية والأدبية
ولمبه تشع من بغداد إلى مرطبة، ومن القاهرة إلى تونس، كانت أوروبا كلها
عارفة في عطلات، وحملت هذه الحركة مشعل الحضارة في الشرق والغرب،
وحضرت ندياً مرحلة النهضة فاندراجت اللاهوتية اميرة، والمناقشات

لقد ترجعنا إلى العروة عقدنا مكتوباً على قصم بعض على مع من طرف سي محمد بن أحمد
المسنح لتفيد شمس الدين ابن النديم محمد بن حسين؛ وهو مركبي موضح السبع هو حديقه
نفع أسهل شلالات الرمان بالغرب من مسطبة تاريخ العقد في العشر لأوائل من شهر
رجب من عام 991هـ (أغسطس 1583م)، ويحمل اسم النعدي سليمان ويعتبر بالنعدي المركبي

العقيدة المتعلقة بالحدلية؛ قد أفسدت العقول بإبعادها عن الإنتاجات التي يستدعيها الشعور بالحيل والكبر عندما تخضع لطموحاته السامية أو عندما تفقده فواعدها من العلمية ولكن هذه الدراسات لم يكن يهتم بها الكثير، كما أن بوعية العالم تحددها مرلته لدى معاصريه وإذا كانت الصفة الدينية لصفة بها فإنه لا يمكن التدمير منها لأن القاعة الدينية كانت تعتمد على الدراسة المعمقة للعقيدة

ويكن بأقول القرن السادس عشر أقل ذلك لئور، ومع سقوط قسطنطين في يد الأتراك لم نَعُدْ أن تكون، كفاقي مدن الخرائط الأخرى، بؤرة لندساتس والعنف والأطباع موقفت فيها الحياة الثقافية، ورايت دراسة الأدب فيهم يَعدُّ مكان لا لتاريخ ولا للشعر لقد انحرف الاعتبار والتقدير عن الرجل النقي ليحصل أمام بطش القوة، أو ليتصقباها بشير السحرية بالجهل والمحتان المتسر برداء الدين ولم نَعُدْ دراسة الحقوق نجد طلاباً كثيرين، حيث تغلب الخدال والمهاكمة على الاهتمامات الأخرى باعتبارهم من منطلقات العامة ومد ذلك الحين لم تعأ هذه الوضعية تتفاقم، وحتى محاولات الإدارة الفرنسية لوفهم لم تُغط أية نتيجة، كما أن الدراسات الإسلامية في تلك الفترة كانت معدومة تماماً ولا يعتبر الخطر كبيراً إذا عرف كيف يستند ذلك معارفها الحديثة؛ لأن تحديد الشعب، ليس تحديداً هدا الحيل ولكن الأحوال القادمة، لا يكون إلا هذا ولكن إعادة تشكيل ماضيهم طالما رفضوا لصاحب سيكون ماضياً للحصاره، وهو الدور الذي ليس على فرنسا بعد في هذا البلد الذي صار بالنسبة لكثير من وطنياً ثامناً

ونَعُدْ إلى تاريخ قسطنطين؛ حيث لا يمكن الخروج نَعُدْ من القرن السادس عشر دون الخوص في بعض التطورات المتعلقة بحدث مهم بالنسبة لهذه المدينة من وجهة نظر المصالح الدينية، وعلى القدر نفسه من الأهمية أيضاً إذا أردنا الوقوف على التأثير الحمصي الممارس، باسم الدين، على الذين كانت يديهم معاليد السلطة

إسطنبول حدث عن صعود عائلة العقون التي مدعى أيضاً لعقون أو أولاد سيدي الشيخ، بلث العائلة التي حافظت، لمدة ثلاثئة عام متواصلة حتى سقوط قسطنطينة في يد الفرنسيين، على لقب شيخ الإسلام متوارث بين أجيال أساتها مع كفة إصلاحيات الوسعة وجميع الثروات الإقليمية المترابدة، وهو ما يدعو إلى ملاحظة أن ثروة الخاصة تخصم دائماً لثروات بني أو لأطبع المقربين. إضافة إلى أنه بعد تثبيت سيادتها الدينية، لم يكن أبداً هذه العائلة أن تتدخل بأي شكل من الأشكال في الشؤون السياسية إلا للوساطة من أجل الصبح فاعتبرها سيدة السلطة الروحية؛ كانت تترك معنى السلطة الطربية هموم وأعباء الحكومة، وتكتفي بالسيادة على القومس، كما أن نفوذها الديني لا يمكن أن يصمح، ولا يمكن أبداً لسيف الجلاد أن ينطح بدم أي واحد من أساتها حتى في أعنف الانتفاضات فكيف تمكنت هذه العائلة، بدءاً من الوصول إلى هذه المرتبة؟ هذا ما سنعاينه فيما يأتي.

لا يعرف ما هو صحيح في الرواية لشهامة، كما يقول شربونو، التي نقلها إليها الأهابي حول هذا الموضوع فحسب قصة شعبية عن الأستاذ العالم، أحرى مثل بعائلة عبد المومس التي كانت بيدها السلطة الدينية قبل سيطرة الأتراك، كانت قد حُذعت من طرف سيد عائلة بن لعقون لمسة لها؛ والذي سلم بيده للأتراك حنة ذلك العالم بعد أن سُممه حلال مادة (صبغة)، قبل أن يسلح جلده ويملاه بالقش، ثم أرسده إلى مدينة خرائر كدليل على العلة هذه الأسطورة التي لا تعتمد على أية وثيقة مكتوبة، ولا تحدد أي تاريخ، ولا أي اسم، تمثل فقط حرياً لا يمكن للمؤرخ أن يقله دون تحقيق أو تحليل.

ولاً، لا يمكن أن يكون هذا الحدث قد وقع في عهد آل بربروس، لأنه سس أن رأياً أن واحداً من عائلة عبد المومس توفي حاملاً لقب أمير الركب سنة 1563، وأن سيدي فاسم، كبير عائلة بن لعقون، قد توفي سنة 1558

حاملًا لقب فاضي قسطنطينية لسيط، وهو ما يؤكد بأنه خلال تلك الفترة، أي عشرين عامًا بعد وفاة ثور فريد من عائته بروس، لم تكن عائلة من لففور بحور بعد لقب شيخ الإسلام.

ثم إنه إزاء إرداء لرد الإضافة على ما ذكرناه آنفًا لتثبيت تاريخ سقوط قسطنطينية في يد الأتراك بين سنتي 1534 و1535، فإنه لا يمكننا، نعرض أن الخليفة التي حصلت هي التي فحت هم أبواب المدينة، إسقاط مسؤولية هذا التصرف عن عائلة من لففور وفي الواقع فإن يحيى الذي كان كبير هذه العائلة قد تم عيه أن يفي بعهده من فتره من ذلك الحين في تونس؛ حيث وافته المية في سنة 1539 إثر هزيمة من أحد جنود شارل الخامس.

ثم الحق به أنه قد سمع ولم يرجع إلى قسطنطينية إلا بعد وفاة والده إذاً هي تلك الفترة لم تكن هذه لعائلة تستطيع خدمة الشأن التركي بأي شيء، لأن أفرادها كانوا عاقين، ومفاهما الطرعي أو الفسري يؤكد بأنها كانوا بعيدين عن ممارسة التأثير الذي حظيت به العائلة لاحقاً.

وأخيراً نقول إن اللغز الشعبي الذي حاولت بحث البحث عن صدوره، ليست له أية مصداقية في أوساط عدلات قسطنطينية الكبيرة وبعريقة التي يفرض أنها الوحيدة التي يمكن أن تحتفظ بهذه الذكريات مصدر كبير من الصحة واليقين، كما أن كل المعاصرين يدين سألهم عن هذا الموضوع اعبروه غير مؤسرين ويعتقد أن من واجب المؤرخ أن يعتمد على المعلومات الصحيحة.

في أحد أجزاء «الموسسات الفرنسية في الجزائر» (Etablissements Français en Algérie année 1840, p 346) وفي مقال «الملكيات الخاصة» (Propriétés particulières) يقرأ أيضاً بحور هذا الموضوع المعطع الذي «هكذا تمكنت عائلة أولاد لففور» التي تملك في مقاطعة قسطنطينية الملكييات الأوسع من حيارها من عند لأتراك خلال استعمارهم في إلبانة، وذلك من أجل فتح، «مأم يوسف أحمد عدة خير الدين، مدخل المدينة الذي دافع عنه أولاد عبد المؤمن»

نظراً للأسباب التي ذكرناها آنفاً لا تظهر لنا هذه الرواية مقبولة، بالإضافة إلى أنها تعرف مصفاً، عن طريق عقد مؤسس لحوس مؤرخ في شهر ذي الحجة من عام 929 هـ (نوفمبر 1520 م)، بأن عائلته من لفقون كانت في تلك الفترة تحوز ملكيات متعددة بين حصريه وريعيه إداً فليس من الدقيق، على الأقل بصمة عامة، أن تكون قد تحصلت عليها من عند الأتراك.

لنر الآن، بشكل إجمالي، ما استطعنا جمعه حول هذا الموضوع إن أول واحد من عائلة بن لفقون حمل لقب شيخ الإسلام كان سيدي عبد الكريم؛ الأس الثالث لسيدي يحيى، وانتوى في المنح من شهر رجب من عام 988 هـ (13 أغسطس 580 م) طمس بتاريخ مكتوب على صريحه؛ والذي نقل لسيدي شيرنوسو ما جاء في شاهدة في الخوية الأثرية لقسطنطينية (ح 4، ص 87).

بالرغم من أنه لم نجد بين الوثائق بكثرة التي مرت تحت أعيننا، متعلقة بهذه العائلة، تلك التي فتح سمو حبه عبد الكريم منصب شيخ الإسلام؛ فربما يعتقد أن هذا التقليد يرجع إلى عام 567، أو 1568 م؛ أي بعد التمرد الذي ذكرناه سابقاً والذي قمع بقوة من طرف الدش محمد بن صالح؛ إذ هو قانع الكهص؛ الذي حاصه أولاد عدداً من بمساعدة حلفائهم أولاد صاوية صد السيطرة التركية، تجدها تفسيرها الطبيعي.

هذه العائلة التي كانت تمارس تأثيراً كبيراً في قسطنطينية، منذ فترة طويلة، لم تكن تقل السيطرة لأحسية فهي تعدد عليها صده بقوة، لحأت إلى استعمال كل ما يقع سبيلها من عرق قبل العمل على بلعهم، ثم لقصدها عليها قبل استقرارها وتعلل حدودها في عمق البلاد وفي الواقع، ما الذي كانت سترجحه مع هؤلاء لسانه لحدود؟ على أكثر تقدير، كنس تأمل في الحماط على السلطة التي كانت محورها وروالاتها مع المنصر على تدبير يمكن

٢ بحذر لإشادة إلى خطر في تسلسل النسب كان قد ورد سهواً بقلم العام للمشرق فلي الوثيقة التي نشرها رئيسي والتي أعزهاها اهتماماً كبيراً، لا يتعلق الأمر بالمصداق من عبد الكريم مثلي من شيرنوسو، وإنما هو أعضاء منه يحيى فدرج الوثيقة الذي كان يعتمد أنه يريح المسحة الأصيلة كان هو النسب، دون شئ، في واقع هذا الخلط.

أن تعارض مع كرامتها، غير أنه ظهرت بحاسنها طموحات ومزاحمت تريد
المرور إلى العرش وشهادة الشيخ سيدي عمر الوزان خير دليل على هذا
دكان كل واحد مساقاً لا يستطيع السيطرة على هيئات أهوائه¹، وتقبل
من لحفظ، كشف لنا الأستاذ الأمين عن بعض أسرار ذلك الوقت دون
أن يوجه لآلهم لأي كان أو حتى يذكر أسماء معينة، فليحترم صمته وعلى
العموم باب السريخ لا يسمعه بعض الأفراد الذين لم يتركوا آثاراً خلفهم، ولكن
يهم هو أن يعرف أن آل من لعفون يمكن أن يكونوا أول من هتف للسلطة
جديدة، كما أنهم لم ينحروا في السيطرة سريعاً على كل الأطماع الثورية
المثارة حولهم وباعمارهم أعياء سلفاً (بندليل العقد المؤسس للحوس
المذكور أيضاً)، ويتمتعهم بالتقدير والاحترام اللذين يرتبطان عادةً بدرسي
الأداب والعلوم؛ فمادام ينفى لهم لإحلال تأثيرهم محل تأثير عدد المومس شكلي
يهني؟ كان يكتمهم، فقط، احضار القصبة التركية وإعلان أنفسهم أول
المرايين لها، وهو ما فعلوه

لقد كانت لمدينة منقسمة إلى فريقين من جهة، ولأد عدد المومس مع كل
سكان حي باب الحبة أو المدينة السفلية، وهم يمثلون فريق المعارضة ومن
جهة ثانية، آل من لعفون ومعهم سكان المدينة العلوية من اسطحة التي بوحد
بها الجامع الكبير إلى القصبة؛ وهم يمثلون الفريق الجديد

لدى اندلاع عصيان 1567 الذي كان مثبوه محسوبين على حزب عدد
لومس، اعسم الشيخ عبد الكريم فرصة تواجد في مدينة الخرائر لكسب
عودة الناشأ الحاكم هناك، وبذلك يكون قد أعلن موالاته لقصبة التركية
وعودته إلى قسطنطينية؛ ساعد بكل قوته على إعادة الحكومة التركية مدعماً
مرفقه بكافة أعضاء الجماعة، الذين كان عددهم أربعين وباسمهم عدد المومس
في هذا الصراع سُحب منه لقب شيخ الإسلام، ومُنح لشيخ عبد الكريم لقاء
خدمته

¹ راجع إلى رسالة سيدي عمر القوداني، ص ٩٨، ٩٩

من المؤسف أن لم نجد الشهادة التي تُحسِّنُ أمرَها هذا المنصب حتى نعرف التاريخ العملي لهذا التصيب، واسم الباشا الذي منحه إياه، ودون شك، الأسباب التي دفعت به إلى ذلك. ولكننا نملك وثيقة تعيين ولد، وهذا هو شكها لعدم

أبامر من عبد الله والمجاهد في سبيل الله الباشا أبو محمد جعفر، يُعين العقيق القدير.. عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام أبو محمد عبد الكريم لفقون في منصب إمام الجامع الكبير لمدينة قسنطينة حلفاً لوالده المتوفى. فيوم نصوات الخمس وصلاة الجمعة، كما يؤدي جميع الوظائف التي كان يقوم بها والده... وهذا سروراً عند رغبة أهل المدينة، وتحقيقاً لوصية والده بتعيينه في هذا المنصب. وعليه تكون له إدارة أملاك الجامع، ومراقبة جميع المصاريف وجميع أعماله، ولا يعوز لأي أحد معارضة وحتى عمال الجامع، ولا القضاة، ولا حتى ممثلي المقربين، ولا المشيخ العام للعبوس...⁶

كُتِبَ في العشر الآخر من شهر شعبان من عام تسعمئة وتسعة وثلاثين للهجرة (أواخر أغسطس 1581م). في أعين هاشم بقال حتم الدشا جعفر التاريخ 986، وقد كُتِبَ بأرقام عربية على الجانب.

وبعد مرور سنتين قدم الدشا حسن بن عبد الحان⁽⁷⁾ تثبيت بعض السلطات، وذلك بموجب فرمان مؤرخ في العشرة الثانية من جمادى الثاني 999هـ (العشرة الأولى من شهر يوليو 1584م)، وأصبحت إليه صلاحيات جديدة له ولأخوته حسن وأحمد، مثل الإعفاء لك من دفع ضريبة العشور والعمارة، والإعفاء من السخرة والخدمات. إلخ عن جميع ممتلكاتهم الخضرية ولريفية، حتى يتمكنوا من ترميم وتأثيث وصيانة المدرسة التي كان قد شيدوها أحدهم، والتي دُفِنَ فيها أبوهما الشيخ عبد الكريم

في سنة 1015هـ وفي العشرة الأولى من شهر جمادى الأول (23-31 أغسطس 1607م)، سمح بحديد بعض الصلاحيات لسيد محمد وأبيه عبد

⁶ نص الرسالة ليس أصداً، فهو مترجم من نسخة المدرسة المتقونة من الأصل

⁷ وردت في الأصل Hassan ben Abd el-Hennan

لكرم من طرف، إيشا أبو العليم رصوان، - بن عبد الله الذي يحمل حسب
تاريخ 1015 هـ (1606م)¹

مكتفي بهذا القدر من المعلومات؛ لأن الوثائق الأصلية التي حملها
نكتفي لتحديد أصل صعود عائلة من العقول ولشرح التأثير المتزايد لأفرادها
ويبقى أن الأحداث التي مسردها سوف نعرضها فرصاً لوضعها في إطارها
المناسب؛ حتى لا يحدث أي خلط عملي في توارخها وسنألف إذ يجري
الأحداث من حيث توقف؛ أي مع بداية القرن السابع عشر

¹ في سيرة مشهور الخرائط التي نشرها أرومو بعد الزهرة السيرة محمد بن ربيع 106 هـ
يحمل اسم الحين يدان، ألا يمكن أن يكون إيشا رصوان الذي يوجد حقه واسمه على
الوثيقة التي حملها، والذي يجب رجاء تاريخ نفسه إلى 015 هـ بـ 1647 وعنى كل حال، فإنه
يجب وضع اسمه على هذه الوثيقة
بلا حظ أيضاً في هذه السيرة بأن يعين إيشا جعفر كان في 986 هـ في التاريخ المذكور
على حقه هو 986 هـ

القرن السابع عشر

خلال عامي 1602 و1603، صرب وباء الطاعون مدينة قسطنطينية من جديد؛ فحصد فيها أرواحاً كثيرة، وبعده توالى تسع سنوات من لقحط الشديد؛ فجلب معه الجذب والمجاعة.

في 1607 سقطت عناية في يد المسيحيين، وسارع سكان قسطنطينية لجذبهم؛ فلقي نأيهم محمد بن فرحات حتمه هناك. هذا سقوط آخر لمدينة عناية في يد المسيحيين لم يجد له أثراً إلا في وثيقتين عربيتين؛ كانت قد أرسلت إحداهما إلى قسطنطينية والأخرى إلى عناية، وفيهما إشارة إلى الحادثة نفسها في الفترة ذاتها إنما بعدم فقط بأنه في 1605 انطلقت حملة مكونة من ثلاث سفن من مانتا وسع من صقلية، وأرست ألقاً وأربعمئة رجل على سو حل إفريقيا واستوت على مدينة الحمامات، قبل أن تواحه عرب الريف الذين جاءوا للجددة سكان المدينة. وفي 1609، قام أحد السلاء «السير بوليو» (Le sire Beaulieu) المدعو «برياني» (Briante) بتسريح سفينتين حربييتين على نفقة الخاصة من أجل إنهاء القرصنة، وجاء مع عدة سفين حربية إسبانية بقيادة «دون خوان فيشارد» (Don Juan Faicharde) خرق الأسطول التركي الصغير في ميناء خلق الوادي أو الساقية من بحب ربط إحدى هاتين الحملتين بعملية برول المسيحيين في عناية التي تحدثت عنها لأحار التي بين أيدينا؟ ليس هناك ما يفاحي في هذه الحادثة بالنظر إلى روح المعامرة التي كانت تحرك السكان حينئذ ولو أن لتواريخ لا تنطبق تماماً، فما يهمنا من هذا، بشكل مباشر في قصص المحلية، هو ذكر هذا البدي المدعو محمد بن فرحات. الذي قبل لدى محدته للمعانيين إبه اسم يصف إلى قائمة البايات المعروفين في قسطنطينية، وللأسف أننا لا نستطيع لحد الآن قول أي شيء عنه سوى أنه كان باياً

في 1617 كانت وفاة القائد الشهير رجب بن حسين؛ فأيده الجيش هذا

ألقب الدي بوازي منصب القائد الأعلى للجيش؛ كان في بادئ الأمر يُعصب للقائد، يكف بقيادة القوات التابعة للمقاطعة، وبعد ذلك استُبدل بمصعب آغا الدائرة وقد بقيت هذه الوظيفة لمدة طويلة في عائلة بن حسين، التي لا زالت موجودة حتى يومنا هذا.

في 1622 احتاج الطاعون قسطنطين وبسكرة، وفيه أصيب حسن دي المشهور والمعصور له، وتوفي في يوم الثلاثاء من العشر الأخير من شهر ذي القعدة من عام 1031 هـ (أوائل شهر أكتوبر 1622 م).

لقد تأكد وجود هذا الباي بورود اسمه في عقد ملكية خاص بعائلة بن عروز شريف من ميلة؛ وهو عقد محرر من طرف مجلس قسطنطين في عام 1037 هـ (1628 م) وبذلك نستطيع أن ندرج هذا الباي، بكل تأكيد، ضمن البايات الذين قادوا المقاطعة في بداية السيطرة التركية.

في 1625 اندلعت الحرب مع إيالة تونس بسبب الحدود التي سبق وأن تحدت في معاهدة أولى سنة 1614، ثم تبعها تجاوزت متتالية من طرف القبائل المتجاوزة. فقد هُزم التونسيون في سيطرة بتاريخ 17 ماي 1628 بعد أن خافهم أولاد سعيد، وأحروا على طلب السلام، وأُنعى هذا السلام بمعاهدة مهمة جداً بالنسبة لمقاطعة الشرق لدرجة أنها وردت جزءاً منها، وقد استقيها من الحوليات التونسية لروسو (Annales tunisiennes de M. A. Rousseau, p.45).

1. يستمر مجرى وادي سرات كحدٍ للدولتين في جهة الجنوب؛
2. ضرورة تهديم التونسيين للمركز العسكري المُقدم هناك، والذي كان سبباً رئيسياً لاندلاع الحرب؛
3. يُستكمل ترسيم الحدود بمجرى وادي المعلق عن طريق البقعة المسماة الخيرش، ثم تلك المسماة قلوب الثيران، ومن ثم إلى رأس الحص الحافة لتستمر، كما في السابق، حتى البحر.
4. السد الرابع من هذه المعاهدة يصب على أنه في المستقبل، في حالة عبور رعايا أحد البلدين إلى الجهة الأخرى من الحدود؛ لا يمكن أن يكونوا موضوع

مصابه من طرف حكومتهم التي عادروا إقليتها، ويصحون بانتالي رعيا للإيالة التي هاجروا إليها.

حيث سنة 1634 حادثة معها افة الطاعون مرة أخرى، ومن بين أصحاب كان ثلاثة مفتين بادرين في تلك الفترة، وهم بركات بن معمور، وعبدانطيف لمخ وبركات بن صدي عبد المومن

في التاسع من شهر أكتوبر 1636 توفي قائد الجيش محمد بن حسين الذي، بلا شك، كان حفيدا لرحب بن حسين وعاماً قبل هذا، وتحديداً في يوم الإثنين 16 يوليو 1636، توفي سولمخ، وهي قرية واقعة بين المدينة المورة واقفاهرة، بن عبد الكريم لهفون، الذي خلف والده في منصب شيخ الإسلام كما ذكرنا، بعد أن فقد كان في طريق عودته من رحلة الحج، حيث قد تعافله بصفته أمير لركب، وقد أصابه مرض ومات. ولقد خلفه في المنصب ابنه عبد الكريم - وقد كان يحمل نفس اسم به - الذي ترك ل بعض المذكرات بعد نضب معتصمي هرميا من ل شت ابو خسر علي في العشرة الأولى من شهر رمضان 1048 هـ (17-8 يناير 1638 م)، كما يحول له العرمان حق فرع الطول لجمع المؤمين الدهيين لأداء فريضة الحج، ويلزم كل من يتحقق بفاكهة لا تصباغ لأوامره وطاعته.

بوصولنا إلى العام 1637 يصل إلى فترة الاضطرابات العامة؛ حيث تار كامل الإقليم بما فيه الصحراء ضد السيطرة التركية، وأحق بها هزيمة لم نهض منها، لا بعد عدة سنوات وبكثير من النضجيات، ولكن هو صها كان يدياً لمستقل سلطوي لا منازع له.

لقد كانت هذه الأحداث موضوع بحث مهم للميل فيروا المنرحم العسكري وأمين الجمعية الأثرية لقسطية وسورد فيما يأتي بعض المقاطع

- 1 حول مسأله الحدود رجع مقالاً لبرو وعري *Revue africaine* - IV p.406 et suivantes
- 2 هذا العرمان بندي محور على نسخة الأصم صائد عن الشاعري وهو يؤكد أنه في شهر يناير 1638 كان هذا الباب هو المحاكاة في الخرائط ونسر يوسف وهذا ما بدعه بندي شطه مبرو وعري في المجلة الإفريقية، العدد 99، ص 349، حول تعبير عن سوي شيرس اب الخرائط يوسف وعلي بندي تعبر بالأعمال المتألفة التي تعرضت لها سنة يوسف خلال هذه حكمة عظمته مما كان يُستعمل في كل مرة لاستصلاحه

من هذه الدراسة¹، وتحتها بالملاحظات التاريخية التي قام بها برودوري هذا الموضوع، وتحتها بالمعلومات الأصلية التي استقيهاها بأهنتها.

لرى أولاً ملخص الوثيقة المحلية التي درسها فيرو حول هذه الانتفاضة؛ والتي تُعرف بثورة الرعيم الصحراوي شيخ العرب، أحمد بن الصخري.

في يوم الأربعاء من عرة شهر صفر من عام 1047 هـ (يوليو 1637 م) قام مراد، باي قسطنطينية، بالحكيم جنوبي اندسة²، وهناك استقبل لشيخ محمد بن الصخري بن بوعكار العنوي شيخ العرب، وسجنه عنده؛ حيث تقرر في المجلس الأعلى إعدامه بخروجه عن طاعه حكومة السلطان، وذلك بعد استشارة السيد الموقر علي باشا وديوان الخرائر وبعض الأعيان الذين تفهرو بالإجماع على إعدامه. فتم قتله ومعه ابنه أحمد وستة من الشخصيات البنية العربية، وعُرضوا في الشوادة (حيمة المحكومين أو المحرّمين)³ التابعة للمحجم، ثم قُطعت رؤوسهم وأُرسلت إلى قسطنطينية وعُلّقت على أسوارها، ما عدا رأسي الشيخ محمد وابنه، الذين لم تُرسلوا إلى هناك.

بعد عام من هذا الإعدام؛ قام أح نصحية المسمى أحمد بن الصخري بتنظيم كافة العرب الرُحّل والخباشة وجميع السكان، من أبواب تونس حتى أبواب مدينة الخرائر، رافعين نداء الثورة على الحكومة التركية وسار نحو قسطنطينية على رأس قواته؛ فخرج سكان المدينة لمواجهة المعتدين، لكن أحمد بن الصخري انقضّ عليهم فجأة بجياله ومقاتله، وقتل منهم حوالي خمسين وعشرين رجلاً؛ فسارع القسطنطيون هلعون بالاحتفاء وراء أسوارهم وفي اليوم التالي ذهب أحمد لرفع الرعب في الملخص الأبيض بالحمامة وكل لحظة

1 انظر Revue africaine, n°57, p. 179 et suivantes.

2، الخناقة في جنوب قسطنطينية؛ يُحتمل أن يكون هو المكان الذي كانت تُعسكر فيه الجيوش التركية، وهو يقع على بعد أربعة كم من المدينة على ضفاف وادي الرمال.

3 في كل عجم تركي نصب «الشوادة» أو حيمة للمجرمين المحكوم عليهم بالإعدام، أو ببساطة، وبداخلها حيمة الخرجى أو الإسعد أو حيمة العزل - للمجرمون الذين يتمكنون من الخروج إليها يسعون بأنفسهم.

وهذا عرض تحليل «الأب دان» كما أورده بربرو عر .

«في شهر سبتمبر من عام 1638 رفض الموريون (Maures) بصواحي مدينة قسطنطين دفع صرية اللزعة أو الصرية السوية؛ فأرسل إليهم بس الحرائر، يوسف، محلة أكر من المعتادة لإرغامهم على تسديد ثلث لعملة، ولما علموا بذلك؛ تسلحوا بقدر ما استطاعوا وقرروا الدفاع عن أنفسهم، وكان من بينهم شيخا قريتين يسمى أحدهما حلدأ والآخر س علي مراد، باي قسطنطين، الذي تنهى الأمر بحماية صرية اللزعة، وخدمه أمام موقف الموريين الصليب، بالإضافة إلى أن عددهم مجتمعين كان يفوق عدد قواته فطلب مساعدة من الحرائر، فأرسلت به مئة خمسة نفر كل واحد عشرين رجلاً، وكان على رأسها القائد يوسف.

قبل أن يتحالف مع جيش مدينة الحرائر، كان مراد باي يدخل محنة المكونة من أربعة أو خمسة رجل، وهو بعد المعتد لمحلة الحية، في مفاوضات يومية مع المتعصبين الذين كانوا يحسون الدفاع عن أنفسهم أمام كل هذا، وإدراكاً منه بأن رفض الموريين دفع صرية لم يكن إلا حجة طاهرة، وأهم في الحقيقة كانوا يريدون الانتقام من مراد باي الذي قتل أح من عبي الذي كان أحد شيوخهم؛ قرر القائد يوسف أن يجتري المتعصبين هدية، وتفاوض معهم، حيث وعدهم بتسليمهم باي قسطنطين وذلك بربوب سب الثورة؛ وهو الأمر الذي برصي ديوان الحرائر؛ لأن مراد كان ثوباً حاداً، ويموت بعود جرة من تركيته إلى لديوان.

وصلت أخبار هذه الصفقة إلى باي قسطنطين، ولكنه تظاهر بجهل الأمر وعدم دعاه القائد يوسف لمهاجمة العدو من جهة يسار تحصره حامية الحرائر من الجهة الأخرى، لئلا يدعو وقاتل سائلة قبل أن يلاحظ تراجع يوسف وسط شيء من الموضي؛ فلم يتردد مراد في الانسحاب مع حصة مما أراد من حدة صربات الموريين ضد أثر ك الحرائر، فأرغموا من بصرهم على المرور بطريقه محرية وفي مدينة الحرائر، ألقى القائد يوسف باللوم على

بأن قسطنطين محملاً بهذه مسؤولية الجريمة بحجة أنه استعجب خلال الوقت
بحسب من المواجهته لكن مراد كان له أصدقاء أقوياء من بين أعضاء الديوان
فجح في التخلص من التهمة دون أن يكلفه ذلك أموالاً كثيرة.

وأخيراً، فإنه يوجد لدينا من بين الوثائق البادرة المتعينة تلك الفترة،
ما يشبه المذكرة؛ كان قد كتبها أحد الأشخاص ممن شاركوا في تلك الحملة
التاريجية والتي بعثها في شكل رسائل إلى أصدقائه في عناية وعلى عرر جميع
المؤثاق من هذا نوع فإما لم تكن تحمل بارحاً، كما صحت بعدد من الساعات
العامصة بسى، بلا شئ، كانت معروفة لدى المرسل إليه الذي كان على دراية
بالأحداث الرئيسية، وبكيفية كانت ستتكتسي قيمة أخرى بالنسبة له اليوم إذا
كانت تضم تفاصيل أكثر بدقة أكبر ومع هذا، ولا ينبغي الأهمية عن هذه
لروية رغم أن صاحبها كان من حبة الأتراك الذين تعرضوا في هذه الحملة
هزيمة نكراء.

هذا يد، مكتبه النسخ عيسى بن محمد النعالي لأسده سيدي على بن
محمد الساسي في عناية

بعد توطئة ونحيات طويلة مريحة لحلف أفراد العائلة به اصل
الجن موحدون حياً في شؤوس، وسأروي لكم ما حدث باحصار. عندما
خيمنا بالقرب من قسطنطين، دم لقتال ثلاثة أيام ضد العدو (بعضد أحمد بن
الصحرى واتدعه) الذي فقد أربعين رجلاً لقد بشا هناك حوالي نصف شهر،
ثم رحبنا في عقاب العدو الذي هزمه في موجهتين حديدتين، ثم تقدمنا إلى
الأمم مواجهين إياه في معركة أخرى؛ حيث كانت حوشنا منظمة جداً، واستمر
القتال من الصباح إلى المساء في اليوم الموالي، الذي كان يوم حبيب، براهي العدو
لكن ما استطاع أن يجمع من أتباع ومجندين؛ حيث لى الجمع بداءه وخاصة
صعاف السهوس الذين اعتقدوا أنه سيكون يوم نصره استمر الاثنان من الصباح
بى ما بعد غروب الشمس، وهزم فيه العدو وظلة عدة أيام عد نفوه ولكن
دون نجاح يذكر، قبل أن يفقد القائد اسه.

بعد ذلك واصلنا سيرنا وأقمنا محضماً بعداً وهناك، وفي يوم أربعاء بعد

صلاة العصر، وقعت مواجهة بين العدو والأتراك الذين هُرموا شر هزيمة وخسروا أكثر من مئة وعشرين رجلاً، وبعد يومين توفي صهره شيخ أولاد...

من ذلك المكان توجهنا إلى وادي الذهب؛ حيث خيّمنا لمدة أربعين يوماً تقريباً والسبب يعود إلى أن العرب (المنتقصين) الذين بلغهم أن حامية من الجوارح متوجهة إليهم من أجل الانتقام للهزيمة السابقة، قد رفضوا الانسحاب قبل التواجه معها. وخلال هذا المعسكر وقعت مناوشات كثيرة كانت كلها في غير صالح العدو، رغم أنه لم يذخر أية وسيلة لجمع أكبر عددٍ من القوات لدرجة أنه استنجد بسكان الراب الذين دعموه بمقاتليهم. ورغم هذه التحصينات، لم يحدث ما يستحق الإشارة إليه قبل وصول الحامية؛ حيث وقعت معركة كبيرة. (لم يتحدث الكاتب المحار عن مآل هذه المعركة التي كانت قاسية على الأتراك) بعد ذلك خيّمنا في فحل حيث أفسدت جميع الحبوب، ومن هناك انطلقنا وألحقنا بالعدو هزيمة نكراء، وسبناه ألفي رأس بين أعينهم وجمال. ومن ثم جاءنا أولاد ناصر بن خالد (من أهل الاستلام)، أما الفايده فقد فرّ هارباً إلى الصحراء، وباختصار، فقد خسر العدو في هذه الحملة أكثر من 250 فارس وحوالي 700 حصان، وتوفي أخوه وخمسة عشر من القادة النبلاء ولأعين. ومن جهة العرب التابعين لنا فقد فقدنا ستين فارساً... والسلام.*

رغم التفاصيل الواردة فيه، يدع هذا الكشف الشخصي محلاً لكثير من الإهام حول الحملة التي يرويها إذا لم تكن لديها الوثيقتان لسائقان لتتبع عليها، حيث جاء فيهما أنه إذا تمكّن قادة الثورة من إثارة كسل الجيوب، وربما بعض القبائل القريبة من سطيف، فإن الأتراك أيضاً كان هم الكثير من الأتباع العرب. وهناك حدث يدعو للملاحظة؛ وهو لدعم الثابت الذي قدمته العائلات الشريفة الدينية. وفي هذا الإطار نجد عدلة من يقولون في قسنطينة تساعدهم بكل قوتها من أجل استقرارهم لأول مرة، كما رأينا أيضاً أحد أفراد عائلة الثعالبي الموجود بساحية بروج نوغرييرج ينحار إلى جانبهم رغم حمله للقب مرابط يُفترض أن يبقى بعيداً عن ساحات المعارك، وهناك

* نص الرسالة ليس أصلياً؛ فهو مترجم من النسخة الفرنسية المعقولة من الأصل.

أمثلة أخرى سترها لاحقاً.

ويعود إلى مراد باي بعد هربته في فحال، واستجابه لثباتي المحيرة
 اني أحدثها لمتصون في الحيوش الحائرة؛ تمكس مراد باي من القرار
 ولكن في أي اتجاه؟ وماذا حدث له بعد ذلك؟ هدد ما نجهده بملك
 الاعتماد، حسب العذاب انوارده في الرسالة، أنه لم يسحب قوته من
 لصراع، وأنه سيتحالف مع العرب الساعين له استطاع، بو عا ما، ان يهدي
 اثورة لتي لم تكن تهدف إلى أقل من قلب الحكومة التي يعكس بمقابلتها.
 ويمكن أن يكون قد توجه إلى نقاوس لشهد استسلام اولاد ناصر من خالده؛
 لدين ذكرهم صاحب الرسالة، ومن هناك سلك طريق قسطنطينة بعد بعض
 السجاعات الحربية لتي لم تكن لها نتيجة دائمة

في السنة الموالية (1639م)، وحسب تقرير الأب دان، أرسل من مدينة
 الخرثر جيش آخر من أجل الانتقام هزيمة فحال؛ فكان سطرهم عدد
 من لقائل يهوى عددهم في المرة الأولى ووجد الأتراك القدمى من كل
 حذب وصوب أنفسهم مقطوعين من الإمدادات ومهددين بالسموم جوعاً
 وعطشاً بولا أن هب سحبتهم مرابطاً دو شون عظيم مقابل الشروط التالية

- 1 ألا يقلق لأمرث المصمى بدانشان المرمه
- 2 أن يعودوا مباشرة إلى الخرثر، ولا يلتفتوا لأسم ولا شيلا، ولا قطعوا
 إرثاً
- 3 أن يعيدوا بناء حصن فرسان* (Bas ion de France)، ولو حققه حيث
 يذهب المتصون لأسسهم جنوبهم باخود اني يدفعون منها ائمة، لأن
 اسيارهم يصرف قد منهم من دفع أي شيء
- 4 أن يستدعوا جميع الكراغلة إلى مدينة الخرثر، وأن يعيدوا هم ماضيهم
 والفهم التي حرموا منها نصفاً.

* حصن فرسان (Bas ion de France) مصرف كبرى اسمها قرب في مدينة بومانية
 وهو من أهم المواقع في المنطقة، حيث كانت من أهم المراكز العسكرية في المنطقة
 من سلطنة الجزائر (المترجم)

بعد تثبيت هذه الاتفاقيات ترأس المراتب فريق الخرائط، وأعدوا لي من يهجه سيكون عدواً لله ولرسوله، ثم توجه به إلى مدينة الجزائر، حسب لقي تدخله جزاء غير محمود¹.

هذه هم الأتراك، إذاً، يحدون أنفسهم مرعبين على التخلي عن حكم هذا الإقليم الذي وحدوا صعوبة كبيرة في الاستقرار به وحلال عدة سنوات، حسب وثائق أصلية جمعها فيرو، كان الخراءان الجبوبي ولعربي حاصصين لعائلة الصحري، التي رأيت أن قائدها أحمد كان محرك وبطل الثورة التي أدت إلى الانفصال الخطير عن العراة الجدد أما باقي الإقليم، وخاصة قسطنطين، فقد بقي عارقاً في فرضي، الفتن والتنافسات المتصاعدة

وبكن ذلك يوسف الذي كان حينذاك حاكماً على الجزائر، فلم يكن بإمكانه فقدان إقليم، كان قد استلمه من سلفه، دون أن يتحمل مسؤوليته كبيرة، كما أن الباب العالي كان له الحق في مطالبة بتقديم تقرير صارم لقد كان واجباً عليه، وبأي ثمن، أن يرحع المتمردين إلى حظيرة الطاعة ولكن قبل المحاكمة مرة أخرى بواسطة سلاح خشية تعريض جيوشه لغضب آخر. أراد التأكد من إسهام الحرب ليدبي لدى كد دنيا، كما رأينا نفاً، هدم دعمه لقضية العزاة

وفي هذا الإطار توجه إلى العدلات الرئيسة التي كانت ترعّم له، اندسية وفي مابل ارسالة التي كتبها في بداية عام 1641 إلى محمد اناسي لي عمة لدى كد به مراسل عيسى بن الشعالبي²

لأن عبد الله القوي المتصرف بقدرته أبو الجمل يوسف باشا وفقه الله لما يحبه ويرضاه، إلى سيدي بقيقه لتقي الصالح الوالي... أبو عبد الله سيدي محمد اناسي راده الله عن فضله وأكثر من أحبابه وأولاده.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعلمكم أننا قررنا الذهاب إلى وهران لتدبئة الجهاد وانتزاع هذه سلا من

1 نظر Revue africaine, n°59, pp. 344, 345 et suivantes

2 استخرجنا هذه المراسلة من مجموعة وثائق كتبت بعد قرن من الزمان من طرف أحد أحباب محمد اناسي اسمه

حزب الشيطان، وتحررها من الخطيئة والكفر والصلال، وإيقاد مشعل الإيمان، وهذا بعدها شعلنا عن قصايانا لنضع حدا لهذا الشر بسبب الفوضى التي ميزت المسائل الدسيسة في هذه البلاد وكما تعلمون، فإن المعارضات المخضاربة والتفرقات قد رادت إلى درجة بروز عده أشكاف من لفوضى التي تمفنها العدالة وترفصها الطبيعة لقد دهست جميع مظاهر طاعة لأمر لتي هي من طاعة الله، وحلت محلها أسس الظلم والحوور بقد اتبعوا وساوس الشيطان فحلّت الغطرسة، لقد كُذّب الحق وضدّق الباطل وغُطّم الحقير وحُفّر لعظيم.

لقد تركنا أسلحة الجهاد تستريح منتظرين الوقت المناسب لإبحار بوابنا، وقد اتبعنا في هذا ما جاء في كتب الله، حيث بدأ في كل أمر بالضرورة حتى نص إلى متعانا ولهذا حددنا التحصيرات التي أمتها علينا الظروف، وبعد أن دعونا واستحربنا الله، قررنا، داعبرنا لحكم، أن يستقر في إقليم قسطنطينة وأسلاد لتابعة له، وأن يتقدم إلى سكرة وما وراءها حتى يعاين بأبصارها ما يصلح لعادة السكان، ونشر الحق، ومحو لظلم وشرف العالم، ونعم الجاهل، ويصلح الأسس المقلوبة، وندعم المؤسسات، ونصنف المصالح العامة، ويصلح الأخطاء، ونراقب تحصيل الصرية، ويرقب عمال لإدارة ومساعدتهم، ويكرّم من يؤدّون واجهم على أكمل وجه، ونعزل من كان غير لزيه.

بقد اعترفنا بأنه من أجل إبحار ما كلّمنا الله به في خلقه يجب أن نتكامل شخصياً بمتابعة هذه الأمور، وهدفنا أن يكون راصياً علينا وأن يبقى سائرين في سبيله.

يكتب لكم هذا لتعرفوا حقيقة بوابنا، ولتقفوا على صدق أفكارنا السرية، فأخبروا أهل بلادكم بوابنا والتحصيرات التي نقوم بها لإعادة الهدوء بين شعوب الإسلام، فانتشروها في كل مكان ورافقوه بالصانع التي تملئها عليكم حكمتكم وحكمة رجالكم الذين هم في صفكم؛ لأن الأمة الإسلامية لا يمكنها أن تحافظ على دينها وعلى حياتها المدنية دون سيف حاكميه ومواعظ قديتها الروحانيين أرجعوا إلى الله، بالموعظة الحسنة، كل من انتعدوا عنه؛ وبذلك تقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنما توجهت إليكم وليس لأحد غيركم حتى لا أحهد نفسي لأشرح له تفاصيل

هذه الفكرة ومبرراتها المنطقية وكل ما تتضمنه، لكن هذا غير مطروح معكم. إنكم في هذه الساعة قائد المسلمين في منطقتكم، والمصلح الذي يحيط به كل أهل السنة حفظكم الله لهذه البلاد التي أنتم بركتها، ولحلقه لدين أنتم ملجؤهم.

كُتب في العشر الأوائل من ذي الحجة، ألف وخمسين للهجرة (23 14 مارس 1941 م). في هذه الرسالة عرّض الباشا يوسف لسيد محمد الساسي الإجراءات التي وضعها لإعادة المطاطة المتمردة إلى سلطته، وحثه بشدة على مساعدته. سألته في عملية التهذيب هذه؛ وأحاطه بالمرابط بطلب الرحمة والمعرفة هؤلاء المتمردين. لقد كان يريد تهدئة عصب الباشا وتغيير رأيه بإحاطته بأن سكان سيحودون وحدهم إلى انطاعة دون اللجوء إلى إرغامهم بالقوة، غير أن الباشا لم يكن يثطره هذه الآمال، حيث أرسل إليه كتاباً حديد بعد شهرين من بصره:

«أحمد لله، إلى سيدي محمد الساسي في عناية، إلخ.

لقد تلقينا كتابكم سيدي تلتصقون فيه العفو عن مدّين، وتطهرون الصبح عن مخدّتي المشاكل والجرائم ولكن اعلموا جيداً أن الكثير حقائق المسألة ولا يعبر اهتماماً تهديدات القمع ولا يستفيد من دروس التجربة. حيث أن هناك أمثالاً للحكماء تقول: «فل أن تمشي تأكد من أن الأرض التي تضع عليها قدمك صلبة، وقس أي تصرف فكر في عواقب تصرفك»، ومن يرور الأسد فيستعد لمحالته، ومن يريد أن يقلب الرمان يقلب الرمان. وثورة على الحاكم تُسقط الحماية وتجلب لصاحبها العقاب المثلالي.

إنكم لا تجهلون الأفكار المتمردة التي أداستهم والتي تستحق توبيخاً قاسياً لأنه من يتكلم بطريقة غير لائقة يسمع ما لا يعجبه، ومن يفعل ما يريد يهدم بضره. وهؤلاء يستحقون قمعاً رهيباً إذا لم نراع فيهم رحمة الله وتقدير الاحترام الذي نكنّه لشخصكم.

وانيوم نكرر ما قلناه لكم حول الحملة (صد وهران) التي أقبلت عليها قبل أن نجرها في وقت لاحق. وأما بالنسبة لكم، فما يحب أن تفعلوه هو أن تفكروا

• نص الرسالة ليس أصلياً، فهو مترجم من النسخة العربية المنعولة من الأصل.

في الوصف الذي يوحده فيه، وألاً تتجاهلوننا، وخاصةً ألا تنسوا، في سكون الوحدة والصلاة، أن تدعوا بالسعادة لاتباع الرسول، وأن تكرروا لهم دون انقطاع بأن يطيعوا لسلطان، لأن طاعة السلطان من طاعة الله. إنه من واحكم أنتم شيوخ العلم أن تشرو لمبادئ الصحيحة باعتباركم المحيطين بأحكام الشريعة ودراسة ما يتعلق بها.

كتب في العشر الأوائل من شهر صفر من عام ألف وواحد وخمسين للهجرة (11-20 مايو 1641م).

من عبد الله أبو الجبال يوسف باشا، فتح الله له أبواب البصر وهداه إلى ما يحبه وبره.

تكون قد نعتت رسائل مشابهة إلى الرعماء الدسيس لأحرس الأكثر تأثير في المقاطعة وعندما يحضر الشل والوسائل التي من شأنها تأكيد بصره

من يوسف باشا يوسف عن إنجاز عمله.

لقد قدم يوسف باشا من قواته برأ، يساهم ركب البحر معه على رأس فرقته الخاصة وبرز في عداة ثم سار نحو قسطنطينية حيث كان أولاد سيدي

عبد الله من يشككون حرب معارضة وبعد نصيب معه سيد بلمدية بقي فيها، حسب إحدى الروايات، حواري عدم، ثم عادها بعد أن نزل فيها حامية

تركية، وارجع أولاد سيدي عبد الله من إلى مكاهم، وشرح في ملاحقة الشيخ أحمد بن بصحري، سيدي كان مع بران مع العرب المتعاضين ميذا الجنوب

المقاطعة وفي طريقه دحرجه مع دحرجات، كما تحدى وهرم كل من لم يرافقه أمام نفسه، أو لم يستسلم له ولا يعرف إذا كان الشيخ بن الصخري يبحث عن

موجبه شخصاً في حلال مسيرته، فالتاريخ يذكر لنا أولاً إن كان الشا لم يكن أية مساعدة مع هذا القائد، ولكن يوسف كان قد وصل منتصراً إلى

مشرق مدينة سكره حيث لم يحول حتى الدحول إليها ومن هناك واصل مسيره لاستعادة فاطمة كل احوال العرب للمقاطعة، وشرع في تحصيل جمع

من لاء سكان الذين كانوا غير معبرين تماماً بسلطته منذ ثلاث سنوات، ثم عاد إلى مدينة الجزائر حيث وصل إليها مع منتصف عام 1642

من لاء سكان الذين كانوا غير معبرين تماماً بسلطته منذ ثلاث سنوات، ثم عاد إلى مدينة الجزائر حيث وصل إليها مع منتصف عام 1642

نقد كانت هذه الحملات لامية موعاً ما بالنسبة لقوات الباشا، ولكن نتائجها كانت فاصلة الأمد، فكل ثورة أخذت أو شُتتت في طريقه كانت تقوم وراءه بحرب مدبرة بعيداً عنها، وما إن دخل إلى الجزائر حتى عادت البلاد إلى ما كانت عليه في السمر والعصيان إن الريادة في الترحيلات وشرارة الأحرار من شأنها هما فقط إرجاع البلاد إلى الطاعة يوماً ما؛ وذلك بجعلها برعب في سلطة مؤسسة بقوة تستبدل الموصي بالنظام، ولكن هذه الساعة لم تجب بعد.

في 12 أكتوبر من تلك السنة، 1642، (الإثنين 18 رجب 1052هـ) اندلعت اضطرابات جديدة بين سكان قطيبة، وتحديدًا بين الأتراك المذكورين للحامية وأولاد سيدي عبد المومن لقد دار القتال في شوارعهم يومين دون انقطاع، حيث أصيب أربعة وعشرون رجلاً ولحقوا حتفهم، كما أحرقوا كثيرون من حاسبين وحوصر آل عبد المومن في حيهم وأحرقوا على إغلاق بيوتهم على أنفسهم، وأغلق باب الحامية بالمناير من أجل قطع كل اتصال مع الخارج ومع سكان الصواري من محذهم وفي الآخر انتهى الصراع، وأرجحت تاريس بفصل تدخل رجال القضاء والسلام بين الحربيين؛ وبذلك عم الهدوء لفترة من الزمن.

أما خارج المدينة وفي باقي مناطق المقاطعة فقد تلاشت سلطة الأتراك تماماً وجاء هذا في رواية محلية نقلها برور عمر مصاربت مختصرة ولكنها لا تترك أي مجال للشك في هذا الشأن 1643. أهم ثلاثة قبائل للجزائر الجزائرية في الشرق وهي قبيلة الفريد يوسف، وقبيلة القايد مراد، وقبيلة القايد شعبان¹.

وفي السنوات اللاحقة، وإضافة إلى الاضطرابات العنصرية والحرب الأهلية جاءت شروخ أخرى أكثر فتكاً؛ من الطاعون إلى القحط والمجاعة ففي 1054هـ وحلال ستة أشهر متواصلة، من حمادى الأول إلى شوان (من يوليو إلى ديسمبر 1644م)، فتك الطاعون بالكثير من الضحايا. وقد كاله

خطر محسوساً بالأخص في شهر رمضان، حيث قضى في ثلاثة أيام على أكثر من ثلاثمائة شخص.

في 1057 هـ (1647 م) عمّ القحط، وعانت المنطقة بأكملها من الجوع فارتفع ثمن الحبوب إلى درجة أن صاع قمح (أو 460 لتر)، حسب ما جاء في روايه معاصرة لتلك الفترة، أصبح يُباع حتى ثلاثة ريالات، وصاع الشعير بحوالي ريال ونصف. وسقطت كل المقاطعة مرساة للجوع، فكثر القتل والهلب، وبقي الصعفاء الذين لم يجدوا سلطة ناجعة تخمبهم من هجمات الأقرباء، فكانوا ضحية لتقلبات تلك الفترة.

لقد توخبت حينها، عن عرار كل البلاد في مثل تلك الظروف، تشكيل مجموعة من رجال الخير حيث أن قادة الحركة أنفسهم أحسوا بأن الأحداث تجاورتهم وأصبحت تهدد حتى وجودهم في حصص لتعدد الذي كان بعيداً عن الاحتواء، فاجتمعوا مع رجال اسلام للتفكير معاً في الطرق التي من شأنها درء خطر والخروج من العوصى التي كانت ستصبح صدهم.

استطاع الشيخ عبد الكريم لفقون، بمصل تأثير منصبه الديني ووضعته الذي وممراته الشخصية، أن يكون المحور الذي تحالفت حوله أكبر الشخصيات التي كانت تريد وضع حد للفوضى وبتنسيق جماعي تقرر كتابة رسالة حصوع لاشا الخيرات ومطالبته بتعيين حاكم لهم فسارع الشاشا بالرد بأن عليهم اختيار الرعيم الذي يريدون أنفسهم، وأنه سيوافق على ذلك الاختار وتوخذت أصواتهم على فرحات ابن مراد الذي باعتباره الرجل الأصح هكذا وصحة، بمصل مولده ومراياه الشخصية فصادق الشاشا عن هذا الاختيار، وأرسل لمتحب مواطيه فمظان الولاية ولقب ماي لإقليم شرقي لقد شارفا على نهاية عام 1647 م

1 من هذا يمكن أحد فكرة عن قيمة نعمة في تلك الفترة فالريال سطة، العملة الوحيدة المعروفة آنذاك، يعادل اليوم ما قيمته مئتيين ومئتين سماً من عملتنا وصاع قمح كان يساوي في عام القحط خمسة مئتيات. ومنه دجونا إلى فلسطين، رأيا الصاع منه، في سواب الرخاء، يربوا إلى 18 فرنك لا أقل، ولكن في سنوات القحط، مثل عامي 1864 و 1867، ارتفع إلى 60 فرنك فالفرق إذاً معداد على الأقل خمسة إلى مئتين بين القيمة في ذلك الوقت والقيمة الحالية

فترة الأولى. من 1514 إلى 1647

منذ ذلك اليوم، أصبح تاريخ قسطنطينية كله يرتبط ويتلخص في
تاريخ سلاطين محكماتهم المقلوبة أو المروضة كانت دائماً حاضرة لنفهم
واعتاد، ونكتة لا تقاوم أبداً من أجل الحفاظ على مبادئها وسنعرض
لذلك سريراً لتعريف عبر المقطع للآيات، من فترات سنة 1417 م وصلاً
إلى نجاح أحمد سنة 1837 م.

الفترة الثانية من 1647 إلى 1792

فرحات باي 1057هـ، 1647م

لقد قام الكاتب العربي سيدي صالح بن العنزي، مؤرخاً، بشر تاريخ مختصر جداً لنبات فلسطين¹، وقد حدد تاريخ دخول الأتراك إلى هذه المدينة عام 1640م، كما حدد فرحات كأول باي مُعيّن من طرفهم على رأس إقليمي (شرق).

من متوقف للبحث عن المعالطات التي أدت إلى هذه الحقيقة المردوحة، بل يكفي بالقول بأن سيدي صالح لم يُقِم إلا بشاع رأي مقبول بصفة عامة في أوساط المسّ الدين عاصروه² وبذين وصلت إليهم ذكريات مهمة عن تلك الأيام، وهو الرأي الذي لا يعتمد على أية وثيقة مكتوبة، ولا يبدو أن يكون أكثر من نتيجة لكثير من الدس.

لقد اعتبر أول مستعمر للأتراك في هذا الإقليم ما كان ثالث استرجاع لسلطتهم؛ التي كانت حتى ذلك الوقت غير مستقرة وغير معترف بها علنياً، مع أنها سيطرت على البلاد، دون مدع، لأكثر من مئتي سنة قبل ذلك التاريخ. فالأحداث التاريخية الواردة في هذا العمل، وعديد الأدلة التي قدمها لدعمها تؤكد هذا شكل واضح إذا قلنا هالك مجال للرجوع إلى نقطة لا يمكنها، اعصاراً من ليوم، أن تكون محل شك وقد طمس ملكا

1. أول مخطوط عن تاريخ فلسطين، أو ما يسمى بـ «فريدة مؤمنة» لصاحبها صالح العنزي، أمين إدارة الشؤون العربية، نشره د. فليكس غاندا (Félix Guenda) في قطعه عام 1846

الحمد لله ليعلم من يقف على كتابنا هذا
من القياد والعمال والحصص والعام ببلد قسنطينة
سدد الله الجميع أما بعد فبنا أدينا
عشور ما يأتي في جبل أوراس من الفراش
والجزمة للحامع الأعظم كما جرت لعادة
السابقة في حياة أوائلنا البايلار كل ذلك
رعياً لوجه الله العظيم من غير انتكاث
من و لا انتقاص ومن يتعرض في هذا والله
يتولى الانتقام منه وقد قدمنا على هذا
العشور المكرم، بنا علي العاصمي ورفيقه
عبد الرحمان بن كريمة هو لا يتولون هذا
لعشر تمويصاً تاماً من غير قول لنا في
ذلك ولا رجوع وعلى الواقف بحسب
أن يعلم بذلك ويعمر به وكتب
هذا الأمر عن إذن عبد الله سبحانه المفوض
أمره إليه أبي السعدات فرحات بي وفقه
الله بتاريخ أوائل دي القعدة عام ١٠٥٧

يرافق هذا التاريخ العشر الأوائل من شهر ديسمبر 1647م.
في أعلى لهما مش يظهر خاتم مربع الشكل، وهو على أغلب الظن
لمرحلات بساي؛ لأن الأثر محو ودرجة لأتسا لا يستطيع قرءته

إن هذه الوثيقة أهمية تاريخية لا تُصاهى فهي تعود إلى شهر أو شهرين بعد وصول لبي فرحات، لأن هذا النوع من الشهادات يُحرر دوماً في الأشهر الأولى من تقدم الدساتير للسلطة، ثم إنها تاتي تؤكد، بطريقة رسمية، الحصانة التي طالما أُشرب إليها بأن فرحات لم يكن إطلاقاً سائياً الأمر الذي عرفته فلسطين؛ لأنه يقول هو نفسه «لنا أدينا عشور كما حرت المرأة المسافرة في حية أرايت البايلا»

حول هذه العادة التي يؤدي للحامع الذي تديره عائلة من لففون، حور امشور على الرراي وحش النساء انقدمة من لأورس بن فلسطين، نفوس بأن عائلة بن لففون كسب تنحدر من هفونة؛ وهي قرية في الأورس، مثلها وحدث ذلك في مخطوط حول أصول قبائل وأكبر عائلات سلالة صفحة سيدي عبد القادر امشوي الذي كان عاداً كبيراً ومعني فلسطين في عام 761 هـ (762-763 م)، ولكن آل بن لففون يسكرون هذه الحفنة، ويذهبون باب اصيهم من تميم صفحاً وحده في كتبهم بعد بكرهم بن محمد بن عبد بكرهم بن يحيى بن محمد لففون انتميمي الأصل، الفسطيني لإقامة

بعود بن فرحات في ربيع عام 792، قام هذا الذي يجمع مداحين لصراف ولركة ولعشور، واتجه إلى مدينة الخرنر شقبيها إلى الدساتير، وقد صفحه أعضاء العائلات ابو حبيبة في المدينة وعد وصوله إلى الخرنر، استقبله بوضع حكومة لتقديم عداوات لتهدي ولا احترام وتبني العطايا واهدايا؛ فبالعو في مدحه وانشاء عبه

بعد إقامته لمدة نهية ادم في لعاصمة، قصد فرحات انشاء، وطلب من اعماء وقبوس استقبله، وتعيين ماي اخر مكانه معججاً بحالته صفحة، التي لم تعد تسمح له بإدارة حكومته م يوافق لماش على هذا طلباً لنادي الأمر، ولكن ادم إلحاح فرحات وبوسلات أعضاء ديوانه جاء قراراً المصالحى والمحرب في أي واحد، حيث اتفق أن يعين امه محمد حنانه، وكان بوريره 10 أكتوبر له بأسى عبته باياً على فلسطين شرط أن يارس حكم عب سطة أبيه، وأرسل إليه قفطان التولية.

فهل فرحات وحاشيته عائلتين إلى قسطنطينة، ولتقوا الحاكم الجديد في حمرة (سيرة)، وهناك أعين بآياً وتسلم مقلد الحكم هذا المثال لاستقالة الـاي الطوعية يُعتبر نادراً في تاريخ الإيالة؛ وهو ما يجعلنا نركز على الإشارة إليه.

عاش فرحات سوايت أخرى محبواً ومحترماً من طرف كافة مواطنيه، لدس أعاد لهم الطمأنينة والرحاء مع انضمام نوي في 25 ربيع الأول 1075 هـ الموافق لـ 16 أكتوبر 1664 م، وكان قد تزوج لمرأة الشهيرة عريضة ناي، التي سوف نتطرق إلى نهايتها المأساوية.

محمد باي بن فرحات

1063 هـ، 1653 م

خلال حياة أبيه لم يهرس محمد إلا سطة اسمية، هذا إذا سلمنا بأن تعيينه، كما جاء عن العسري، صحيحاً؛ ذلك لأن ملاحظة وردت بقلم محمد بن عبد الكريم لفقون في آخر ورقة من مخطوط له تؤكد عكس ذلك؛ حيث يقول: اتولى محمد باي الإمارة حين مات والده فرحات.

ومن جهة أخرى، يقر في وثيقة كتبت في العشر الأوائل من شهر شوال 1060 هـ (27 سبتمبر - 6 أكتوبر 1650 م) بأمر من مر د، باشا أحرار، ومحتومة بختمه، أن الشح سيدي عبد الكريم لفقون حصر أمامه يحمل شهادة موقع عليها من فرحات ناي ورحب ناي، يشك له بموحيها حقه في تحصل الإناوات على سوق الخصر ولفواكه لمدينة قسطنطينة لصالح الجامع الكبير.

هذه الإشارة المراسمة للباي فرحات ورحب الواردة في وثيقة رسمية مؤرخة في عام 1650 م تؤكد، بما لا يترك مجالاً للشك، أن رحب تولى السطة بعد فرحات، وأنه ربما كان لا يزال يمارسها حتى هذا التاريخ. قد تكون هناك، إذا، فترة رسمية بين فرحات وابه محمد كان فيها رحب هو الحاكم وبها أسام محمد اثرأ في أية وثيقة أخرى، فربما يكفي بالإشارة إلى هذه الصعوبة

التاريخية دون محاولة البحث عن حلها بشكل آخر في ظل ندرة المعلومات
حالياً فلتقل الأحداث كما أوردها العتري؛ حيث يقول أن محمد وأمن
إدارة الإقليم لمدة ستين بعد وفاة أبيه، ثم حُلع وعُتق مكانه عمه رجب خلال
شهر ربيع الثاني 1077هـ (أكتوبر 1666م)

في عهد محمد انتشر الطاعون في قسطنطينة من جديد خلال سنة 1071هـ
لقد بدأ في شهر رمضان عام 1073هـ واستمر حتى يوم الجمعة 8 ذو القعدة
حيث هلك في يوم واحد خمسة من سكان المدينة وخمسون من سكان
الصواحي، ثم دخل الوباء في مرحلة تراجع، ولم يحتف إلا في نهاية ذلك
العام (من شهر أبريل إلى نهاية شهر يونيو 1663م)

كان آخر صحابا هذا الوباء الشيخ سيدي عبد الكريم لفظون الذي
سقت الإشارة إليه، والذي وضع عدة مؤلفات من بينها مذكرات حول
رجال وأحداث عصره. وقد توفي مساء الخميس 27 ذو الحجة 1073هـ (2
أغسطس 1663م)، ودُفن بيته.

وبموجب عقد مؤرخ بين 22 و 30 أبريل 1640م؛ تحصل من الصاخي
الخاخ مصطفى على تراب المعمار لمحجر الطين مقابل حسين ريان مسكون
من طرف البصري أنادهم الله ودُفّر ملكهم - هذه العارة التي بحدها
تتكرر كثيراً في العقود العامة المحررة قبل السيطرة الفرنسية؛ تؤكد بأنه رغم
قبول التعامل بعملة الأمم النصرانية التي كانت، دون شك، ذات قيمة
معتبرة؛ إلا أن المسلمين كانوا يعتقدون دوماً بوجوب الوقوف ضد هؤلاء
البصري.

وحلعه في وطبعة شيخ الإسلام ابنه سيدي محمد بموجب أمر من باب
الحرائر إسماعيل من حليل مؤرخ في العشرة الثانية من شهر صفر 1074هـ
(23-24 سبتمبر 1663م)، مصدق عليه في ليوم ذاته من طرف أعماخش

1 كانت هذه المذكرات بالسة لنا عوناً ثعباً في المهمة التي تقوم بها؛ بالنظر فقط إلى الأجره
القليه منها التي وُصفت تحت تصرف علأسف ذات جمع بحالات بالحصول عليها كانت
بالفعل أمام مجاهل أو سوء بيه الذين يملكونها وبعد عامين من الإلحاحات المستمرة تراجع
عن مواجئة هذا البعت الذي يلبأ بالوعود ولا يعفي إلى أنه نتيجة مدموسه

حليل بن عصمان (عثمان)، ومحدد في العشرة الثانية من شهر رمضان 1076هـ (نهاية مارس 1665م) من طرف آغا الحبش مصطفى بن حليل.

رجب باي

ربيع الثاني 1077هـ، أكتوبر 1666م

رجب؛ الذي يُطلق ويُكتب خطأ في بعض الأحيان «رحم»، كان قد حكم الإقليم حكماً راشداً حيث اهتم بمصالح محكوميه وشر العدل بينهم، كما يعود بناء مسجد رحمه بصوف في قسطنطينية إليه.

ونقرأ في مدونة لأحد معاصريه أنه، بعد موت أخيه فرحات، تروح من أرملته «عزيرة باي» ست «لقايد أحمد بن رمضان، وأخت شبي بن علي تشيبين» وقد تم الزواج بمدينة الجزائر؛ حيث كان محل إقامتها المعتاد، وهناك في هذه الروحة «مصلحة بيت حيلاً عُرف بدار «عزيرة باي»، وأصبح هذا المسمى لاحقاً الإقامة مؤقتة بنايات قسطنطينية عندما يعودون على مدينة الجزائر لتقديم ضريبة الدنوش¹.

تسلمه مثالي دارة نايتك الشرق، عادر رجب مدينة الجزائر ليستقر في قسطنطينية مصطحب معه روحه التي أسرت قلبه وعاش الزوجان لمدة سنوات حياة سعيدة إلى أن جاء اليوم الذي شهد لمأساة الدموي، وأنهى تلك العلاقة، التي لم تكن تشوبها شائبة، بطريقة غير منطوقة.

كان ذلك يوم أحد، لتاسع والعشرون من شهر جمادى الأولى من سنة 1079هـ (4 نوفمبر 1668م) فرعبةً منه لترويه عنها ومفاجأتها؛ أرسلها روحها لزيارة المطحنة التي انتهى من بنائها لتؤم في الحانة وانتقلت إلى هناك بصحبة خادماتها وعدة من العبيد، وكانت معها أيضاً صبية، وهي روحه أخرى للماي، وربيتها فاطمة بنت فرحات. وبعد أن زُرن المنشأة الجديدة

1 كان علي تشيب أمير ال (أمير بحر) لأسطول خرائري، انظر المحلة الإفرنجية، 1866،

ص 410

2 حوّل هذا المسمى بعد احتلال مدينة الجزائر 830 إلى «مأسفة»، وأقام فيه أسقف الخزان

ر كل تصليها، احتضر في حديقة «حد العسل» غير بعيد من هناك نصف
الليلة وعندما أرحى الليل سدوله، وترثت السماء بالنجوم، وحانت
وحده إلى عداها في الخيمة التي حصصت لها، وحل السكون على صاحب
سهر، لا شيء، يعكره إلى أن تزعج نجمة الصبح في هذه الأثناء، تقدم رجل
من حوط الفجر الأولى متسللاً إلى دحل الحذر الذي كان ساكنه لا يزال
نمور. في يوم عميق حراء تعب اليوم السابق لم يكن ذلك لرجل سون
«س سرده» الخادم الخاص وأبوي لرجب ماي. لقد توجه مباشرة إلى حله
لي برفق فيها عريضة دي، وبرودة أعصاب تم عن الطاعة العمياء سده
دحجهم ثم طعها تسع طعسات حتى يروي سبعة بدم ضحيته.

هكذا هلك هذه المرأة التي كان يعتمد عدد من الرواة الأوروبيين
سب عدم اطلاعهم أو سب تعييط بقها لهم، أنها واحدة من اببات
الدين حكما قسطنطين¹ فلا توجد أية وثيقة مكتوبة تدعم هذه الفرضية
كما أنه لم يكن من مبادئ السياسة العثمانية إسناد حكم المقاطعة لبلد بها
بعض من الكفاءة والقدرة.

م بورد الراوي دي نقلنا عنه هذه بقصة سب هذه أنشائه لفتح
ولكنه يعترض بأن لغيره كانت هي لوارع الرئيس وأصاف فقط بأن
حاربها كانت صاحب الاثني عشر يوم من شهر جمادى الأولى، وبأنه قدسي
فبر. ولا يمكن ذكر في أي مكان تدهنها لأن ذلك الموضع من الوثائق
قد تعرض للتلغف بفعل الزمن.

بعد ست سنوات من حكم عرن رجب وحلعه حبر الدين، ثم توفي
بعد عام في يوم الأربعاء في عشر الأول من شهر ذي الحجة 1084هـ²
18 مارس 1674م).

¹ كما في مخطوطة جورج سابات قسطنطين بشرها «الإغريقي» Journal de
Géorgios Sabat Constantinople 1674-1675. «عبرية» كما تدعى اسمها كانت أصدرت في
سبتمبر من سنة 1674م بها حكم بحرم وقوة بلعها أن حاربوا بعضهم لا يزال
قائمة بأهات قسطنطين

خير الدين باي

1083هـ / 1672/1673م

لا يعرف الكثير عن هذا الباي سوى أنه حكم حوالي أربع سنوات ليُعرف بعدها ويُعفى مكانه دالي باي، وحدث في العشرة الأولى من شهر صفر 1087هـ (أواخر أبريل 1676م) كانت وفاته يوم الجمعة في منتصف شهر رمضان 1092هـ (نهاية سبتمبر 1681م).

لقد مثلت نهاية حكمه تغييراً في السياسة العثمانية. فحتى عهده، كان الباتات المكنمون بإدارة الإقليم يُختارون من العائلات المؤثرة في البلاد؛ وبإي كانت من أصول عربية كما كان يُستعمل الأهلي حين يتعلق الأمر بتعيين باي جديد، ولم يكن على الشا إلا اصادقة على اختيار الرأي العام، وهو ما حدث خاصة مع فرحات باي. ولكن بعد خير الدين صدر الباتات يُختارون من صفوف المنسحب التركية، أو من العائلات التركية المقيمة بالبلاد ولا يمكن أن يدّعي أحداً أنه شئ بأن هذا الإجراء قد ساهم بشكل كبير في تثبيت السيطرة العثمانية في حرائر بكل قوتها الاستبدادية، ولكن بطريقة ملهة لتطوّر بوساطة العدد الصغير بالأحقره التي تكونها.

دالي باي

1087هـ / 20 صفر 1087هـ / 20-30 أبريل 1676م

وفاء لأصده، استقبل دي باي، تركي نصح، سياسة من الجمع والتسلط سار عليها لاحقاً معظم الباتات طيبة ما يدرج منه وخمسين عاماً، متداولين على حكم بايملك الشرق

لقد كان يقتل دون رحمة كل من يثير قلقه، كما نهرخ بالأعضاء معصية أملاكهم بشئى الطرق العسمة. لقد كان، كما قال لعمري، فرحل قتل «سب» بعد ثلاث سنوات من الجمع، صدق الالهلى برعاً من هذا

الأمير اراد فاشكوا إلى باشا الخزانة الذي أصدر أمراً بقبضه مع تلميذه يوزان وخاله عمر بن عبد الرحمن المدعو باش آغا.

باش آغا باي

1090هـ، 1679م

بعد عُرف عمر بصفة خاصة باسم باش آغا، وهو بلا شك اسمًا ظنيًا، أي من شتمه، بل أن يصبح بايًّا هو اسم دالي باي حسب ما يوجد في وثيقة مؤرخة في أواخر رمضان 1091هـ (26 أكتوبر 1680م) كان قد أرسلها هو نفسه إلى أحمد رزوقي بن سيدي محمد بن يحيى، جده له في وعائلته الأمازيغ التي مسحها إياهم سائقوه البيلربايات، وأحصى من أبوه - رحمه الله عليه - عُرِف نفسه في هذه الوثيقة باسم عمر باي، وهو حاكم عماره وعمر بن عبد الرحمن باي، دون رقم السنة.

عدا هذه الوثيقة، لم نعر على أي شيء آخر يتعلق بهذا الباي وعمره أو بالحكم لهذه طويته حيث دامت تسع سنوات ولقد توفي في يوم الأربعاء 29 شوال 1099هـ (8، أوت 1688م)، وحل محله سيدي شعان.

في سنة 1081هـ تم جديد حقوق الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم لعقود كإمام للجاسع الكبير، وأمير ألركب احتجاج من طرف باش الخزانة إسماعيل، وذلك اعتماداً على رأي «دولتي» سيدي الحاج محمد باي، كما عُرِف في وثيقة أصلية محتومة بختم هذا الباشا، ومؤرخة في العشر الأوائل من محرم 1091هـ (20-28 فبراير 1680م).

¹ لهذا عُدَّ يرجع إلى دالي باي مؤرخ في سنة 1088هـ (1677م)، يصبح مؤرخه صلاحات وإعجازات عن نصرائب لعائلة أولاد ديبان يحمل عماره عبد الرحمن باي مع رقم السنة 1087، الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن اسم دالي الذي انتقلت به إليه لم يكن سوى كسرة عن غرار أغلب من خلفه من البايات.

شعبان باي 1099هـ - سبتمبر 1688م

لا يعرف عن هذا الباي إلا اسمه، ولم تحتفظ له الرواية إلا حملة عسكرية أحدها عن شها صداحلية (ديون أن يعرف من كبر) لإرغامهم على دفع الضريبة؛ وذلك بمساعدة رجل الرمال المدين كان سيطرهم ما يرل في مداه، إلا أنه لم يتأخر ليصبح، في يد البات الأثرل، أحد أهم وسائل حكمهم القوي.

لم يكن رجال الرمال، من حيث المبدأ، سوى حدم البات المكلفين برعي ماشية الدولة من إبل وبقر وعصم وقد كانوا مستعمرين في تلك الفترة باسم الأعلى لودي لرمال بين فلسطين وعين شيرة، ولم يكن يجمعهم رابط سوى خدمة سيده واحد.

كان تعدادهم في المدينة حد محدود، ويرجع ذلك لمحدودية متطلبات خدمه التي كانت تُفرض عليهم ولكن مع تمدنه البلاد، ومع انتظام حامية البصرث على عدد أكبر من القنل، وبما أن الباشا كانت تفتل الحرة، لأكبر من الصربية محضلة، وبطرق لأردناد عدهم إرداد عدد الرجال المصطوبين خراسها وكان يصهر هذا حيا في فترات حده البصرث؛ أي في الربيع والخريف وفي سكت قسم من الرمال في لودي الحراسة لماشية، يتنقل اسقية مع الحملة مكثمة تتحصل بصرية لعودة بالتقطع المحضلة، وهو ما يحدث أيضاً عندما تتعذر الأمرش عروية على قبيلة منمردي أو قاهرة وفي هذه الحانة سرحب تسبيح رجال الرماله حتى شسى هه المدفع عن أنفسهم دون طلب بحدة اقرباب لنظامه

وبدئت بحول هؤلاء، شيئاً بشيئاً، من سناسي لتجبل ويرعو إلى حدود، وتقتل عليهم فياء وشيوخ وشواش، وعلا شأنهم بالقبيلة حتى يربط برحل الح. ب على حساب الحرفي أو العامل في بلاد حيث الحصار، ثم تعترف بتفوق لغوي العلمية على القوي الممجية.

لمد تمّ الاعتناء بهم وتجهيزهم على نفقة الدولة، وإذا كانوا لا يتلقون أجوراً نقدية مثل حدود الخيثر النظامي الذي لم يكن يصم سوى المصير التركي؛ فإنهم كانوا يؤدّون بالسلاح والخييل والأبقار لإطعامهم، أما في العروات؛ فكان الجزء الأكبر من العائث يرجع إليهم ولهذا كان السبب يفصلون استعمال عناصر الزمالة على العناصر التركي في هذا النوع من الحملات العسكرية، والشراسة التي كانوا يطهرونها في قتل وهب القتائل أسائمه المهدفة دليل على تعلق حس الصراوة لدى العربي على حساب الشعور بالأخوة الوطنية؛ وهو الأمر الذي لمسه في أياما هذه ومد عام 1830 كما اسعمت قبيلة لمعاينة قبيلة أخرى

وشيناً فشتاً، شأن بين أناس الرمالة نوع من روح الجماعة التي كان سببها الأول الرابطة لعائلي، ومن جهة أخرى افتحارهم بحصانتهم الخديعة، وأحروا أنفسهم على سان أصلهم المتواضع بإبداء شعور الاحتقار المتعطر من تجاه ما كان عصره حاصلاً للشحرة والاستغلال وسرعان ما صهروا بها بهم، وصار الأطفال الساتحين عن هذه الريجات رجالاً برمانة كأدلتهم، ونتج عن نكاثر هذه العائلات عددٌ يعطي احتياحات الخدمة التي تُطلب منهم دون المدحوى إلى تجيد عناصر أحية وبذلك شكلت قبيلة جديدة سُمّيت «الرمول»، منفرت في بادئ الأمر باسم الأعلى بوادي الرمالة لتنتقل لاحقاً إلى السهول الشاسعة التي تقسمها اليوم حروب فلسطينية بين جل قريون وبيد السر، وعند منابع عين فسفة وأعدي وادي بومرروف وفي الختام يقول أن العدد النظامي للفرسان المسلحين الذي كان على القبيلة تعديعه كان يُقدّر بحمسة فارس، وفي العام الذي يتوجه فيه إلى شحصياً إلى مدينة الخرائر لتقديم الدوش كان الدين يُستدعون لتشكيل موكة يتلقون سيوفاً ذات أعمايد فضية، وقطاعات، وعمادات من قماش الكشمير، ورداءات فاحرة لخيولهم. كما أن دحوهم للعاصمة كان يثير بصفة خاصة، اهتمام المصولين، لدرجة أن مؤلف البحث حول الرمول الذي نقلنا عنه أهم المعلومات التي سقت؛ يقول إن ساء مدينة الخرائر كن

شترطن على ارواحهم، قبل القرآن، السماح لهم بالخروج يوم قدوم باي
الشرق إلى مدينتهم للترفيه عن أنفسهم بمشاهدة موكة المنصير
كان رحب باي هو أول من نظم رجال الرماله وسلحهم؛ حيث
سعملهم لمعاقة أولاد يوعون الدين برلوا من حناهم في سرمة ليهب
صواحي قسطنطية، وقد كان راصيا عن هذه التجربة الأولى، ولم يتوان البابا
الدين حاء وانعده عن تقليده حتى انتهوا، شيئا فشيئا، تنظيم قوة جديدة لا
شكل اي عبء عن الخبرة العامة، وصارت قوة مساعدة للعصر التركي
الضعف من ناحية العدد، وخاصة على مستوى الفرسان مقارنة مع شساعة
البلاد التي يتعين عليهم حكمها والمحافظة على سيطرتهم عليها
بعد قصته أربع سواب عن رأس الإقليم عُزل شعبان وعُيِّن مكانه علي
خوجة.

علي خوجة باي

1104 هـ، 1692 م

يقول نصري إن علي خوجة كان رجل حير؛ فكان حكمه عادلا وسيرته
مُرصه وكان أهم حدث وقع في عهده قدوم مراد باي لغزو بلاد
وهي عام 1112 هـ (1700 م)، حاء هذا الأمير الذي كان يحكم تونس
لحصار قسطنطية عن رأس جيش حرار، وأقام معسكره عند أسوار المدينة في
المكان المسمى «المنصب»، فصلى على السكان مدة ثلاثة أشهر ولكن دون أن
يحقق أدنى نجاح، فرفع الحصار وانتهى نحو مدينة الخرائر التي طلب السكان
المحاصرون حمايتها.

عندما عدم باشا الخرائر (الذي كان قاره من علي أو حليفه الحاج
مصطفى) بالخير وساعات العدو تردد في أول الأمر ولم يعرف أي قرار
يتخذ هل يجب الانسحاب عند أبواب المدينة لصده؟ أم من لأفضل التقدم
نحوه وتوقيف سيره؟ وتم تبني الرأي الثاني؛ فجمع سرعة ما يمكن من
قوات، وتوجهت بسرعة نحو إقليم الشرق.

في هذه الأثناء تقدم مرد باي حتى «بحار الأحمر»؛ وهي قرية على بُعد مريحة من سطيف، وكان عزمًا على التقدم أكثر عندما قابل هناك الحيوش الخرائية.

عسكر الحيوش أحدهما مقابل الآخر، وقد كان جيش مراد باي يتألف من سبعة حيلة؛ بينما لم يتعد جيش باشا الجزائر المئة حيلة، وعندئذ تفوق قواته، قال مراد باي مخاطباً حموده «لنرتح اليوم، وفي بعد نقص على جيش العدو ونقتل لئلا يبقوه، وبعده يتولي على كل من اسلاد دور عدا». أما من جهتهم، فقد تمكن الخوف من بش الخرائ وجوده، وأبصروا لهم هاتكون لا محالة، وكان حاتم يقول: «إذا قتل فسحق أمام لعدده هائل، إذا فالمرر، ولكن لا يمكن الهرب من الموت»، فقرروا محاولة الهجوم بدلاً.

ما إن أحسوا بحمود جيش مراد إلى اليوم حتى قام الخرائيون حموداً وقدة دور إثارة أي صحيح، وتقدموا نحو معسكر العدو وباعطاء الإشارة انفصوا على المكان وسيوفهم بأيديهم ضاربين في كل جانب، حتى أخذوا بجررة رهبة في الحيوش لتوسية حمر مراد باي سبعة آلاف رجل. وتفرقت القبة في ابادية وهمت بالفرار وحتى هو نفسه اسبده الدعر، فركب حصاه المدعو «كوحيل»، وفرّ مسرعاً دور موقف من «بحار الأحمر» إلى «مرح كوحيل»؛ حيث سقط حصاه صريعاً بعد أن قطع مسيرة أربعة أيام مرة واحدة؛ فأخذ المكان اسم الحصان الهالك وتوفي علي حوحة يوم النهر الجمعان.

إلى جانب رواية العتري هذه حول أحد الحصارات المراسحة في ذاكرة قسطنطين المعاصرة، يجب إضافة رواية أخرى لاس عند العرير؛ لرواي التوسي الذي كتبها في القرن الثاني عشر الهجري، والتي نشر شيربونو اشدانة من عام 851، ترجمة مثارة لها بعدة نقاط مهمة؛ حيث نقدها كما يلي.

«في مستهل حكمه، أرسل مراد باي هديا إلى بلاط الخرائ ويدعي انكراهية أو الاستياء رفضها الخرائيون، فاستشاط عيظاً وأراد الانتقام لقتل

٦ انظر «الحريه الأسرية» (Journal asiatique)، عدد جويلية 1851، ص 36 وما يليه، كما يمكن الرجوع إلى «خوابات الترسية» (Annales numidiennes) لروسو، ص 82.

أيه، فنه بعكر سور في قطفه حمدة صدهم لقد أحتى بيته حتى عام 1112هـ
(1601م)، حت استدعى أعصف ديوانه، وعبر عن مستشاريه ولقادة
لعسكريين خطته للتجويد على الخريز واستاداً إلى رد المجلس؛ «السمع
وابطعه»، جمع حوشه نتي أصاف إليها أعدادا كبيرة من المحلدين الخدد،
وحبر كل عتاد الخرب ثم كتب بن حليل دي، حاكم طرابلس، بطلب منه
بمساعده والخصوري الحيلة لتي بحبره وبعد كل هذه الحصيرات انطلق
على رأس قوة نجر وراهها خمسة وعشرين مدفعاً.

ما بن اقترت من قسطنية حتى حرج، بها عي حوطة لمحاته، فالتحم
الحسان ولكن عي حوطة في هريضة بكر، وبكث حسانر كبيرة وقام
مراد دي بقطع رؤوس الثقل، وأرسلها إلى تونس مع أمر بتعليقها على
شرفات القصة وفي مواجبة ذبة أسر من علي حوطة وروخته، فأكرمها
وأحسن معاملتها، بها قدم بمحررة كبيرة وسط الأسرى الآخرين ولما ينس
سكان قسطنية بسب خربة اتفقوا على تسليمه لمدينة

لا شئت أنه يده بوجه إلى لمدينة مباشرة بعد انتصاره الأول لتمكن
من دخولها دون عاء، ولكن مرث عدة أيام دون أن يفعل شيئاً، فوجد
لمحاصروا، بفصل ماطه، انوقت انكفى بدهوص من هريمتهم الأولى؛
فهتو لمقاومة شرسة وبعد صد عسيرة لافحام؛ حول مراد دي عتاً
بف عهم بغير الأمان، ثم عود هجوم من جديد، فاستولى على حصص يقع
خارج مدينة وبعد ن دبح جميع شر حال اندين كبر بدافعود عن الحصص،
وأخذ العتات، وأرسل بن ن س اندافع لتي كدت فيه، هدمه عن آخره، ولم
يترك مكانه سوى أكوام من الحجارة.

حول هذا حصص دي حدثت يوم مكانه في مربع كنده عني به في بعل على عتبه من
لجهة أحد به نغريه بمر في رة معاصرة كانه جرد ميبا حد ما حصصه دي بي في عاء
العب مسعة وثلاثين (1627-1628م) تم بناء العرج

بلاستور هذا هو الحصص بس هو حصص نفسه لدى مراد دي، ولكن
بما به هدم عن آخره فاد العتات في عاء لادام ودهمروا دكر، كما أن مكانه مص
عجله بالسببه إلهم كان لم يكن ألباً

تباعاً على السياف. وبعد إبادتهم جميعاً، حكم الباشا على الأسرى الأتراك أن يحملوا فوق ظهورهم إلى قسطنطينية، المدافع التي عُيِّنت من التوسيين، ثم طلق سراحهم سالمين.

بعدما جمع مراد باي جيشه المهروم أمام أسوار الكاف، أمره بالتوجه نحو مدينة توس، لأنه كان يعتقد بأن الخرائثيين حرقوا في إثره، وبدي أيضاً سكان «توبرسوق» و«تستور» والسكان المجاورين؛ وذلك لتحصير دعامات قوية وتحقيق هذا الهدف، حصّن أبواب المدينة، ووضع فرسه ومشتته على أهبة الاستعداد قبل أن يعلم بأن الحيوش الخرائثية قد قطعت عنده إلى ديارها.

هذه هي القصة التي نشرها شيرنومو حول هذه المحنة، وكمية من «تذكرى التي تركها» الرحالة الفرنسي الشهير «مايسونل» (Peyssonnel) في رده، بعد حملة وعشرين سنة، تلك الأماكن التي شهدت بكة باي توس، منتقلاً من قسطنطينية إلى الخرائث، حيث يقول:

«في يوم 13 جوان 1729م، عرنا سهلاً قاحلاً يتوسطه مسجد يسمى «جامع معمر» ففي هذا السهل علم مراد، باي توس، الذي حاصر قسطنطينية سنة 1700م؛ بأن معسكر الأتراك الخرائثيين المكون من مئة حيمة، أو من أربعة إلى خمسة آلاف رجل، قادمٌ لصدّه المدينة ومواجهة جيشه الذي بقي ما ن تعداده بضع ثلاثين ألفاً، وهو ما صدّقته على مصص، ولكن حقيقةً كان أكبر بكثير من جيش الخرائث، مما يسمح له بالتفوق على أرضٍ سهلة وما إن نصب معسكره حتى انقض على الخرائثيون دون أن يتركوا له الوقت الكافي لتحصير نفسه للقتال. لقد سقط عددٌ كبيرٌ من القتلى في ذلك يوم بدرجة أن جثثهم لم تُدفن، ومارلنا نجد بقايا عظام القتلى في تلك المنطقة».

1 بايسونال «رحلته على سواحل بلاد البربر» 1724 (Voyage sur les côtes de Barbarie), en 1724, par Peyssonnel, publié par Dureau de la Malle, page 332, Premier tome. في الصفحة 299 كان قد تحدث عن حملة مراد باي هذه ضد قسطنطينية، التي تمخّدت في عام 705 هـ، والتي يقول فيها أيضاً أن مراد قد أسر، وهما خطان اعلى بتصحيحهما لاحقاً كما رأينا.

أحمد باي بن فرحات

1114هـ، عاية 1700م

بعد مقتل علي حوجة دوعاً عن قسطنطينة، خلفه أحمد بن فرحات باي، وهو أخ محمد باي، وابن أخ رحب باي. لقد كان إداً من أصل عربي، وينتمي إلى عائلة كانت قد قدمت قبله ثلاثة أجيال. لكن هذا الرجوع الاستثنائي إلى نظام سياسي يصنع الإدارة العبد للبلاد في أيدي الأهالي لم يكن يحظى برح المعاصر التركي، والمعارضة المحتملة من طرف الباي الجديد حول هذا الأمر شتتت سقوطه.

بعد حوالي عام ونصف من الحكم، ألقى الباي أحمد في السجن بغير من يائسا آخر نر، ثم أعيد بعد أن تعرض لبعض الوقت لعذابات خمس القاسية، وخلفه إبراهيم باي العليج

إبراهيم باي العليج

1112هـ، 1703م

كان هذا الباي مسيحياً قبل أن يتسلم، والدليل على ذلك وصفه بالمتع ومن معلم بأنه خلال تلك لفترة اسي كانت تهيمن فيها الفرصه بربره على حوص البحر الأصغر المتوسط؛ كان العديد من الأسرى يرتدون سهولة عن دين آبائهم ويعفون لإسلام، وذلك إما أملاً في مستقبل أفضل، وإما ناساً أو تجاهلاً لكل مبدأ ديني؛ فكان عدد منهم، شيء من الظنوح والموهنة، تمكن من إيجاد مكانة محترمة وحتى الوصول إلى منصب رفيع. لقد كان هذا الباي رجلاً شيطاً ودكياً ووسعياً، ولكنه كان يعتقد بعبادي الأخلاقية؛ حيث كان لا يبورع عن اعتصاب ما يريد من ممتلكات محكوم خلال السنة التي عُيّن فيها؛ توفي شبح الإسلام مسدي محمد بن بقرود الذي خلفه ابنه بدر الدين، وقد تم تصيه من طرف دُولي مصطفى دي.

موجب عقد مؤرخ في القاتح من شهر شعبان 1114هـ (21 ديسمبر 1702م) حاملاً في الهامش العلوي أثر ختم كُتب عليه المتوكل على الله مصطفى داي، مع تعليق باللغة التركية، وفي الأسفل تصديق عدلٍ وشخصٍ آخر.

وقد تم تثبيت سبطات الشيخ بعد ثلاثة أسابيع من طرف الباي الجديد، طبقاً لما جاء في وثيقة أصلية كُتبت بأمره وخُتمت كما يلي: سلامٌ من العبد الفقير لربه إبراهيم بن عبد الله وفقه الله * كُتبت في العشر الأخير من شهر شعبان من عام 1114هـ (10-19 يناير 1703م)، وحمل ختمه العادة^١ المفوض أمره لربه إبراهيم بن عبد الله *، مع رقم السنة 1114.

بلاحظ هـ بأن جميع المرتدين عن دينهم يتحدون لأنفسهم كنية «ابن عبد الله»^٢ متكرين بذلك لأسماء آباءهم كما جرت العادة.

في عام 1117هـ (1705م) اندلعت الحرب بين الخرائر وتوس، فتحكت الخيوش الخثرية بقيادة مصطفى، داي الخرائر، من الاستيلاء على مدينة الكاف بعد معركة هزموا فيها إبراهيم؛ باي توس الذي أسروه وأخاه محمد ومن هناك رحلوا عن توس متوجعين بعدد كبير من الماشائ الثائرة؛ فحرروا كل ما وجدوه في طريقهم، وأقام الجيش معسكره في مكان المسمى «بوجوس» لا يتظار ما تسمر عنه مفاوضات السلام التي كانت قد بدأت قبل ذلك بين باي توس الجديد حسين بن علي^٣ الذي خلف إبراهيم، والداي مصطفى م تحققت المفاوضات شيئاً، وسرعان ما استؤتمت المداوات (2 سبتمبر 1705) ولكن بعد شهر من الحصار وعدد من الهجمات العاشنة، سارع الخرائريون برفعه، وخاصة بعد تحل جزء من القنائل لنوسية عنهم فوحشية أن تحدد القبة حدود هؤلاء، وأن يواجهوا أسلحتهم نحوه؛ قرر الداي مصطفى ابراهيم سريعاً تجنب الوقوع بين نارين فالتفت إلى شبيكاً، ووجه نخاشيه بسرعة. وفي ليلة 18 جمادى الثانية (5 أكتوبر)، استديدة لظلام، حل الخرائريون متاعهم بسرعة ياركين وراءهم عتداً كثيراً.

١. نص العادة: بن أصبأ، وهو مرجم عن النص العربي المقول من الأصل.

٢. نص هذه العبارة أيضاً ليس أصلاً.

ومع صعود الفجر انطلق فرسان حسين بن علي وراعيهم، وقد كانت مرحتهم كبيرة عندما استحوذوا على بُعد بصع مراحل من تونس، على غداة حرب معتبر كان قد أرسده حاكم عانة للداي مصطفى - ومن تونس حتى سدير، كان تراجع الخرافيين هزيمة حربية؛ حيث تحرشت بهم، من كل جانب، قوت حسين التي أرسلها لمطاردتهم، فأرغمهم على الإسراع هرباً منها.¹ من الأحداث التي يوردها العتري حول هذه الحملة تحف بوعان عي سبق في الإضافة إلى أنه يوردها سنين بعد ذلك، أي بصعها في 1117هـ (1707م)، وهو خطأ رمي (حيث كان ناشأ الخراف محمد بن محمد بن حسين مصطفى)، يقول: «وصل مصطفى ناشأ إلى قسطنطينة ورحل على تونس، ولد بلعبها عسكر تحت أسوارها مدة أربعة أشهر وخلال هذه الفترة أخرى يحدثنا مع عناصر حاضرتها حيث وعدوه بالانصواء تحت امرته، فأمرهم بنقص على ماي تونس، وهو ما فعلوه ولكن بدورهم طالبوه بعوده بهم، وهو لم يحقق، فاعلوا عليه وحاربوه ودمروا آخر على لتراجع دون أن يدخل تونس، وعندما وصل إلى الخراف واحد ناشأ خرافي مكانه، فهرب منه إلى رواية سيدي علي بن مبارك في منطقة الخراف حيث بقي حتى وفاته» ويقول روسو في الخواريات استوسية بأن مدحوله إلى الخراف وقع ضحية ثورة، وتم حرقه.

أما إبراهيم باي بدي صاحب الباشا مصطفى في حملته على تونس، والذي كان معه في السراء، كما في الصراء، فقد وجد نفسه مرغماً على الفرار لكي لا يتعرض للملاحقة الشعبية التي ترتبط دوماً في البلاد التي تسود فيها القوة بالمهزوم.

تنحدر من هذا الباي عائلة أولاد بن لبص، إحدى أهم العائلات في قسطنطينة². وقد تم استبداله بحمود.

1 الخواريات بوسه 97 p. 1851, Roussau, Annales tunisiennes.

2 حسب العتري، تنحدر عائلة بن لبص من إبراهيم باي تونس، وليس من إبراهيم المدج كما جاء عند فياسات. (المترجم)

حمودة باي

1119هـ، 1707م

كان هذا اساي عربي الأصل، ولا يعرف أي شيء عن حكمه، ويصنف هذا الأمر أيضاً على الديار الخمسة وليس تعاقبوا بعده، والديس يكتفي بذكر أسينهم والسوات التي عُثِرُوا فيها*.

حسين شاوش باي

1121هـ، 1709م

علي بن حمودة باي

1120هـ، 1708م

عبد الرحمن بن فرحات باي حسين، المدعو دنغزلي باي

1122هـ، 1710م

1122هـ، 1710م

وكان تركي المولد.

* يقول فبسات (بهم كانوا خمسة، وبكفي هموة منه) لأهم أربعة فقط، ومع احتساب حمودة يصحون خمسة (المترجم). ولقد أورد موبود فريد نسخة محصورة عن هؤلاء الديار، حيث يقول «استبدل برهم المصحح باي بجمودة باي» وجاء من بعده ابنه علي (707، 1708) الذي لم يحكم سوى بضعة أشهر ومن بعده جاء حسين شاوش (708-1709) الذي استعمل الموصي السالط في البلاد وفرّ إلى تونس حاملاً معه حصته اندوش (انظر Berbrugger, in «Epirothe» p.12, 1865). «Ouzan Hastan» Revue africaine. أما عبد الرحمن بن فرحات الذي جاء بعدهم فلم ندع خبره حكمه أطول من فترات سابقة؛ حيث تم استبداله بحسين المدعو دنغزلي في 1710، والذي نفي عن منصبه وخاب إلى تونس حيث تحصل على مكان في البلاط»
انظر Mouloud Gaïd Chronique des beys de Constantine, OPU s.d., pp.27-29

علي بن صالح باي

1122هـ، 1710م

حكم الإقليم من 1710 إلى 1713م، وتنحى عن السلطة صواعية ليسافر إلى مكة ويدي عودته من رحلة الحج، انعزل عند أولاد حبوب في مجنة بزاوية سيدي أحمد بن علي؛ حيث قصي بقية حياته زاهداً متعبداً.

نقد كان لعلي بن صالح ثلاث نساء؛ روجهن في أولاد مقرر منجاة بالنظر إلى السرعة التي تعاقب بها هؤلاء النابات الخمسة خلال أقل من أربع سنوات، واستقانة السادس¹؛ بعكس الاستنتاج بأن هذه الفترة كما يقول الأهالي، قد تميزت بالاضطرابات والثورات التي خلّفت مجارر كثيرة وأحداثاً كبيرة؛ عبر أن يفقد لتعاضيل، ولم يصلها شيء عن تلك الفترة يمكن أن يثير اهتمامنا

يذكر بربرو عر في مقام بعنوان شهادة قبر وراي حسن، مانع وهران في 1708 (Epirophe d'Ouzan-Hassan, le conquérant d'Oran en 1708)

بأن ابني بقدش الذي لم يستطع دفع رواتب الإنكشاريين سب هروب باي قسطنطينة إلى تونس حاملاً معه حصيلة الدنوش؛ قد قُتل في شهر مارس من سنة 1710م (محرم 1122هـ)². لم يذكر بربرو عر اسم هذا ابني المسمى أبداً، ويعود ذلك، بلا شك، إلى أن الرواية المحلية التي سنقّي منها هذه القصة لم تروده هذه المعنومة ولكن برحو عرنا إلى تريح مقتل ابني بقدش في شهر محرم عره العام 1122هـ فإنه من الديرابي أن ابني الذي تسبب هروبه في مقتله لا يمكن أن يكون سوى حسين شاوش؛ لأن الحادثة وقعت في شهر محرم الذي وافق شهر مارس 1710؛ وهي الفترة المعتادة بدفع الدنوش وتبعاً لتعاقب الرمي للنايات فإن حسين شاوش كان هو حاكم قسطنطينة في

1 استقنا هذه معلومة من وصية فيرو، المترجم العسكري الذي له دور عن أولاد معراة.
2 صحيحاً هذا الخطأ، يؤكد مرة أخرى أن هؤلاء النابات المتعاقبين كانوا أربعة واستقال حاسمهم (المترجم)

2 Revue africaine, année 1865, p. 124

سنة 1121 هـ وعليه فهو من قام بسرقة الأموال العامة؛ الأمر الذي تسبب في هلاك الداي نقداً.

لم نستطع الحصول على معلومات أخرى غير هذا الحدث وبعض النتائج التي توصل إليها بفضل استقراءاتنا الخاصة، ولكن نقدم نحو لمصوّر الحديثة يبدأ ليل الجهل والسيان في الانحلاء، ويصبح الدكرات المناقلة تقليدياً أكثر وفرة، كما تشكل لنا الوثائق الأوروبية عوفاً جدياً وعمه فإنا سناخذ من عالم الطبوعات الشهير باسوبال، اندي رار الإبالة في 1725، بعض التفاصيل المهمة عن شخصية وحكومة الادي حسين الذي حلف عي باي، ولدي احتفظ التاريخ المحلي بذكرى حية عنه

كليان حسين باي، المدعو بوكمية

1125 هـ، 1713 م

إن الاضطرابات التي هزت الإقليم خلال السنوات السبعة كانت لها ردة فعل مأساة بلحفاط على سلم واردهار البلاد تحت قيادة أمير قوي بما يكفي لقرص سيطرته، وله من الخدرة ما يسمح له بتطويع حالة انتع التي تعاي منها النفوس لصالح سياسته هذا الدور المردوح للسيد المطلق ولصانع السلام كان من نصيب الباي كليان حسين الشهير بـ «بوكمية» (أو صاحب الحجر) وفترة حكمه الطويلة، التي بقيت مستقرة وحديثة من أية ثورة طرأ عليه ثلاثة وعشرين سنة منالية تثبت أنه كان أهلاً لمصه

كان مهم الأول هو إعادة السلم للبلاد؛ وهو الأمر الذي نجح فيه شكس تام، والدليل على ذلك أن اثنين من الرحالة الأوروبيين، باسوبال و«الدكتور شو» (Docteur Shaw)، استطاعا في تلك الفترة أن يجزوا الإقليم في أمر دم دون أن يتعرضا لمصايقات من طرف السكان الذين عبروا أراضيهم رغم كونها مسيحيين

عندما التقى بابونال لأول مرة بالساي حسين (31 جمادي 1725)، كان الأخير معكراً في سهل سفية من أجل جمع الصربية يقول بابونال: «كان جيشه متكوماً من اثني عشرة حمّة بركية، صمت كل واحدة منها خمسة وعشرين رجلاً؛ ما مجموعه حوالي ثلاثمائة رجل كان معظمهم من الأعلاج (المبحرون المعتنقون للإسلام) كانت الخيام منصوبة دون أي ترتيب، كما كان يوحد بالمطقة العديد من «الدواوير» العربية تشكل حياً منها دائرة محط بالمعسكر؛ حيث كان معظم هؤلاء العرب على علاقة مع السلطة ويسكنون عوياً للأتراك كان لساي ثلاث خيام؛ واحدة له، وواحدة لسيده والثالثة لطبخته الساي اسمه حسين، وهو شجاع وقورٌ تعدى عمره السبعين عاماً، يحكم البلاد منذ ثلاثة أو أربعة عشر سنة فقد وجدناه حائساً وسط حبيته على فرشة عبيد ثلاث محدب كبيرة مربعة؛ والصباط على جانبيه، وكان هناك أتراك حاسون مشكّلين دائرة حوله، وكان عربٌ وراهم في وضعه لفرصه وآخرون حاسون، وكان الصف الأخير في وصية لقيم، وهو ما شكّل مشهداً حملاً في حلفته بعض الأعلاج والعبيد لم يكن لساي أو الخيال التركي من شيء مبهج أو حارفي سييء، ولم يكن لديه حرس خاص دعم علو سلطته لم يكن يعرف قانوناً غير إرادته؛ حيث كان يرعش كل شيء أمام أمرته»¹.

وبعد الحديث عن القوات العسكرية بالإسبانية، وصريه الدوش، وبعض مادة العشرات نواصر لرحالة: «أول هؤلاء القادة هو بوعزيز؛ الذي طرد أقلق ماي توس ودي قطبه على حد سواء، ولقد تعرّض العام الماضي لهجومين من طرف هاتين القوتين، وهو ما يستحق أن يورده لسلطان بوعزيز هو قائد أو شبح أمة عربية سكن بلاداً تسمى بلاد

¹ الدواوير كلمة عامة خامية؛ وهي جمع دوائر، بمعنى المصاريب، (المترجم)

² بعد ذلك ناس من هذه الدين تحدثوا عنهم أيضاً

³ Deshayes «Lefrançois. Voyages dans les regences de Tunis et d'Alger. publiés par le Bureau de la Malle en 1834. page 287

⁴ من المؤكد أن معنى كلمة «أمة» (tribe) التي استعملها بابونال لا يمكن أخذه في معناه الطبيعي؛ فهو يقصد بها معنى أضيق يتعلق بكلمة «قبيلة»

الخاصة، تقع في حدود مملكتي تونس وأحرار بوميديا بالصحراء. إنه رجل قوي يستصع أن يحدّ نهايه آلاف فارس. وفي العام المصرم (1724)، أهدر عليه باي قسطنطين وباي تونس، حيث أنه من عادة الأتراك الإغارة على القنصل التي يريدون إحصاءها دون أن يتركوا له الوقت للدفع عن نفسها، ويأخذون ما يشاء. هوجم السلطان موعزيز (وهو لقب الذي منحه إياه قبطه)، وهُزم من طرف حسين، باي قسطنطين، الذي منحه نهاية آلاف رجل وعدداً من القروى وحس الحيام غير مقتنع بهذه العبيقة، أراد الباي انقصر على موعزيز، الذي حذله صعد بموس أمام التفوق التركي الذي انتزع منهم شجاعتهم، فذبلوا له صراحة بأهم قررو الخسوع واستسلم هذا السلطان البس للباس والصياغ عندما قامت ابنته المسماة عذبة بنت موعزيز بن ناصر، وارتدت أحمل ما لديها من ثياب وركبت حصانها، ودعت فرياتها وصديقاتها من ساء وقت بركوب الخيل محاطة بإياهم. «بما أن الرجال لست لهم الشجاعة لمواجهة الأتراك الذين سيأتون قريباً لاعتصم أمام أعينهم، فلذهب بأنفسهم بيع حبنا وشرنا ولا نقى مع الحياء» ثم كشفت عن نهدها وأظهرته للرجال، وصاحت فيهم «يا أولاد ناصر، من يريد أن يرضع من هذا الخليب ما عليه إلا أن يتبعني» متأثرهم بالموقف الطولي هذه المرأة، انقصر العرب على معسكر الأتراك بكل صراوة، واسترجعوا حراً من العبيقة التي سُلبت منهم، كما أسروا الخليفة (خليفة الباي) وقاموا بهب الأتراك تستحق هذه القصة أن تُسجل في التاريخ، فهي تشبه قصص سائر أحرار نحدث في جميع البلدان مثل «جان دارك» Jeanne d'Arc.

يذكر بايسونال امرأة أخرى هي الأميرة أم هاني: روجة هاني كان يحكم منطقة بالصحراء، التي تزعمت قومها بعد وفاة زوجها يقول «لقد قادت جيشها في عدة معارك ضد الأتراك، وقامت بأعمال بطولية تاريخية جعلتها محل احترام وحشية من طرف قومها وحبرائها وحتى الأتراك أنفسهم. ولقد هزمت باي قسطنطين في عدة مناسبات» والذي من أجل كتب تحامدها

عنه من العريش أن يرى امرأة في
البحر في البحر في البحر في البحر

في هذا الخبر يسوق معسكر أبي، ووصل صاة إلى قسطنطينية
حيث قصصها رواية روم، ثم عادي بونق، ومنها انطلق في ١٦ يونيو إلى مدينة
الخرائط مروراً بمصر مرة أخرى ولكن للحصول على الموافقة اللازمة من
مصر مرة أخرى، ثم عادي بونق، ومنها انطلق في ١٦ يونيو إلى مدينة
على رأس حشد كبير من طلائع روم على تخوم أراضي أولاد عبد النور
في سوريا، وقد كان في ذلك سببهم له فيه هؤلاء بعد أن هم مهم سياستهم

في يوم 14 يوليو يقول نابليون: "كان معي الياس حمدا
وعشرون جنداً، أو حوالي ستمئة تركي، كما قام بشر باقي القوات التي
رست في يدنا. وكانت عشر حيام في نواحي سطورة وجيجل وبلاد
نابولي، وكان حدهم بمقرب عشر حيام أخرى في ناحية الحماة بعد
الحرب سنة 1795. وفي يوم 15 يوليو، رفع معسكره وسرايعة
في يوم 16 وصلت بحلة التي كان صممها صاحب الرحالة إلى عين
هاف، وفي يوم 17، وفي يوم 18 وصلت إلى مدراس وكن
يقطع سبوت ربيع من بحر يوم 18، وفي يوم 18 عسكرت بالقرب من مدي
سعى في سرقة" يقول "الذي كان الياس يتقدم في حمال الأورس
مطارد بغيره بغيره" الذي كان قد الحق بصهر الياس الذي يتزعم
بأنه صهره وحجره. وصلت إلى السهل الذي زرعه قوم صهر الياس، ثم
في يوم 19 جميع حبوب واحمر وسط الررع، وفي المساء أصرم النار
ومدنته. ولما علمت ذلك بلاد بقي بعض المناطق حال القحط دون
سور، وفي مدي حري وصائر أجدد لمنكة أني الحراد على كل شيء
وقد كان حتى خبير سني، وقد لموربون، من جهتهم، بأصرام النار

في المناطق التي من المتوقع أن نعرها. هكذا كانت سياسة هذه البلاد بإتلاف وإفساد كل شيء. وقصينا يومي 19 و20 في المعسكر؛ حيث عالت الحاج عباس انكاتب الكبير أو وزير الباي.

وفي يوم 21 توجهنا بالقرب من أطلال «فرقاس» (Avèges) التي يمكن أن تكون «فا» (Vaga) القديمة، والتي لم نجد بها شيئاً معترفاً. وفي يوم 22 دخلنا إلى جبال لأوراس. إنها مأهولة بأناسي شجعان محذرين من قدماء الوثنية؛ الذين يحدث عنهم مارمول. ملحوئهم إلى هذه الجبال؛ لم يكونوا يخشون الأتراك الذين لم يكونوا يستطيعون الوصول إليهم في الحصون التي أهدتهم الطبيعة إياها، ولكن لأهم مرعمون على الرول إلى أماكن مسطحة لرراعتها؛ يجرهم الأتراك على دفع العرامة، وفي حانة العكس يجرقون علاهم أو يسوهم إياها هؤلاء القوم؛ الذين يدعون أولاد بلقاسم، أو يمكن أن تكون لهم أسماء أخرى بسب وجود عدة فروع أو عائلات في تلك الجبال؛ كانوا تحت قيادة «سي سديرة»؛ أحد أشجع الرجال الذين طهروا في تلك المنطقة بعد تعرض للحياة والقتل بأوامر من الباي؛ ندي تروج ابنه بعد ذلك، وأصبح، اليوم، ابنه صهر الباي هو القائد. وفي يوم 24، قدم السلطان بوغريز وصهر الباي بإرسال رسولين بكتايين من أجل الوصول إلى تسوية، غير أن الباي؛ الذي لم يكن يريد أن يسمع أي شيء بعد هزيمة حليفه لعام السابق على يد عرب بوغريز بقيادة ابنه علجية، قام بقطع رأسيهما دون تردد¹.

ولكن لم نفع أية عملية بين قوالب الباي وقوات بوغريز، واستراحت الحامية حتى 4 يوليو بالمرتب من «لامبير» (Lambèse)؛ الأمر الذي سمح لرحلتنا بالتقليل بين تلك الأطلال الجميلة التي تُجرى بها اليوم عمليات استكشاف مستمرة منذ عشرين عاماً، ولم يكن كافية بعد لاستعداد هذا المحجم الراجح بالثروات الأثرية لهذا انتهى الباي ببعض ما قدمه هؤلاء،

1. الحاج عباس بن جلول الذي سجلت عنه لاحقاً

2. كان هذا هو اسمه على أغلب تقدير.

3. المرجع السابق، ص 335 وما بعدها.

سكان تلك الحال، من أنقار وبعال. وبعد ذلك سلك طريق قسطنطين وفي يوم 10 استراح المعسكر بالقرب من أطلال سيفوس وبعد يومين، أي في 12 يوليو، طلب نابسوبال من الباي الإذن بالرحيل لمناصرة مهمته؛ وذلك بالذهاب إلى مدينة الخزانة برًا وهذا ما قاله الرحالة مادحا هذا الأمير:

«لا يمكنني أن أصمت عن الإكرامات التي حصني بها حسين باي فبعد أن تركي السيد «سالف» (Salve) ¹، معني هذا الحصار حيلة نأوسي مع فرقتي، وأمر بحلب الطعام لي ولخدمتي، وإعطاء الكلاً خيولاً بالإضافة إلى هدايا كثيرة ما كنت أحتسب شرف تناول الطعام معه، كما كنت أشرب قهوتي وأدخن في حبيته بدعوة منه. وكنت أيضاً صديقاً لوزيره الذي كان أقرب إليّ من الباي، حيث كنت أتناول الطعام عنده يومياً بعد وحدث في ذلك المعسكر كل موحشات الهلعة، ليست التي يمكن أن يتمناها مسيحي، ولكن تلك التي يمكن أن نوفرها سلطنة تركية ولدى معادري؛ أرسل إليّ الخرمدار أو المكلف بالخرينة ومعه أمرٌ بشرويدي بالخير، والأرز، والفريز، والتمر، والكمكس، وكل ما يمكن أن يكون ضرورياً وتوحي لوفائه أهدي فرساً حمداً يوم معادري» ².

هذا تتوقف علاقه الرحالة الفرنسي بالباي بوكمية، وليس ندياً أكثر من روده به راوٍ مطمئن وأمين في نقل ما رأى مثله، فكان عديداً تجاوز فترة عشر سنوات لم تنقل عنها الروايات المحلية شيئاً تستقل مباشرة إلى سنة 1735 التي شهدت وقوع حمله التاراجية على نوبس، وسد ذكر الأسباب التي أدت بها وفقاً لما جاء في كتاب العوس روسو ³.

بعد لاضطرابات التي شنت بين حسين باي، الذي كان يحكم إيالة نوبس، وبين ابنه علي باشا الذي دفعه طموحه المجهض إلى الثورة، اندلعت ¹ السيد «سالف» (Salve) كان حشواً عملاً لشركة إيفريق في نوبس، وقد رافق نابسوبال في رحلته النامية من أجل أن يقدمه للباي ويوصيه به خبراً، ويكنمه في الوقت نفسه عن بعض شؤون الشركة وكان قد بركه في معسكر أم الأصبام للرجوع إلى نوبس ² المرجع السابق، ص 363.

3. Annales tunisiennes, p. 112 et suivantes.

لعداوة بشكي صارخ بين الأمرس غير أن هذا الأخير، بعد أن قاد الثورة بعض الوقت؛ شهد إبادة جيشه، فصر مع ابنه يوس إلى الأراضي الخرابية؛ حيث طلب اللجوء ودعم الداي الحاكم الذي كان وقتئذٍ عدي باشا طيله عدة سنوات، ورغم طلبات ماي توس المتكررة بانقضاء على عريمه؛ لم يرغب عدي باشا في اتحاد أي قرارٍ غير الإنقاء على صيفه سجيناً مقدس مدع عشره آلاف قطعة ذهبه فرص على الساي دفعها بالحربة العامة بشكلٍ منتظم ولكن مع مطلع 1735 لم يعد يُدفع هذا المبلغ، وصرح إبراهيم بدي خلف عدي لطلبات ماصري علي باشا الذين كانوا كثيراً في الإيالة؛ فحمل السلاح من أجل سجنه.

لقد جهر ثلاثة آلاف رجل بقيادة الخردار، وأسد قيادة ألفٍ لعلٍ معه، وكتب إلى ماي قسطنطين بأن يلحق به بما يستطيع أن يجمع من قوات، عندما وصل الجيش المنطلق من مدينة الخرائر إلى قسطنطين؛ كان بوكمية مستعداً بقوة النظامية وغير النظامية، وجها صار الجيش مكتمل لتعداد، وبمكة لرحف على توس دون تأخير كان ذلك في شهر ذي حجة 1147 هـ (مايو 1735 م).

ببما كان جيش الخرائري راحماً على ماي توس؛ نكص هذا الأخير واقترح على ابي، بوساطة ماي قسطنطين، أن يدفع له 5000 قرش مقدبل العدول عن مشاريعه، ولكن هذا العرض جاء متأخراً جداً؛ لأن الجيش المعادي كان قد عبر الحدود، وكان العدو ان قد اندلع حينئذٍ تقلد الساي قيادة جميع القوات التوسية لمواجهة الخرائريين (أواخر شهر ربيع الأول 1140 هـ 19 أغسطس 1735 م)¹.

التقى الجمعان على صغاف واد ملانة في سمنجه، وطيله ستة عشر يوماً انصرفت المواجهات على بعض المداوشات بين العرمان غير أن المجدين العرب الذين كان الساي يعتقد أنه يمكن الاعتماد على وفائهم؛ استحووا سرّاً، ويُحتمل أنهم انضموا إلى قوات العدو؛ فأدت هذه الردة إلى تعطل التحرك الشامل

¹ بقول العسري إن ذلك حدث بالعرب من العبروان، ولكنه خطأ بالتأكيد

«بأمر من كلبان (حسين بوكمية)؛ حاكم قسنطينة والعدو الدود
لحسين باي، بدأ حرة من الجيش الجزائري السير مع حلول الظلام، فعبر
النهر في هدوء، ودار وراء حنادق التوسيين؛ بحيث يضعونهم بين نارين
وعن طريق عيونه، علم حسين باي هذه العملية فقرر التحرك؛ حيث ترك
لابيه، محمد باي، حراسة المعسكر والدفاع عنه، وانطلق على رأس قوة كبيرة
من جيشه نحو حماية العدو. ونكر هذه الأخيرة قامت بحركة جديدة؛
حيث جعلت النهر يفصل بينها وبين التوسيين، فلم تتمكن قوة حسين باي
من ملاقاتها أما محمد باي الذي مكث في المعسكر، علم بأن حماية حرارية
أخرى كانت في مرمى صرته؛ فسار مسرعاً لملاقاتها، وبوساطة فرسانه
وبعض قطع المدفعية التي وُحِّت قذائفها بعناية شديدة، نجح في تثبيت
الجزائريين وأسر عدد منهم¹ وفي هذه الأثناء وصلت الحامية الجزائرية التي
يقودها كلبان، وسط الدحاد الكثيف، إلى المعسكر التونسي الذي بقي قريب
دون دفاعات، واستولى عليه دون عناء كبير. وعلمه بهذه الفاجعة سارع
حسين باي بهرسانه نحو الموقع للعمل على صد الهزيمة، ولكن الأوان كان
قد فات؛ حيث أن أعداد العدو تفوقت على براعة قواته²؛

وبعد إصاات في المعركة سارع بجمع ما تبقى من جيشه، ولما بلغ
بأن كتيبة ابنه التي جاءت لجددة المعسكر قد هزمت هي الأخرى؛ أمر
بالانسحاب إلى «رعوان» ثم إلى القيروان؛ حيث التحق به ولده محمد وعي
باي لقد وقعت هذه المعركة الحاسمة في يوم 16 ربيع الثاني 1148 هـ (4
سبتمبر 1735 م).

من خلال هذه القصة ندرك أن شرف ذلك اليوم يعود إلى باي قسنطينة،
وبأن النصر المين الذي حققه الجزائريون كان يمكن أن ينقلب إلى هزيمة
نكراه دونه.

وفي اليوم الموالي قررت السلطات التي بقيت في مدينة تونس أن تعلن

- 1 أي الذين كانوا يشكلون جزءاً من لقوة التي كان يمودها الخربدار أو علي باث
- 2 لا يجب بيان بأن هذه القصة رواها مؤرخ تونسي هو الحاج حمودة بن عبد العزيز الذي
حاول، بحكم حبه الوطني، التحفيف قدر الإمكان في الحقائق هذه الهزيمة من إهانة

استسلامها فوراً، وكان الدخول الاحتمالي لعللي باشا، الذي نصته الجيوش
الخراترية على العرش في السابع من شهر مستمر

بقي الجيش الخراتري عشرة أيام أخرى معسكراً عند أسوار المدينة، التي
نُهب جزءٌ منها من طرف مجموعاتٍ من الحدود غير المنضبطين وبعد ذلك
رُفع المعسكر، وبدأ السير نحو الحدود العربية جاراً أحلفه خمسة وثلاثين معلماً
محملةً بالذخيرة، هو قيمة خسائر الحرب التي دفعها علي باشا لإبراهيم خرمافي؛
عد الصربية، المقدرة بحمسة آلاف قرش التي تمهدت لإيالة بدفعها سويلاً
لحكومة الخراترية

بعد أن أثبت في هذه الحملة مقدرته في الحرب كما في السياسة، استقبل
الذي بوكمية في قسطنطينية بحماسٍ كبير فطمع الشمره، فصانده في مدحه، وبادر
مواطنوه بالتعبير عن حبه وتقديرهم الشديدين له

في ربيع السنة الموالية طلب من باشا الخراتر السماح له بالثول أمامه
شخصياً لتقديم نحياته ولما تمت الموافقة، رحل إلى العاصمة على رأس موكب
مميز ومعه صربية معتزةً سمح له بكتب احترام ولطف الباشا وبلاطه.
فحظي باستقبال رائع، وثَّته لاشا في منصفه، كما عمره بمعارات الشكر
والمدح.

بعد قضاء شهره أمام من الاحتمالات والتكريمات؛ عاد بوكمية إلى
قسطنطينية متابعاً بإدارته بعد أن كتب قلوب مواطنيه، وبقي كذلك حتى وفاته
التي في بحر عام 1149 هـ (1736م).

١. عهد عيونه إلى الخراترية: أظهير الخراتري صحيفة كثره نجاه الرعايا العرسيين الذين لم يقدموا
له صدقات في حرب العاديه، وهو ما جاء في مقطع ورد في الوثيقة رقم 39 من الأرشيف (Archives)
des archives لتسور من طرف «سير دو فولكس» (Albert Devoulx)، ص 139 حيث يقول
اليوم، الثالث عشر من مارس من عام ألف وسبعين وثلثين، بحر المصطفى أسعده،
أخذنا بعين الاعتبار المأزسات المطلقة في بعض المناسبات، والتي من بينها ظهر ما بأنه من
الواجب، لدى عودة الخراتري المزمعة علناً بعد غياب دام ستة أشهر؛ مع تذكره أيضاً لشعور
الضيعة الذي أظهره لدى عودته من تونس منذ سبعة عشر شهراً، وبأن الأمة العرسيه قد
استعت عن تحيل اسمه السعيدة بتخصيصه ببلدية لدى عودته، فلذلكاً بأنه من اللازم
عدها في قسطنطينية

لقد دام حكمه ثلاثة وعشرين عاماً؛ فكان أطول السلاطين المتداولين على
قسطية حكمي. وبعد وفاته كان عمره متقدماً جداً، فإذا كان يبلغ، كما يقول
سايوبال، أكثر من سبعين عاماً في الفترة التي رآه فيها؛ أي قبل إحدى عشر
سنة، وهو ما يستدعي الملاحظة؛ فإنه يكون ابن ثمانين سنة عندما شارك
في الحملة على تونس؛ حيث استطاع قيادة حيوشه وتحمل عداء حملة بعيدة
ومصيبة.

يحدد مولف أول عمل حول تاريخ قسطنطينية، صالح العتري، وفاة هذا
الباي في سنة 1140 هـ (1727م)، ويذكر أن فترة حكمه لم تدم سوى خمسة
عشر سنة. ولكنه خطأ بالتأكيد؛ لأن الحملة على تونس، التي يقول هو إنه
أن الباي كان له الفضل الأكبر في نجاحها، قد وقعت في عام 1148 هـ ومن
جهة أخرى، يرى من خلال رقم السنة المنقوش في حتم الباي بوحك لدي
حلته بأن الأخير قد تقلد الحكم في سنة 1149 هـ (1736م) وصحيح أن
العتري قد سرد وفاته حملة تونس دون تحديد تاريخها؛ وهو ما تعود عليه
الرواة الذين سبقوه.

إنه تحت حكم هذا الأمير تم تشييد مسجد سوق العزل الذي حوله
الفرنسيون إلى كبة كاثوليكية، وأصبح اليوم كاتدرائية مد أن صارت
قسطنطينية أسقفية إن مؤسس هذا المسجد كان الحاج عباس بن حلون، الذي
كان يعمل مصب ناش كاتب أو الورير حافظ الأحنام؛ والذي كان لبعض
الوقت الصديق الحميم والمضيف لفصل سايوبال.

لقد أورد شيربون في مقال في الجولية الأثرية لإقليم قسطنطينية اسم
المؤسس الحقيقي لهذا المسجد، اعتماداً على المعلومات التي روّده هـ حميد
عباس، وهو مصطفى بن حلون القاصي الحتمي أساساً لقسطنطينية وهي سنة
1143 هـ (1730م) قام الحاج عباس بنائه على نفقته. غير أن أساي حسن،
الذي لم يكن مَرَّها عن بعض الضعف المتعلق بالحسد والغيرة من أن يرتبط
شهره هذا الصرح باسم ناش كاسه المنقوش على المصب الأمامي له؛

وقد وضع اسمه على وحامة تحميدة للذكرى بدل اسم مؤسسه الحقيقي بعد وفاته والخبر أن نصيف بأنه قبل الإقبال على تزيين هذا النقش الأثري؛ كان قد اشترط على الخاج عباس أن يدعه يساهم نصف المصروف، ولم يحصل حذف اسم عباس ووضع اسمه إلا بإيعاز من الثانيين الخاسدين، وهذا المصروف لا يمسد بأي حال من الأحوال صورة هذا الأمير الذي يجب أن يعتبره كواحد من أحسن وأفضل حكام هذه البلاد الذين لم يمثل لأحد منهم إلا استثناء وقد حذفه الياي حسن بوحناك

حسن باي بن حسين، المدعو بوحناك

1149هـ، 1736م

من أعليه لتوسم نكروبولوية المشورة حتى اليوم يشير إلى هذا الباي باسم حسن، ونحن ندعوه باسمه الحقيقي، حسن، مثمنا بحمله حنمه الذي وجدناه موضوعا على عدد من العقود التي صرت علما لهذا من الأحكام لقتال الذين دامت ادارتهم بصره طويلة سيما في بلاد سائر، على خطى سببه، استطاع مثله الحفاظ على الطمأنينة طوال فترة حكمه، وهو شرط الأول للارده والرشاشية العامة، وتكريس أعماله بتسلم بيها هتم آخرون بالحرب والحرب فقد شيد مسجد سبدي خضر الذي يعتبر من أحسن مساجد منطقة المدينة الشهيرة التي لا يقل ارتفاعها عن خمسة وعشرين مترا، ولم يسم الأشغال به إلا مع هياكل شهر شعبان من عام 1156هـ (أكتوبر 1744م) وفيها لمقش الذي برز مدخله لرسمي، كما اشعل أيضا سفير مظهر المدة التي لم تكن تمثل في تلك الفترة، حسب بابسودل، سوى بيوت ردة النساء؛ حيث بُني قسم منها بالأحر المحمي، وسمي أحر بالأحر النصي السبط، وكانت معطاة بمرميد دائري أما الشوارع فقد كانت صيقة وعشوائية، وسحة في الشتاء وغير مألوفة، ولم تكن توجد بها أية مساحة

انظر الموقوفات العربية لإقليم قطيف، لشربوبو في Annuaire archéologique de 1856, p.105

وأي صرح يستحق أدنى الاهتمام لقد أدخل دوق البسات الحميلة، وشيد بعض القصب الأنيقة، وأعطى انظاماً أكثر للشوارع

إن لدين رأوا فلسطين وشوارعها، ولو بصع مسويت بعد العرو، يكونون قد وحدوا، دون شك، صعوبة في تحل ما كانت عليه هذه المدينة، أو بالأحرى مجموعة الأكواخ المتلاصقة جملط ملط بين أرفق صبة من التحسينات التي قام بها الباي بوحك، ثم صالح باي من بعده

لقد شذت الإصلاحات الإدارية اهتمامه أيضاً حيث كان هو من نقل معسكر الرمال، الذي كان من عهد الباي رجب يحمل القسم الأعلى برادي الرمال، وجعله في منطقة «تيكهارت».

إن اشتهاره بالشجاعه أدى باي تونس السابق بمحاولة التحالف مع ذلك الباي هو حسن الذي قامت الحيوش الجزائرية، قبل بضعة أعوام، كما رأينا آنفاً، بإرغامه على معادرة عاصمته، وترك العرش لمفسه علي باشا وقد لحا حسين بن القروان، حيث حاصرته قوات علي منذ قرابة خمس سنوات، وما صاق بالحصار درعاً أرسل إلى فسطيه به محمد باي، الذي كان يحكم منطقة سوسة والسواحل المحاذرة لها، وذلك للعمل على كسب دعم نصيبه من طرف حاكمها ونقل محمد باي إلى هناك في منتصف عام 1152هـ (1739م)، بينما حاول أخوه، علي باي، محمد أكبر عدد ممكن من رجاله قاتل الشرق الكبرى، ولكنه فشل في ذلك

رغم ما يحمله مثل هذا العرض من إطرء لشخصه وافترار لطموحه، إلا أن بوحك لم يرد إطلاقاً حياة قضية علي باشا التي سبق وأن حصل من أحدها سنده بوكمية بل إنه ذهب أبعد من هذا؛ حيث أمضى مع علي باشا مع هذه تحالف دفاعية وهجومية ومما ليس فيه شك أن الدعم الذي قدمه في هذه الظروف، سواء بالرجال أو بغير ذلك، قد ساهم في سقوط القروان وسقوط هذه المدينة على يد قوات علي باشا، بمساعدة التعزيزات الأخيرة، تاريخ 16 صفر 1153هـ (12 مايو 1740م)، قد أنهى الحرب الأهلية التي عصفت بتونس منذ سبع سنوات لقد قتل حسين باي، لدى فراره، من

وفي الوقت نفسه، قام باشا حرامير بحظر الشاي بوحث في كتاب سري
من بعد من الناس إلى بدسائه ومكائده أصبح مدناً بتهمة حاس
وحت لا يستطيع إعدمه عداً فقد كتمناه بجهمة ضد إيانا بوسر
وعدما يقبل عندكم بشدوا أوامره، وسارعوا إلى الحملة وبكر عدم
حدث في الطريق فصورا عليه سرا ودفعوا، ثم عودوا ادراحكم وتخلو عن
هذه الحملة.

عدما وصل الشاش آغا إلى قسطة، ووفقاً للتعليمات التي تلقاها،
سارع إلى إعداد ممره، وجمع كل ما استطاع من عوالب عرسا ومشاه وب
ان اسعد احش حتى عذر بقائدا المديرة وبدأ السير، ولكن بعد بضعة
أم حان الذي ثقة صاحبه بجمعه شاون مشروبا مسموما أحرق احشاه،
فمات لنوء وبأى مة مهمته، فقل لسي عائدا إلى قسطة وهو راض، دور
شك، على تنعيذه لأوامر سيده.

بجب الاقرار بأن هذا الصريف لا يعتبر مبعثاً للمعحر بالنسبة لسي
بوحث، ولا حتى بالنسبة لسيده الشاش، غير انه كان يحدث البوحث لسي
اورش المورح بعري حو حة لأمر عدا هدا، لم يذكر أي تعلق ب
استكر هدا الموضوع ما دام أن احبته في احكم التركي كانت شب عدا،
ويدخل في العرف بعدم ان بالنسبة لسي، بحس اندس بد ك شك آخر فواين
اشرف والولاء. بعيب هذه المعروفة الحثيرة لني أنداه الذي بوحث، ل
نصرف حاس، سمد رادة سيد حاد م يستطيع حتى معاقبه حاد م عدا ك
مشية فيه بالتحطيط للثورة.

على أية حال، فإن هذا الرجل كان صاحب قلب حساس، وكان يدر
معنى الألم المعنوي لأنه قد تعرض له شخصب فلدنيا الدليل في رساله تعبر
كان قد أرسله إليه، بعد بضعة سنوات، صديق له، هو شبيح عدا، حمد
رروي، في وفاة حفيده محمد «قمر حديد مصي»، بحمة لأمعة بالنور، برعه
شاب متفتح، أمل مولود؛ فقدة الأهر ولأصحاب فاليوم يرقد في حفرة ب

تصور المترجمة * هذه الكلمات عبر الصديق المعزي. وليعثر الدموع التي
استكت من عيني ذلك الشيخ حراً على هراق الولد الذي يكن له حب
الأحداد لأسانهم ندين برؤسهم بولدون مرة ثانية، يذكر له مثل سدي عبد الله
بن العباس، ابن عم النبي، ومثل النبي نفسه، اللذين أمام وفاة أب أحدهم،
واس لأحر، م يستكها عن العير عن حزنها العميق هذه الرسالة، لني
حفظ مصها في مخطوط نوبة مؤرخة في العشر الأوائل من شهر رجب
1198 هـ (العشر الأوائل من شهر أغسطس 1745 م).

وأخيراً، بعد حكم مطهر سياً دام سبعة عشر عاماً، توفي بوحك في
سكون على فرشه، ودُفن في جامع سدي لحصر، وقد كُتب على شاهدة
قبره: وكنت ححرأ على شكل قوس، العبارة التالية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا قبر حسن باي من حسن المتوفى في 1197

في طاعة ورضا الله العلي القيوم

رحمه الله

بعد أن بحث ل عرصة بركة عديد عفود الملكية التي تلت أن هد
ابدي كان بمنك ثروة معيرة ولا يذكر منها سوى ثين لدعم م فله
انف حول م كان يعمله مسلمون بعلتها، لا عين وداعين بالشر على الدين
سكوه وليس علاقة القناعة بين القيمة المقدمة للملكية في تلك الفترة
وبين قيمتها المكتسبة في هذه الأيام.

في عقد مؤرخ في شهر أكتوبر 1747، حارت بموجه عائنة من حول
ارض «عين قحواو» بقرأ بأن هذا البيع بم مدع ألب ومثني ريان، عمدة

* حسن ليس أصلياً، فهو من حم عن النص الفرنسي المعون من الأصل

1. منقولة عن ترجمة شيربونو للأصل الواردة في
Annuaire de la mission archéologique année 1854, 57, p 101

2. بعد أن انتقلت هذه الملكية إلى أحد الفرنسيين، بيعت هذه الأرض في 1790 باسم
1790/10 فرنك. وقد تعرضت لبعض التحسينات المهمة منها بعمو بساتين والبرودات

انكسار أباد الله ملكهم وأزال وجودهم من الأرض أمنيات حملة كد الرد عليها بعد أقل من قرن برفقة العلم الفرنسي على أسوار قصة الحرائر وموحد عقيد آخر مؤرخ في شهر سبتمبر 1751، تم التنازل له عن ملكية شعبة الرصاص تعويضاً عن دين قيمته 600 ريال، كان قد أقرضه لأحد أفراد عائلة بن حلول نفسها، كما أصبح شعبان، وهو أحد أبنائها أيضاً، مالكا لملح الوحش بأكمله؛ الذي كانت قيمته آنذاك 650 ريال¹ يجب أن يذكر أيضاً الوثيقة الصادرة عن هذا الأمير التي يسمح فيها لعائلة بواديل بمنح مدرسة عليا للحقوق في المسجد الذي أمرها ببنائه في «قوة» أو «عين قوة»؛ المقاطعة القديمة جمهورية الرومان المسماة (Republique des Phuensiens)² هذه الوثيقة، المؤرخة في نهاية شهر نوفمبر 1745، تبيّن أن الذي حسن بوحك كان مهتماً بتربية التعليم لدى محكوميه؛ وهو ما يريد في مناصب هذا الأمير. لقد خلفه حسين باي.

حسين باي، المدعو زرق عينو

1167هـ، 1754م

كان حسين، المدعو «زرق عينو» (أزرق العين)، يشغل منصب الخليفة قبل أن يحل محل الباي بوحك؛ الذي كان صهره. لم يدم حكمه طويلاً مقارنة بالبايين المدين سقاء، ولكنه كان حاكماً مثلياً سرى

بغضه تركي المولد استطاع أن يلتحق مسكراً بصعوف الأوحاف، وقد جعلته شجاعته وشخصيته يتميز عن زملائه. وفي الحملة السابعة التي قادها الباي بوكمة ضد تونس؛ كان مُرهب الأعداء والذراع الأيمن

¹ هذه الملكية التي يحد كامل المنطقة المحتلة التي تطل على قسطنطينة من الجهة الشمالية الشرقية لا تضم أقل من عشرة آلاف إلى اثني عشر ألف هكتار. وفي عام 1863 بعد عائلة بن حلول للمدينة منطبة جزءاً منها مساحة 300 هكتار مقابل 50000 فرنك؛ تُسعر المبيع الكثير فيها لتزويد المدينة بآبارها

² انظر حول هذا الموقع الاكتشافات التي قدم بها شيرينيو الواردة في البحث السابق 854 1855، ص 63.

بقائه. وبوصوله إلى الحكم أظهر جميع مميزات الإداري الجديد؛ حيث أصلح واستكمل جميع الفروع التي تشكل مجتمعة حكومة الأتراك في البلاد، وحدد لكل وظيفة مهامها بعد أن كانت مهمة حتى تلك الفترة. لقد سبق وأن عرّفنا، في بداية هذا العمل، بالتنظيم الكامل لهذه الإدارة الأوليعارشية والعامية في أي واحد، ولا مجال لأن نرجع إليها. ونقول فقط بأن الفصل يعود للباني حسين أكثر من سابقه في إدراك قوة ذلك التمرّك جميع السلطات في يد واحدة، وإعطائه الدفعة والانصباط للارمين لصالحه.

ولكن تزامن مع اهتمامه بالإدارة العامة للبلاد، أولى اهتمامه أيضاً بتطوير تنظيم مختلف الخدمات العامة لديه قسطنطينية. وعليه، أراد أن تكون هيئات الجيوب مجتمعة في الاتحاد على رأس كل واحدة منها أمين، كما وضع قوانين تضبط العلاقات بين ملاك الأراضي ومستخدميه. ولم يعمل أيضاً جمع الضرائب؛ وهو الهدف الأسمى للحكومة باشاوات، والذي كان بالنسبة لكثير من الباشاوات الاشتغال الوحيد. لقد أحدث شيئاً من الإنصاف في تقسيم الأعباء، ومارس بعض المراقبة على الأعوان المكلفين بالحماية.

لكن الحرب سرعان ما اقتلعت من لاهتمام شؤون حكم الإقليم لداخية، وادته على طريق توس التي يعرفها جيداً؛ حيث سار عليها منتصراً.

لقد سرّدت آنذاك كيف، بعد استيلاء جيوش علي باشا على القيروان بقيادة ابنه يوسف، أرغم أبناء الباشا حسين بن علي على البحث عن ملجأ؛ فكان قسطنطينية بالنسبة لأحدهم، ومدينة الخرائث بالنسبة للآخرين.

بسبب تقلب السياسة في البلدان التي تكون فيها إرادة الحاكم هي كل شيء، سرى تلك الجيوش نفسها التي قبل بضعة أشهر ثبّتت علي باشا على عرش تونس، تتلقى الأمر بالزحف نحو محمي الإيالة السابق من أحل تمجيد بوابا الأسرة الحاكمة. ولهذا يجب الحديث قليلاً عما حدث في تونس خلال تلك الفترة.

بعد أن فقد يوسف باي ثقة أبيه سبب دسائس أخ مخادع وطموح اسمه محمد، حمل لواء الثورة ونحصر في مدينة تونس من 21 أبريل 1792 إلى 7 يونيو الموالي مُصرّاً على مقاومة هجمات والده المتكررة وفي أحد الأيام تفاحاً بهجمة عبر ثغرة في تحصيناته، فركب حصانه حاملاً كل ما علائمه، مصحوباً بعض مقربيه، متجهاً نحو قسطينة التي وجد فيها ملجأه.

إن تراكم الديون على يوسف وهربه إلى الجزائر، لم يحمده بار العيرة في قلب أخيه محمد الذي سبم أحبيهما الثالث سليمان، ولم يهدأ له بال حتى أصر بعسه ولياً للعهد على العرش. ولكن التآمر والقتل لم يبعاه طويلاً.

هذا التحديد تأتي حملة الخزائن الجديدة على تونس التي أسندت قيادتها إلى أبي ررق عينو وسنورد ما جاء حول هذا الموضوع في الحواريان التونسية بروسو، الذي أخذ هو أيضاً تفاصيل ذلك عن المؤرخ التونسي حمودة بن عبد العزيز.

عادة إحدى ثورات القصر المتكررة في الجزائر، وبالتحديد تلك التي حدثت في 11 سبتمبر 1754؛ أُسُخِبَ دايّ حديد على حشني سابقه الدين قُتِلَ في ذلك اليوم بعسه، لقد كان باب علي

هذا القائد الجديد كان قد كُتِفَ، قبل بضع سنوات من تعيينه، بمهمة على قدر كبير من الأهمية عند علي، باشا تونس، الذي أحسن استقباله، ولكن أبي يوسف قائده بارداء مهين، لقد كانت ذكرى سيئة جعلته يتحين الفرصة حتى يشمي عياله، فأهداها له يوسف الذي لحا إلى أراضيه ونجراً على طلب الدعم منه. أما بابا علي فقد أخذ موقف العدو، وتسى مصالح أبناء حبيب بن علي الدين أرغمتهم قوة السلاح مدة فترة وحيرة على اللجوء إلى الجزائر، فاستعد لإرسال جيش إلى تونس لإعادة تم على عرش أبيهم.

في 1755 سار جيش عمر مرم، وتوغّل في الأراضي التونسية، وكان بقيادة باي قسطينة زرق عينو بمساعدة علي باي، أحد الأمراء الذين جُردت الحملة من أجلهم.

ما إن قرر داي الجزائر إرسال جيوشه إلى تونس حتى عادر علي العاصمة

متحياً نحو قسطنطين للاتفاق مع حسين باي، الذي أسدت إليه القيادة، لعلب للحمية، كما بعث رُسله لتشجيع القبائل المستاءة من إدارة علي باشا على العصيان.

تقدّم الجيش، وعندما وصل إلى «شارمو» تلقى حسين باي أمراً من داي الجزائر تعليق العمليات والعودة إلى الديار. لقد كان هذا انتعش المماجي في السياسة الجزائرية نتيجةً للدهائن التي حاكها مؤالو عبي باشا من أوجاق الخرائر. لقد تمكّن هؤلاء الرجال من رعة قرارات اداي بالملعة في إيهامه بصعوبات الحمية، وإبرار وحه الظلم في اعتدائه على حليم وفي حتى ذلك الوقت، وتحويله معطر حيلياً للقوات التي سنو جهها المبدشيات الخرائرية.

وسرعان ما عقد باي قسطنطين اجتماعاً مع علي باي، وأطلعه على لأوامر التي نفذها سنو. لقد استطاع علي باي الذي أثاره هذا التصرف أن يجهي شكره مطهرًا، على عكس ذلك، هدوء تاماً، وقال حسين باي: «لقد سب لي الخبر الذي أطلعتموني عليه استياء كبير، لأنه يتعلق، بالسة لي، باستدال رحلة محوية بأخرى تكاد تكون عربة عبي وإيكم تعلمون بأي عادرت تونس في بداية حياتي لأقيم في الخرائر؛ حيث اكتسبت فيها عدداً من العادات التي جعلتني أعتبر كواحد من مو طيها، فلا يهمني أن أنحل عن أمل قليلاً ما بطلعت إليه. وليس الأمر بالشكل معه بالسة لكم؛ فكل خطوة إلى الوراء، ستطرح شرفكم وبعد مجد رايتمكم». فقال حسين: أكمل، فاسترسل متسائلاً: «في كل مرة يشرب فيها أوجاق الخرائر الحرب على تونس لصالح مطالب شرعي بعرش هذه الإيالة، ألم تأت القنائل لتوسية لتصم تحت ألوية الخرائريين؟ ألم تُهدم، فصلاً عن أسبحتها، كل ما يحتاجه الجيش العاري؟ أُطروا إلى عدد العرب الذين لواء دني رغم الدكرات لمرعة للانتقام الذي تعرضوا إليه من طرف الذي لدى حصار لكاف؛ حيث سارعوا بالانصهار في صفوف الخرائريين، وبعد بحلي هؤلاء

١. يذكره رومو باسم حسن. ولتجنب الخطأ ذكره في هذا الصن باسمه الحقيقي: حسين.

عنهم وقعوا فريسةً لذلك الأمير الثائر. وعندما رحف «عشي حسين» نحو تونس، كما تعلم سلماً بأنه كان وفياً لدي هذه الإيالة، وأنه لم يقطع الأوامر بقتله إلا على مصص، وأيضاً لم يتفاحاً برؤية الجيش الحرثري يعلق ويتراجع بعد ذلك عن الحملة التي شرع فيها؛ ولكن لم تكن تتوقع أن يحصل هذا في ظرف كالذي نعيشه. فالكراهية التي نحمّلها لعل باشا تظهر في أفعالكم وأقوالكم. وسيكون استحقاقكم المحرري، في نظر الناس، اعترافاً جلياً بالحر. وستصح القتائل التوسية مد الآن صماء أمام صوتكم، ويتعين عليكم عدم الاعتماد على دعمها في حملاتكم إلى الأبد. - نتيجة أخرى لاستحقاقكم غير المفهوم هي أن قتالكم المهكّة من سلبكم سوف تعر إلى تونس حالما تدرك عجزكم عن احتضانها؛ وبذلك سوف تشرى الحكومة التي ستقبلهم بتقديمها عناصر جديدة للقوة والاردهار. أمعوا النظر جيداً في هذه الأفكار، وفقدوا المزايا التي ستنتج عنها بالنسبة لأوجاق الجزائر؛ إنها غير معدودة^{١٠}.

كان هذا الحديث المطروح بعناية الأثر الكبير على نص باي قسنطينة لقد تردد أمام المسؤولية التي سيواجهها، وبعد خطابات من التفكير قرر أن يكتب لداي الحرثري لشرح له التبعات السيئة لقراره، وأنه سيستقبل من على رأس حكومة قسنطينة إذا لم يرحف الجيش على تونس. لقد أثرت رسالة الباي حسين كثيراً على داي الحرثري الذي استعمل عليه أنصار الأمراء كل وسائل التأثير من أجل دعمهم، فصدر أمرٌ حديد، وكان هذه المرة بمواصلة السير نحو تونس، ونعيد العمليات العسكرية دون تأخير.

لم يتأخر الحرثريون في الوصول إلى مشارف المدينة التي أحاطها علي بعد من التحصينات التي تخندق فيها مع جيشه^{١١}، وسرعان ما تمّت محاصرة

١٠. نص الخطاب ليس أصلياً؛ فهو مترجم من النسخة العرسية المنقولة من الأصل.
١١. مارالت اليوم أطلال تلك التحصينات الدفاعية المكوّنة أساساً من جدار من لثي به كوات، وعن طريق القصبة يتصل بقاعدة الحصن المسمى «برج علي واپس» الذي يرتفع في جنوب شرق المدينة ليمتد حتى «السحيرة» مروراً بمقام سيدي بلحسن والعراع العاصل بين هذا السود وأدى بيوت المدينة كان معبراً فيه ركّز علي باشا قواته

الملك وبدأت المناوشات خارج الأسوار. وفي أحد الاشتباكات كانت العدة على الخرائين. فهاجم المحاصرين ببسالة؛ وحدوا صفوفهم تتفرق تحت يراي الأعداء وأرغموا على الفرار. ولكن بفضل حكمة علي باي؛ تجمع هاربون واسترجعوا المواقع التي كانوا قد خسروها، وأحبر المحاصرون على ارجوع مسرعين إلى مواقعهم بعد أن تكبدوا خسائر معتبرة

لم يشارك علي باشا ولا ابنه محمد باي في القتال. ولما وحدا جيشهما بهرم وبتراجع نحو تونس؛ تمكن منهما اليأس، وفقد الأمل في نجاح الدفاع.

لقد تبعت هذه المعركة الدامية اشتباكات كثيرة أخرى كانت كلها لصالح الخرائين. وأخيراً، وفي الخامس من ذي الحجة (31 أغسطس 1796)؛ تم الاستيلاء على المدينة بالقوة، وقُطع رأسا علي باشا وابنه محمد باي. ومنذ تلك اللحظة أصبح الحكم لمحمد باي، الابن الأكبر لحسين بن علي، الذي صار العرش من حقه.

بكر التوافق الذي ساد حتى دبت الحرب بين الجيش الجزائري والأمراء التونسيين تكدر بنراع شديد بين علي باي وحسين، باي قسطينة، حول مسألة اقتسام العثم فأقدم علي؛ بعد تعرضه للإهانة من طرف حسين باي، على توجيه مسدسه المحشو إليه؛ فهرب حسين إلى معسكره صائحاً متهماً علياً بالخيانة، وداعياً الأتراك من أتباعه لمعاونة من جاءوا ليقتل من أجلهم. وسارع محمد باي للاحتواء في قعدة الاردو، فيما اسحب علي باي إلى صفاقس.

لقد كانت هذه الاضطرابات فرصة للعناصر التركية في تونس التي انصم إليها عدد من الجنود الجزائريين لمحوصل في عمليات السلب والنهب المنتشرة في المدينة؛ حيث اجتمعوا في ساحة القصبة واستولوا على القعدة، ثم انتحبوا قائداً من بينهم وأسسوا حكومة ثورية تسلطت لمدة أسابيع على السكان التونسيين البؤساء. وتشجعهم بعد نجاحاتهم الأولى، تقدم الشوار نحو الاردو وحاصروا محمد باي، وتمكنوا من استقدام جزء من الجيش خرائي إلى صفوفهم وفي هذه اللحظة اخرجت سارع محمد إلى طلب

السجلة من أخيه علي باي، الذي هرع من صفاقس على رأس القوات التي بقيت ودية له. وبفصل حماسه وشجاعته تمكن من السيطرة على الثورة، واسترجاع سلطه أخيه، وإرغام الجيش الحرائري على عبور الحدود ولكن هذا النجاح لم يتحقق دون بعض التنازلات؛ فقد تختم عليه دفع مبلغ معتبر جداً للجزائريين، والاتفاق على هدم التحصينات المقامة على حدود تونس العربية. ويُعتقد أيضاً أن الرسم السوي المقدّر بحمولتين من الزيت الذي كانت تدفعه تونس لأوجاق الجزائر؛ كان من بين الشروط التي سمحت، في تلك الفترة، بإحلاء الأراضي التونسية. وسوف نرى لاحقاً كيف تمكن همودة باشا باي من التخلص من هذه الصرية المهيبة

في أرشيف القصلية يُحفظ محضر جلسة حُرّر بتونس بتاريخ 2 ستمبر 1756؛ يعطينا فكرة عن حالة الفوضى والتهب والسلب التي قام بها الحرايريون لدى دخولهم إلى المدينة. بعد 30 حوالاً 1756، وحتى قبل وصول الحرايريين إلى تونس، تمّ تحذير الفرنسيين التابعين للوكالة التجارية المقيمة هناك من تلك الأحداث؛ فحَصُّروا أنفسهم، وتلقوا من السلطة المحلية حراسة موحَّهة لحرص احترام لصدق الذي كانوا يقيمون فيه. ولكن هذا الاحتياط الحكيم لم يُجدِ نفعاً؛ لأن الحراس الذين كانوا في مدخله لم يستطيعوا حمايته من سلب الحرايريين. وبعد سقوط المدينة، في 31 أغسطس 1756، انتشرت عصابات فوضوية من الأتراك في الشوارع، وسلبت جميع المساكن وبعد يومين، وفي 2 ستمبر، ودَّعِم الأوامر الصادرة باحترام المصدق القصلية ومارل التجار؛ وقعت مجموعة من الحرايريين أمام باب الفندق الذي أُعْلِق مع اقتراحها، وطُدت بفتحه. وأمام الرفض أهالت على تحطيمه بالعُزُوس وبسهما هي كذلك، أسرع قنصل فرنسا «دوغرو دوسولورا» (Du Grou de Sulauze) بتجميع مواطنيه، وفروا جميعاً عبر الأسطح إلى قصلية الشعيقة، وحتى منزل القنصل؛ وحاصَّة ديوان الأحتام الذي به الصدوق المحتوي على مبالغ كبيرة قد تعرَّضت كلها للتخريب والتهب وعصر

الحسنة، الذي ذكرنا تفاصيله أعلاه، كان قد حرّر عشرة أيام بعد هذه الحادثة، وقد شارك في كتابته القصص وناث عن الأمة وانتجاراً، وكان الهدف منه لوقوف على الأحداث وحلاء السيد «فاليير» (Vallière)، أمين الاحتام، من مسؤوليه المحارون المهوبة من طرف الخرائير وفي معرك تلك الأحداث الموصوية تم أيضاً تحريص وهب الكنيسة ككثوليكية ودر صيغة الرهان الثابوتين، كما أتت في هذه الظروف جمع أهم وثائق الأرشيف المتعقة بالمهمة الدينية»¹.

بمجرد سقوط مدينة تونس في 3 أغسطس، سارع السي درف عيو برف الخبر إلى باشا الخرائير ووصلت الرسائل إلى اعصمه في 10 ستمبر؛ مثلي ورد في محضر جلسة المجلس المعقد في هذ الشأن بقصيلة فرسا في الحادي عشر من نفس الشهر، ونقرأ فيه:

«به من الضروري تقديم بعض العطايا نقداً للدين وصنوا لتوهم حاميين خير سقوط مدينة تونس حتى نعتز عن مشاركتنا فرحة نجاحات الإيالة. فالأمم الأخرى فعلت هذا، كما يجب أن يطوف تسعاة، يؤدني من انشاء، على جميع لبيوت مع رجل من رجان، لأعا حتى يجمعوا هذه الإكرامية...»

وعلى هذا الأساس اجتمع هؤلاء السادة وقررو بالاجماع بأن يجدر دفع مبلغ نقداً قدره مئة وثلاث قطع نقدية وأربعة أخرى "بعرفتي انريد التركية والموركية اللتين حكت بشري سقوط مدينة تونس، وكان ذلك المبلغ على شرف وأهمية الأمة بمرسية، إلح»²

«قبل شهرين، أي في العانح من يوليو، قام قنصل فرنسا بالخرائير، السيد «لومير» (Lemaire)، بإصدار إذني بدفع ثمانية وأربعين قطعة نقدية لشراء ردء يُقدّم لدحاح عبي، أحد صباط باي قسطنطين، الذي كان قد حمل إلى الباي

¹ Annales tunisiennes, p.137 et suivantes

² «وردت في الأصل "leur part de dix quatre centimes" Archiver du Consulat de France à Alger, publiés par M. A. Jevon à Alger en 1865

خبر الاستيلاء على مدينة الكاف بملكه تونس¹ والذي تلقى هدايا وعقوبات من طرف ممثلي الدول الكبرى والقناصل الأوروبية للتعبير عن مشاركتهم فرحة بحاجات الإيالة².

في بلداننا المتحضرة تتحمل الحكومة أعباء الأفراح العامة، كما تنكس بمكافأة الذين خدموا الوطن، وصحيح بأن الحكومة في هذه الحالة هي مع المواطنين. ولكن في باشاليك الجزائر فإن الأمور، كما نرى، سير بطريق مختلفة. فإذا لم يكن في الخزينة العامة ما يمكن صرفه، يتحمل تلك المصاريف الأثرياء من الشعب؛ وخاصة من الأهم الأجنبية التي طالما أثرت من أجل التمتع بالحماية التي كانت تُمنع عنها تحت أي مبرر. لقد كانت بمثابة صريخ بشكل مختلف تُصاف إلى ضرائب أخرى، ورغم أنها لم تكن إجبارية؛ فإنه من المؤكد أنه لا توجد أمة لها ممثلون بالجزائر يمكن أن تتجبراً على انتمس بها دون أن تتعرض لعقاب. شرف آخر إداً لفرنسا التي حصلت أخيراً أوروبا من تلك الأعباء.

لنعد إلى حسين باي؛ الذي تركناه في تونس يناقش مصالح حكومت فعندما تلقى مقاب نصره معظم التنازلات التي فرصها، غادر مع جنه عابراً الحدود التونسية حاملاً الكوز والمجد، ولكنه لم يتمتع كثيراً بذلك النصر.

في منتصف الطريق إلى عاصمته أصيب بنوع من الرص؛ فعنت البئر جسده، ومات بوصوله إلى قسنطينة خلال الشهور الأولى من عام 1170هـ (أواخر 1756م).

رغم أن الكاتب العنبري تعرّض إلى هذه الحملة بشيء من التفصيل إلا أن كل ما قاله كان مُلتبساً ومُفتقداً للدقة لدرجة أن الترجمة التي تمت بها لم تُصِف شيئاً للقصة الكاملة والمؤثرة التي نقلناها عن الحوليات التونسية وكل ما أفادنا به هو نوع المرض الذي أصاب الباي لدى عودته، وهو ما نقلناه عنه.

1 الأرشييف نفسه، ص 71

أهم قادة الزمالة، وآخرون.

بعودته إلى قسطنطينية خرج مجدداً للإغارة على الشافية المنمردين وحللاً
للمهمة السابقة لم تقم قواته إلا بالقتل والسلب؛ حيث رجعت بعائهم كثيرة
من الماشية والمؤونة، كما كان عدد القتلى قليلاً

وبعد فترة قصيرة خرج لمعاينة أولاد سلطان؛ هؤلاء الحسيون المنقصون
دوماً ضد السيطرة التركية، والذين لم يستطع البايات إخضاعهم إلا بشكل
مؤقت لقد طاردتهم في حياتهم وأرغمهم على دفع ما عليهم، ولكنه فقد أحد
أحسن مساعديه؛ وهو الشجاع كيش بن سلامة قائد الرماله، الذي بسب
حميته ونهوره في ملاحقة العدو، وجد نفسه وحيداً بعيداً عن رفقه فوقع
أسيراً. وحلت له ضجاعته وتغايبه في خدمة القضية التركية موتاً قطيعاً؛
حيث رُبط إلى جذع شجرة وأصرمت فيها النار، فهلك وسط اللهب

كانت تلك هي الحملة الأخيرة التي قام بها أحمد باي فمعد ذلك الحين
أصبحت سلطته مستقرة في كل مكان؛ حيث أصبح الناس يسارعون لتقديم
فروض الطاعة بين يديه، كما أصبحت الضرائب، مصداق خضوع الشعوب،
تُجمع بانتظام فتصرع إدا لأعمال السلم واهتمامات الإدارة

نقرأ في إحدى الروايات المنشورة دون اسم مؤلفها بأنه «كان هاوياً
كبيراً للسياح؛ حيث نرى في قسطنطينية ثكنة الإنكشارية، وذلك برحة
الجمال¹، وبالتحديد السياح التي يحتلها حالياً مقر الخربة ومقر فرع الدائرة
(subdivision) وبنائات أخرى كما وسع زراعة المستقعات أو «الحامات»،
وشجع الفلاحة».

لقد قام أيضاً بنقل ناس الرماله، ومنحهم محبياً حديداً في «عشة الجمالة»
الواقعة على بعين طريق ناته، وأقطعهم جميع الأراضي الممتدة هناك من
«مديسو» إلى نومرووف، كما بدأ تشييد مسرح القسطنطينية
هذه السفلات المرحلية للزمالة؛ التي رأيناها في بادئ الأمر بحجم على

١. هذه الثكنة التي تقع على اليمين عند دخول قسطنطينية عبر بوابة قاي ستروم قريبة لترب
المكان للسوق المعطاة والمسرح الذي يقترح الملبية إنشاءهما في هذا الموقع

صاف وادي الرمال ثم في تيكمارت، وايوم في عشة الجمال، ثم سوف براها
تحمّل حياها إلى مكان آخر؛ لم تكن متيحة مجرد نروية لباي، أو من أجل التعبير
فحسب؛ بل إنها، بالعكس، نابعة من الفكرة الاستيطانية الوحيدة التي حرّرها
الأترك في هذه البلاد؛ هؤلاء الدين طالما استعلوها ولكن لم يؤسسوا لها شيئاً
وفي الواقع فإن قبيلة لرمول المتكونة مدنياً من العناصر الأكثر تافراً
والأقل تأقماً مع الأعمال المستقرة في الحقول؛ قد تعيرت شيئاً فشيئاً تأثير
تنظيم عسكري في مجده، وبهذا التصام، المشترك خلق وسط الأفراد الرامين
إلى نفس الهدف ما نسميه اليوم روح الجماعة فتمنعها بالصلاحيات،
وعفائها من الضرائب، وعثائها بما تسلب من القائل المنردة؛ وجدت
الثروات تتدفق عليها شيئاً فشيئاً، وهذه الثروات ولدت حب الرفاهية وخاصةً
تلك التي توفرها العذلة وسرعان ما أقيمت خيمة الراعي وخيمة الخماس
المستقرتين بجانب خيمة المقاتل المثقلة. ودون فقدان أي شيء من ذلك
الطبع المحب للحرب؛ الذي كان أساس تشكيّلها وسبب إدخال والدين
حدود إلى حظيرتها، سعت شيئاً للحصول على أكبر قدر ممكن من الأراضي
التي يصعبها المايك تحت تصرفها، وذلك ببيكال رعي قطعها الكثيرة إلى
أيدي أحبية، والاستعانة بملاحين لخدمة حقولها وبدلت، ودون لإحلال
بالشرط الأول، يتعيّن على كل رئيس خيمة أن يكون فارساً وفلاحاً في آن
وحد وبما يركّض كل أفراد القبيلة الأصحاء وراء السيوف لخدمة سياستهم
أو ثأرهم والاعتناء في الوقت ذاته من النقائل المعمار عليها؛ يهتم الخدم
ولساء والأطفال، تحت مراقبة لشيوخ، في الأعمال الملاحية في سلام؛ وهم
موقوفون من عودة لمحاربين محمّلين بالعائث التي تريد من رعاء قبيلتهم
لقد كانت أراضي الرمال أيضاً الأحسن استصلاحاً وتنعيماً، وهنا رأينا
توغل فكرة الاستيطان في السياسة التركية؛ تلك الفكرة التي أحداها عنها
ربما مجداً، ولكن لم يكن ممكناً أن تكون أقل حصونة في نتائجها إذا وجدت
طريقاً أكثر اساعاً وفي مواقع؛ فإن تلك الأراضي التي كانت تملكها القبيلة
على أساس الإقطاع، وبعد تأميمها بالاستصلاح والتخصيص بالساد؛ كانت

تُسحب منها التُّمَنَح لسكان جدد لا يقومون إلا برراعتها من أجل الحصد، ولكن مع هؤلاء كانت الخزينة تستفيد بأخذ ضريبة العشور منهم، وتزود الفائدة تناسباً مع جودة الأراضي.

كانت هذه الأراضي أيضاً بالنسبة للدايات وسيلة سهلة لاتحاد أملاك ريفية لهم في ضواحي قسطنطينة، ولكافة مخلصيهم ومفضليهم بالتدخل من عن جزء من هذه الأراضي. وهذا ليس خطأ، بل يمكننا حتى الاعتقاد بأن هذا هو المبدأ، أو الداعي الوحيد لنقل الرماله مرحلياً هكذا ومنها نكر الفكرة التي ترتبط به، فإن هذا النظام أعطى نتيجة ممتازة؛ وهي جعل مساحات شاسعة من الأرض منتجة على امتداد حبوب وعرب قسطنطينة التي طالما كانت مهجورة وبوراً.

في هذه الأيام أعيد إحياء فكرة استيطان الرماله هذه، ويُعدُّ الماردون «راندون» (Randon)، الذي كان حاكماً عاماً للجزائر، من أبرز المدافعين. ولكن هل الصبايحية الذين تجمعوا في زمالات بوجدون في نفس الظروف التي كان فيها المحاربون القدماء الذين كانوا يشكلون قبيلة الرمولى؟ هؤلاء لم يكونوا يخدمون الأرض بأنفسهم؛ بل كانوا يستعملون خدمهم، ولم يكونوا يقبلون أبداً وضع السيف أو السندقية لمسك مقض المحراث. أما الصبايحية الحاليون الذين يعتبرون أنفسهم، هم أيضاً، رجال خيل وبارود، ولكن ليس لهم رعاة وخماسون يخدمونهم؛ هل أصبحوا أحراراً بالقدر الذي يسمح لهم بصحد تلك الأفكار المسبقة، ويصيرون مرسماً وفلاحين في الوقت ذاته؟ إنها مسألة ما زالت تنتظر الحل. ومع هذا؛ فإن ما يمكن أن نؤكد، ابتداءً من اليوم، أن تشكيل الزمالة الحالية يختلف عن تلك التي أوجدتها الأتراك، وأنها بعيدة عن تحقيق نفس عناصر النجاح لهذه الأخيرة، فوسائل نشاطها تبقى محدودة أكثر.

لقد انقصت سنوات حكم أحمد باي القلي في أعمال التزيين والإصلاحات الإدارية دون أن يتعكر صفو السلم في لحظة ما. وساد الرخاء، ولم يكن السكان السعداء بالعيش في كنف هذا السيد يبحثون عن التخلص من

اعينهم التي استطاع أن يحفظها. وموفي معرض أصابه خلال عام 185 هـ (1771م) بعد فترة حكم دامت خمسة عشر عاماً، وكان بعزم السبب لصالح بي الذي سيرتقي إلى الأوج بهذه السلسلة من الأحكام الأتراك، الذين سجنوا في توريح قسطة شيئاً أحسن من تلك الصفحات المليئة بالعتل والدم، وكان حبر نخامة ها.

صالح باي بن مصطفى

1185 هـ، منتصف عام 1771م¹

استعمل هذا أساي حائمين كان الأول بسيطاً جداً ولم يحمل سوى هذه الكلمات: صالح باي بن مصطفى ١١٨٥

أما الثاني فقد كان بيضاوي الشكل، يبلغ طول المحور الكبير ثلاثين مليمترًا، بينما يسع طول المحور الآخر خمسا وعشرين مليمترًا كان نقشه رقيقاً وواضحاً جداً، وبداخله متوازي أضلاع يحوي مقعرة بوعام؛ يحاط بدائرة أولى تتصل بزواياها الأربعة التي تمتد حتى دائرة ثانية تسع حواف الخاتم بطريقة تشكل أربعة أشكال بيضاوية صغيرة وأربعة أخرى كبيرة، وفي مربع «وسط بقرا» حروف بارزة: صالح بك، ورقم السنة ١١٨٥ مكتوب في الراوية اليسرى، وتحيط بها العبارة:

الوائق بالملك الحي الفقيح إل لله *

¹ في ملاحظة جاءت في أسفل الصفحة 122 من العدد 68 من المجلة الإفرقية (La revue africaine) لسنة 1868؛ نجد أن الوثائق المعاصرة لصالح باي، والتي هي ضمن أرشيف شركة إفريقيا الملكية (Compagnie royale d'Afrique) تثبت بأن تعيينه على رأس حكومه إقليم مسطبة كان في الفترة الممتدة من 20 يونيو و26 أكتوبر 1771

* هكذا وردت عند فاسات (الله)، والصحيح لغة كتابتها إما (الله) إذ كانت معرفة بحرف (ال)، ما حذف هذا الحرف نهائياً حتى يستقيم المعنى أو ربما يكون حرف الألف قد سقط من كلمة الله سهواً، أو خطأ لعدم تمكن الكاتب العربي من ابلعه العربية، أو ربما يكون قد انتهى من الخاتم. (المترجم)

وبين الدائريين يُقش البيتان الأتيان المأخوذان من قصيدة الردة لصاحبها
الصيرفي في مدح النبي:

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الاطم
ما سامني الدهر ضيأ واستجرت به إلا ونلت جواراً منه لم يصم

هذا الأمير الذي مارالت ذكراه حبة في أدهن أهالي قسطنطينية هو، دون
شك، الأكثر تميزاً بين كافة الحكام الذين تعاقبوا على قيادة إقليم الشرق
خلال الفترة التركية. فاعتباره رجل حرب كان له مآسوس، أما باعتباره
إدارياً فلا يوجد أحد يصاحبه. وفي هذا الجانب بالتحديد استطاع حقيقة أن
يبرز في عصره، وأن يكرر في عيون السكان الذين كان يمارس عليهم سلطته
لا يوجد كنت أهلي ترك لا قصة كاملة عنه. فبعض الطلبة من معاصريه
قد رَوَوْا بعض الحلقات من حياته السياسية والدينية؛ التي كثيراً ما يحتفظ
فيها العجيب بالحقيقي. وفي أيام هذه، وبطلب من أشخاص راعيين في
معرفة منجزات ونصرفات سي مارال اسمه على كل الشهادة؛ كتبت آخرون ما
شاهدوا وما سمعوا عنه معتمدين على ذاكرتهم وبدورنا سنجاول نسبق كل
ما استطعنا جمعه عن حياة هذا الأمير؛ وذلك باعتقادنا، فيما يتعلق بالأحداث
التاريخية، على المصادر المتنوعة التي ذكرناها آنفاً. أما فيما يرتبط بالأحداث
الإدارية؛ فارجع إلى العقود الأصلية العديدة التي مرت علي.

وُلد صالح بي، كما يروي شيربويو¹، في سميرن سنة 1725. وفي سن
السادسة عشرة وجد نفسه مُرْعِماً على الخروح من موطنه هرباً من انتقام
أب؛ كان قد قتل ابنه خطأً بينما كانا يلعبان، فنزل في الخرائر؛ مدينة القراصة
ومرسى كافة الصبائر المجرمة أو المصطربة.

أجبرته ضرورة العيش على العمل كحادم لقهوجي الأوجاق، ولكن منه
كان بعيداً تماماً عن هذا. فبتعرفه على بعض مواطنيه المسخرطين في صفوف
الميليشيا التركية؛ أصبح حدياً مثلهم، ومدد ذلك الحين والخط الذي سبقوه

¹ انظر 116 p. 57 في Annuaire archéologique de Constantinople, 1896.

لاحقاً إلى أعلى المناصب لم يحه أبدأ « كانت بداياته لامعة؛ حيث أظهر شجاعة وشاطاً، وأداة مذهلاً لكل التعريبات الحسية». وبارساله ضمن كتيته إلى حامية قسنطينة؛ شارك في حملة الباي زرف عينو ضد تونس، وفيها كانت له أكثر من فرصة للفت انتباه قاده؛ وخاصة أحمد القلي الذي لم يسه أبدأ.

ولما وصل الباي أحمد إلى السلطة عيّه أولاً قائداً للحراكة «وأكثر من ذلك، فقد زوجه من ابنته. ولمدة ثلاث سنوات راول القيادة التي أسدت إليه. وخلال هذه الفترة أصبحت وطيفة الخليفة شاعرة مرشحه صهره؛ وبذلك تقدم في المناصب بشكل تلقائي. وبعد ست سنوات، أي في عام 1771، حلفه على رأس حكومة الإقليم».

كان اهتمامه الأول في الحكم هو بسط سلطته على السكان الذين سيصبح يوماً مُصلح أمورهم. لقد كانت المهمة سهلة بالنسبة له؛ حيث كانت محصورة من طرف سابقه الأواحر الذين عودت إدارتهم الحكيمة البلاد عن استحقاق لسلام، وعلى تحمل عبء الاستعداد الذي يحف ثقته عدم يكون بيد عادلة ولكن بما أن نظام حكم الأتراك في هذه البلاد يعتمد على مبدأ الصعط والقوة، وخشية رؤية نفوده يهتار وسلطته تضمحل؛ لم يكن صالح مستعداً لتحلي عن سياسة بدأت منذ متي عام، وهي سياسة قد تأهل عليها مدر من بحكم أصله وتكوينه؛ فتأهب إذا للقتال.

لقد كانت حرجته الأولى التي احتفظ لها بذكرها مؤلف معطوط عن الرموز؛ صد أولاد نايل، سكان الخوب، هؤلاء المتعصين كلما أحسوا أنهم بعيدون عن القصة الحديدية التي تصعط عليهم بقوة أحياناً، ولكنهم كانوا مجبرين على الهجرة الموسمية بسبب طبيعة الأرض التي يسكنوها وفي المنطقة المسماة «المالح» أو «أسميف» وجدت الحامية من اختارهم عص لاي ليكنوا هدف ضرباته لقد كان الهجوم شرساً؛ فسرعان ما انتهت العرة ولم يحاول المتعصون إلا السجاة بحياتهم بالقرار؛ محضين في يد

نعرف أن سكان الصحراء، بامتشاء سكان الواحات، مرعمون على الروح، كل عام مع الثراب فصل الصيف، إلى هصاب التل طك للباء والمرعى القديس يولان في سهولهم الحارة والحدة

المنتصر قطعان إبلهم وعتهم، وحتى خيامهم التي نُهت ثم عددوا لإعلان
حصوعهم، فأعطاهم الباي الأمان قبل أن يرجع إلى عاصمته وفي طريق
العودة كانت له الفرصة لتطبيق صرامة شديدة على أحد الأشرار من شانه
أن ترعب كل من يحاول تقليده لاحقاً.

لقد كان معسكراً مع حامته في المشير على أراضي الرمول، عندما
نسل رجل من أولاد رايد من قبيلة البرانية إلى معسكره ليسرق من المؤونة
المخصصة لطعام الباي وبالقض عليه متلساً من طرف الخدم، أفتيد إن
صالح الذي كان في أوج عصه وسخطه؛ فأمر بقتله بالخازوق فوراً هذا
السوع من العقاب لم يكن مألوفاً في هذه البلاد بشهادة الراوي العربي الذي
أحدنا عنه هذه القصة؛ لدرجة أنه عرضها بكل تفاصيلها

كانت تؤخذ عصاً طويلة بعد أن تُزال خشونتها بعناية، ثم تُرى إحدى
نوايتها حتى تصح حادة جداً، ثم تُدهن بقطعة من الزيت والصابون،
ويتم إدخال العصا من جهتها الحادة عبر شرح الشخص، والضغط عليها
حتى تخرج من بين كتفيه. وبعد الانتهاء من هذه العملية؛ تُثبت العصا
عمودياً بفرسها في الأرض بشكل يُظهر المعاقب وكأنه يركب حصاناً في
هذه الموضعية يقوم ذلك الناس، قبل أن يُسلم روحه، بإيحاءات وتشويبات
بدراعيه ورجليه تشد أظفار الحصور إلى هذا المشهد، كما يطلق عبارات عبر
مفهومية خلال تلك الالتواءات والتشجعات المرعبة بسبب الآلام المقيقة
التي حلت به ثم يموت بعد بضع ساعات.

مدني صار المكان الذي وقع فيه تنفيذ الإعدام، والذي كان يسمى قبلاً
المشير بمعنى الأطلال، يدعى «مشير المسفج» بمعنى «أطلال المخروق»
وأصبحت ذكرى هذا البائس مصدراً للعلل الذي يُصرب في كل من لا
يترسل في كلامه؛ فيقال «يتكلم كي المسفج».

فصا ص قاس كهذا عقاباً على محاولة سيطرة للسرقة؛ لم يجد في نظر
الراوي العربي مبرراً مُلطفاً سوى أنه حدث في بداية حكم صالح باي قبل

١ الصابون المستعمل من طرف العرب يكون أسمر اللون، وعبرة عن عجينة رخوة.

أن يصرع للأعمال الحسنة التي مَيزت دقي حياته. ويصيف هذا الراوي على شكل حكمه. «لا شك بأن كل قائد لسلطة عاد لا يحكم في آخر عهده أحسن من بدائه»، دون أن تنسى هذه الخلاصة بما أن ساريج يبقى بعيداً من أن يؤكد دوماً؛ بدليل حالة صالح باي كما سنرى لاحقاً، حيث لا يعكس دوراً غص الطرف عن عقاب كهده، مهما كان الدافع إليه؛ سواء كان سبباً سياسياً، أو كان نتيجة مَسيطة لَغصب عهري. كما أنه أبان عن ميول صاحبه بلوحشية، وتقديرٌ عبر دقيق من هذا الأمير الذي يرى بأن العتاب يكون متناسباً مع حجم الجرم.

إن صالح باي، سزانه الكيرة، كان بعيداً على أن يكون مُرَّحاً عن عبوب الملاممة لمراجة الخاص والحسه. وبدون أن روح الانتقام، بالخصوص، قد درست عليه سلطاناً لم يتعكس أبداً من التحكم فيه. ولذلك نعهده، من أجل إسماء حفيد قديم تجاه ابن «الباي» بوحث بعدما كانت تربطها علاقة صداقة، وما إن أمسك بمقاليد الحكم؛ حتى سارع بإصدار أوامر بتوقيعه ركان حريته، بلا شك، أن يطبق القاعدة الحميلة لـ«ليكيا» (لويس الثاني عشر) (Louis XII) الذي، بعد اعتلائه للعرش، لم يجد من اللائق أن يتضم ملك فرنسا من «دوق أورليان» (Duc d'Orleans) بسبب بعض الخلافات ويزيداره في الوقت المناسب، ثمكّن ذلك الابن، المدعو حس باشا، من السحابة والفرار إلى نلمسان؛ حيث تكمل الباي محمد الكبير، الذي كان يحكم حينئذ، قليم وهران، بكل احتياحاته، ثم توسط له لاحقاً لدى داي الجزائر من أجل أن تال أسرته الإذن بالالتحاق به¹. وبعد عشرين عاماً، عاد هذا المنفي إلى مدينته الأصلية، ليس كهارب ولكن كسُدد، وانتقم بدوره من مصطهده بانتزاعه منه الحكم والحياة بالقوة.

في السنة الموالية شس صالح باي عروّة على أولاد عمر أطلق فيها العنان لعرائره الانتقامية والوحشية. فلما قُتلتهم عن المقاومة التي دافعوا بها عن

1. انظر عرْشاً عن باي وهران محمد الكبير في مجلة إفريقيا.
Notice sur le bey d'Oran, Moharumad-el-Kebir, par M. Gorguon, dans la Revue africaine, année 1856, p. 454

قريتهم «النميلة»؛ قام بقطع رؤوس مئة من أهلها الأقوياء، وأرسلهم إلى قسطنطينة؛ حيث تم تعليقها على أسوارها ومن هناك انتقل مع معسكره إلى «حاق تشودة»، وهاجم قبيلة السفينية التي كانت ترفض دفع الضرائب أو تتهاطل في ذلك، واستعمل في هذه الحملة قواته النظامية وبأس الرماله الذين جر بعضهم بعضاً فكانوا كالسيل الجارف، وأبادوا كل النساء الذين كانوا في طريقهم، واستولوا على كل ما وقعت عليه أيديهم.

هذه الخرجات وأخرى التي استعمل فيها صالح دوماً القسوة القسوى ضد المتعربين، كانت قليلة بلا شك حتى ينال حب محكوميه، ولكن على الأقل كانوا يتعلمون بها حشيتهم فلدى الشعوب البربرية، كما نعلم، لا تُعاس عظمة الأمير بمدى المحبة التي يمكن أن يحلقها؛ بل بمدى الرعب الذي يوحى به اسمه ومن جهة أخرى، جاءت فرصة جيدة لصرف النظر عن كل ذلك، ومساعدته على السيطرة بغير الإعدامات الدموية وجلب محبة واحترام الجميع له. إن نود الحديث عن حملة «الكونت أوريلي» (Conte O'Reilly) الشهيرة على الجزائر سنة 1775؛ التي منحتة فرصة إبراز، على مسرح أكثر جدرة، مميزات الحرية التي برع بها، وقدرته على قيادة الرجال.

كان صالح قد عاد لتوه من مدينة الجزائر؛ حيث ذهب إلى هناك شخصياً في شهر مايو من تلك السنة، 1775، ليقدم الدنوش. عندما رُفع صوت السلاح مدياً بالجهاد، وانتشر كالشرارة الكهربائية في كامل تراب الإيالة لقد عُلم بأن أسطولاً إسبانياً يقترب من سواحل الجزائر، وسرعان ما أُرسِلت كتبت إلى ديات الأقاليم الثلاثة من طرف محمد باشا، ومعها أمرٌ بالهجوم سريعاً لنجدة العاصمة فجمع صالح ما استطاع جمعه بسرعة من قواها مشكلة من الجنود النظاميين والمجندين، ووصل بحطى سريعة ليتحرك بين الجزائر وأخمير لم يكن تعداد معسكره يقل عن عشرين ألف رجل من الفرسان، عدا الخيال والدواب الأخرى المستعملة في نقل العتاد كما سارع من كل نقاط الجزائر عربّ وقبائل كثيرون لصد المسيحيين (على حد تعبير تلك الفترة).

في يوم الجمعة، 30 يونيو، وصل الأسطول الإسباني المؤلف من حوالي أربعين سفينة حربية وسفينة نقل رست قبالة الجراش بالقرب من شاطئ رمبي وفي اليوم الموالي والأيام التي تلتها تم سر الأعياق وترسب السفن الكبرى بشكل يسمح لبرايها بتسهيل الإبرال. وفي هذه الأثناء كانت تتوافد مختلف القوات المكونة للجيش الإسلامي فترده عدداً كل ساعة، ونطعت في المواقع المستدة إليها. وأسرعت بحفر الخنادق، وتصلح المدافع القديمة وصنع أخرى جديدة، وحُرّص الجميع بعضهم بعضاً على القتال وطلب العون من الله ورسوله، والدعاء على البصاري الكافرين؛ كما كانوا يسمون الأسبان¹.

في يوم الخميس، 6 يوليو، رست سفينة ضخمة مقابل سربة مدافع الحيس، العاصر حالياً، وأعطت الإشارة بقصف دام حتى الليل، ولكن دون أن تحقق صرراً بالعدو؛ حيث أن قذيفة واحدة أصابت السربة وأحدثت ثغرة صغيرة في السور، وأما في الخارج فقد قُتل رجلان فقط. وخلال ما تبقى من الليل، وفي العداة يوم الجمعة، لم يحدث أي تحرك.

في صباح يوم 8 الذي كان يوم ست، وبعد قصف دام طيلة عمية للإبرال، كان نهاية آلاف رجل من الأسطول الإسباني على الأرض ثم تبعهم عددٌ عماشٌ يحملون جميعهم بعتاد كبير، وأحدوا مواقعهم في المكان المسمى «الحديقة» بجانب مقبرة الشهداء؛ حيث هموا بإقامة معسكرهم المتحدق. أما المسلمون الذين لم يكن لهم في ذلك المكان بعد سوى كتبة صغيرة؛ فلم يتمكنوا من تجميع قواتهم بسرعة حتى يجمعوا المعسكر من القديم ولكن سرعان ما استجابوا للداء فادتهم، وانقصوا أكثر رجل واحد على حادق العدو، وفتكوا بكل من وجدوه خارجها ومع ذلك، فإنهم لم يستطيعوا مباغتة تلك

1 إن نكتاب عرب الذين بقوا لنا حر هذه الحملة وذكره الحرية بالله لإسبانيا كالتى كتب قبل قرنين ونصف القرن بقيادة الإمبراطور شارل الخامس؛ لم يتروا عن تطعيم روايتهم بعدد من الصعدت المهيبة والصعدت على أعدائهم المسيحيين عامة والأسبان خاصة ولا شك أنه من المؤلم أن يرى اسم المسيحي يُهان بالشاتم ولكن، لدى حديثهم عن أئمة محمد، هل كان كتباً مديون مترهين دائماً عن بركات هذا الخطاب؟ إنه درس يجب أن يستفيد منه المتشددون في كل الأزمان، وفي كل البلدان.

المطقة الرهبة التي أمطرها محلوها بوابل غير مقطع من التيران ولشدة
ولم يسئل إلى هذا إلا فارسا من الشرق، ولكنها لقيتا حتفهما وعيه
بدرت سان الباي صالح فكرة بتقديم كل الخيال التي كانت في معسكره
ووصف قبل الحمود والمرسان حتى يكون بمثابة درع هم ثم تم التقدم في
هذا الترتيب باتجاه سباح الأوتاد الذي كان يحمي به الأساس لقد كان هو
عنه يحمل سبعة ويقود الحركة عزمًا أناعه على القتال، ثم تدخل القادة
لأخرون مقتدين به في المادرة بالمحموم على تحصينات العدو

أما آخر القوات المرسلة التي لم نستطع التجمع للقتال، فقد أيدى
عن آخره غير أن المسلمين الذين أصتحم القتابل والقذائف الآتية من
لهرقاقت والمدفعية الأرضية؛ فقد أحروا على التراجع وحتمي بعضهم
وراء مدفعيتهم، فيها انتشر المعص الآخر في المرتفعات القريبة التي شرا
مها إطلاق نار مكثف على الأسبان المحاصرين في معسكرهم؛ فكانت كل
طلقة تصع رجلاً خارج المعركة، وكانت إحدى قطع مدفعية الجيش له
الحدث بهم ضرراً رهيباً، وبذلك أفتع القائد العام للجيش الأسباني بأسعاده
مقاومة أطول؛ فأعطى الأمر بالانسحاب الذي بدأ مع المساء وانتهى مع بداية
الليل.

وفي اليوم تيق من ذلك الجيش الأسباني العزم الذي برز على الأرض
الأمريكية؛ سوى أكوام من الخث على الشاطئ وعتاد حربي كثير.
لقد احتل الحرثيون منصرهم بهرجة كبيرة شاكرين الله على النصر
الذي أيدى أيدهم به على الكافرين الملعوبين ومتسابقين على حث المهرومين
للتعجيل بها، وملقين في النار كل ما استعمل في بناء المعسكر المحصن

1 في هذه المناسبة لعت يهود مدينة الحرائر الانتفاء من بين الجمع، وحدث نصراتهم في الهبة
وتكالبهم على حث الذين لم يكونوا يتجرؤون على النظر إليهم قبل يوم، فما إن علموا بوقوع
الخطر؛ حتى سلحوا مجتمعين للاستيلاء على كل ما كانوا يجودون. ويحمد الله على أحمد من عند
العنصرية الذي كان شاهد هذا. كانوا يجورقون رسم المسيحيين بقطع حث محوم
الشائكة، وينجولون بها بشكل مخيف ودي. فل أن يرموها في النار وكانوا يجادون تلك الحث
باحتياط فائض

- آه! لقد كنت لكم الجرأة للزعة في الاستيلاء على الخزائن، آه! لقد كنتم ترون القنايل

وبعد قضاء نهار 8 يوليو المشؤوم، كان الجيش الإسباني أُنعد من محاوره إبراب حديد؛ فلم يكن يريد سوى الوصول سريعاً إلى الشواطئ الإسبانية لوضع آلاف الحرحى وتصليح ما لحق به من أخطاب.

في يوم 16، أبحر الأسطول إلى «أليكانت» (Alicante)، ولم يعد يرى من سواحل الجزائر إلا بعض القطع المكلمة بالمرافقة الحرية

وبروال الخطر تفرق عديد المقاتلين المسلمين بنفس السرعة التي تجمعوا بها فكل واحد منهم كان مثلها للوصول إلى «دوّاره» حتى يروي للنساء والأطفال ما شاهد وما فعل، وكيف تمكّنوا، بعون الله ورسوله، أن يسحقوا أو يردّوا إلى البحر آلاف الكفار الذين أتى بهم البحر وبعد نصف قرن، ارتفع ديث النداء نفسه ليجمعهم مرة أخرى حول مدينة الجزائر ليصدوا المسيحيي الدعين أيضاً. غير أن الغاوي هذه المرة كان فرنسا المُهانة التي جاءت بطلت تصحيح شتيمة شخصية والانتقام، في الوقت نفسه، بالإسبانية فاطبة على ثلاثة قرون من القمع والعار لقد كانت مهمتها مقدسة، وفي طيات رايتها حملت الحصار الجديدة. وإلى أن انتصرت، لم تغتأ الجزائر، بالسة للأوروبيين، تكون الجزائر المحاربة؛ الجزائر المبعة لتي لا تُفهر؛ كما كانت تتصف بكل كبرياء.

في بلاد الأساطير، لم يكن النصر الباهر الذي حققه أناع البي المتحمسين على الأسباب ليتحلف عن إرواء الفضول الشعبي المتعطش دوماً له هو عجيب والرواة المتحمسون كانوا في الموعد ليصموا جهودهم لصالح الشخصيات الورعة، التي تسيد إليها الروايات العامة سريعة التصديق، بشكل عموي، مزايا خارقة. فعند لقائهم وجهاً لوجه بالعدو على

والعدايب عن ابدية، فانظروا ماذا فعلكم
لقد كان المسلمون يضحكون من سماع كلام اليهود وكانوا مسرورين من تلك الكراهية العنيفة التي يكرهها للمسيحيين» (مقلت من ترجمة فيرو الذي أطلعها عن الصحة العربية).
«وغير أيضاً، بالنسبة للتفاضيل المتعلقة بهذه الحملة الشهيرة والحريّة، المقالات الكثيرة التي نشرت في مجلة الإفريقية.
Revue africaine, année 1858, p.436; année 1861, p.31; année 1861 p.172, 254 et 408
année 1863, p.39, 110, et 303

معاصمه، حيث سفته أخبار إيجاراته. فالنصر الذي حققه كمقاتل قد أكسبه معه كل القلوب، كما استطاع، بما سمحه السلام من رجاء، أن يستأنف ويتابع جيداً بحمل الإصلاحات الإدارية التي كان فكره المظم المخطط لمشروعها ولكن، وقبل نقل هذا الخبر لبارر من حكم الباي صالح؛ يتحتم علي قطع لرئيس الكرونولوجي لروي بعض الأحداث التي تتمم الجزء العسكري من حكمه.

إن السافر الشديد الذي كان باعد باستمرار بين إياي الخرائر وتوس، والذي وضعها عدة مرات في الواحدة؛ لم يكن يحتاج إلا لمر حتى تدفع العداات الصريحة ففي 1783 ظهرت القطيعة وشيكة بين البلدين، ورد لم يحصل إعلان للحرب فذلك يرجع إلى أن باشا توس، حمودة الذي كان على وشك قطع علاقاته مع جمهورية السدقية؛ قام ببعض لتارلات التي اشترطها جاره المستند حتى لا يتحمل أروار عد وتين في آن واحد وهذه هي الأحداث التي أثارت هذه المخاوف، والتي أحدا تفاصيلها عن الحوليات التونسية لمصاحبها روسو.

قبل بضعة أعوام تمردت بعض قبائل عرب إيالة توس على حكومتها. فكثف حسن الكبير، حمرال علي باي، بالسير لقمع التمرد، فاستعمل في ذلك قسوة كبيرة؛ وخاصة صد واحدة منها كانت أكثر عصباناً لقد كانت مشككة من عرب رُحل؛ فعبرت الحدود واستقرت بخيامها وقطعها على أراضي إقديم قسطنطينة جنوب تبسة.

أوشك النسيان أن يُعيب هذه الحادثة، ولكن مع نهاية شهر نوفمبر 1783 وصل مبعوث من باي قسطنطينة، صالح، إلى حمودة باشا الذي خفف علي باي؛ يشرح له بأن القبيلة المعنية لم تعد تتع غير سلطة سيده، وبأن الأخير يطالب من أجلها بمبلغ قدره أربعون ألف قطعة ذهبية كتعويض علي الأصرار التي لحقت بها من جراء حملة حسن الكبير فتفاجأ حمودة من هذا الخطاب، ورد عليه بجواب عامض، ثم سارع بالكتابة لداي الخرائر بأنه سوف يقرر قطع العلاقات معه إن كان يدعم مطلب باي قسطنطينة غير المعقول

في هذه الحالة، هل يكون صالح باي تلقى تعليمات من سيده في مدينة الجزائر، أم أنه تصرف طبقاً لسلطته الخاصة؟ وهذا ما لا يمكن معرفته غير أن هذا الاحتمال يكون هو الأقرب للحقيقة، لأن باي تونس رأى أن عليه أولاً، حالة الأمر إلى باشا الجزائر، ما يفتح مجالاً للتفكير بأن مطاعته تلك كانت من طرف الباي صالح فقط في المقبل، نجد أن تصرف حاكم إقليم يتعامل بالدية مع رعيمة إيالة تونس ليس فيه ما يفاجئ لعلمنا بنوايا الجزائريين التي يربطونها دوماً بتفوقهم على جيرانهم المماليك، ولعلمنا أيضاً بالاستقلالية المطلقة تقريباً التي يتمتع بها البايات في حكمهم؛ تلك الاستقلالية التي لم تكن لها حدود غير حتمية الدفع المتعظم للصيرية، والتخلي على السلطة لقدام جديد عندما تحين ساعة العز.

على أية حال، فإن حمودة باشا لم ينتظر رد باي الجزائر ليكون على أهبة الاستعداد للهجوم في حال وقوع عزو من جيرانه. لقد أمر بتحصينات سرية للحرب، واتجه على رأس كتيبة من جيشه إلى منطقة «الحريد» في بادئ الأمر، ومنها نحو قبائل العرب تحسباً لأية حركة تمرد، وللتأكد من دعم تلك التي تكون مساهمتها ضرورية لحطة الخطر ونكر، وعلى عكس توقعاته، وعندما اقترب من الحدود؛ كان صالح باي معسكراً بزماته على أراضي القبية الحاربة تلك، وقد أرسل إليه عدداً من صباطه مصطحبين هدية عبارة عن خيول؛ وذلك لمجاملته.

«هذا التصرف المتأدب الذي لم يكن ينتظره الباي حمودة؛ جعله يأمل في تسوية سارة للعلاقات الموجودة بين الإيالتين. ولكن، وبعد حين، وصل رد باي الجزائر إلى تونس؛ حيث ساند بعض رسالة ديوان الجزائر موقف باي قسطنطينة.

رغم تأثره العميق، إلا أن حمودة باشا أحصى مشاعره باعتباره أن العداءات مع البندقية كانت ستعود بشدة أقوى من السابق، وتعين عليه تقديم تارلات أرغمتها عليها الظروف القاهرة. وأخيراً، وفي شهر يونيو 1784، انتهت هذه القضية بتعويض مبلغ خمسة وعشرين قطعة ذهبية للقبيلة

التونسية التي دحنت مد فترة تحت سيطرة الخرائين¹.

إن تدرلاً حتمياً كهذا من طرف باي تونس في قضية يظهر فيها بأن الحق كله من حانه؛ لا يؤدي في حقيقته إلا إلى تقوية جاره العتيد، حكم قسطنطين، وتشجيعه على إيجاد شروط أخرى حالماً تنهياً الفرصة لذلك وعلى أية حال، فإنها إن لم تأت بشكل عصوي؛ سيكون في حاجة إلى حلفها وهو ما حدث فعلاً؛ حيث سوف يرى كيف عرف صالح باي، على عرار أمراء آخرين أكثر تحصراً، تطويع المسائل لسياسية لمصاحبه الخاصة؛ فهو أيضاً يرى أن قانون أقوى هو دائماً الأفضل.

مع بداية عام 1787، لحاً عدد كبير من سكان قسطنطين إلى الأراضي التونسية؛ وذلك برعبتهم في التملص من التبعة للباي بسبب قساوته وعليه، تعالت نداءات صالح باي حتى حوّلت اللوم إلى تحريك عسكري وقد تناسى، دون شك، بأنه هو نفسه لم يكتب، قبل عامين، باستقبال قبيلة تونسية بأسرها على أرضه؛ بل اشترط أن يقض من الحكومة التي كانت وصية عليها تعويضاً لا يمكن تبريره. فاشتكى باشا الخرائين ما لم يتردد في وصيه انتهاكاً لقانون الأمم وحتى يُفحم الديوان ويجعله يقف إلى حانه، قال عن باي تونس بأنه يشجع هجرة رعاياه، وأنه يريد أن يستعمل القبائل المستقرة على الحدود ضد سلطته. أم الديوان الذي لم يكن إلا أكثر استعداداً لانتهاز أية درعة يمكن أن تساعد على القطيعة مع الحكومة التونسية؛ فقد استمع إلى شكوى الباي صالح، وأمره، دون تردد، بحشد جيش والتجهز للحملة.

«عندما انتشر في تونس خبر تجمع ستة آلاف رجل في قسطنطين، واستعدادهم للسير نحو الحدود؛ شكّل حمودة باشا معسكراً مهماً يتكوّن من ألفي تركي، وثلاثة آلاف كرغلي وعددٍ ضخم من المحندين العرب. ويقول مؤلف الحوليات لتونسية بأن قوة كهذه كانت أكثر من كافية لصد، وحتى هزم العدو، دا تجرّأ على التقدم؛ غير أنها لم تكن تثق في ذلك الأمر نظراً

¹ Annales tunisiennes, p.116

للزعيم الكبير الذي يوحى به فقط اسم الخرائطي؛ الذي يرتبط، لدى الجميع،
بذكرى هبة مدية بوس.

وأمام ضحان النفوس هذا، فصل حمودة باشا إسماعيل الخلاف شكراً ودي
دون محاولة لإحكام إلى السلاح. ففتح حول الموضوع مع وصايت مع بلاط
آخر نر؛ اسدي أظهر، في هذه المناسبة، نمواً كبيراً بقدر ما أحس بالرهبة سي
بشدها.

بصحبة جديدة كهذه ستكون حتماً فاسية في حق كرامته، وري
بوجود خطر نهديه؛ وخاصة في وقت يوجب على بلاده الدفاع عن منصب
صد حملات السديين؛ حلص حمودة إلى الرضوخ للشروط الفاسية التي
فرصت عليه. فدفع لماله العاتي ملعاً صحياناً من المال، مؤجلاً لوفيت أسب
أمر لأحد بناره ومع نهاية تلك السنة، 1787، عادت العلاقات الحقة بين
الإيانيين، على الأقل في الظاهر.

يرجع كل هذا النجاح إلى سياسة صالح باي الصارمة رغم مساند
للصراحة، ولكنه، في الوقت نفسه، كان عرضاً ومعاوضاً في الخلافات،
مساهم كل ذلك في انتشار سمعته وبالرغم من أن سياسته تأكدت في الخارج
من خلال إبحارات متألقة؛ فإن صالح باي لم يكن قد تمكن بعد من إفية
هائياً على كامل الإقليم الذي يمارس عليه سلطته المباشرة.

تقرت عاصمة مقاطعة وادي ربيع، تلك الواحة الصائفة في أقصى
جنوب الإقليم؛ لم تكن تدفع، منذ زمن طويل، سوى صرية رهيدة للحكومة
التركية؛ التي كانت تابعة لها منذ أن عراها الباشا صالح رابس في 1552، كما
أينا سابقاً فصحيح أن بعدها الكبير عن مركز الحكم، وصعوبة الوصول
إليها عبر الرمال التي تحاصرها ونجمتها في آن واحد؛ يشكّلان عائقاً مضاعفاً
لا يسمح بتكرار الحملات عليها. وبفصل موقعها، استطاعت إمارة وادي
ربيع الصغيرة تحدي تهديدات مايات قسنطينة حتى ذلك الوقت دون عقاب.
فقد كان هؤلاء صفعاء جداً أو حذرين جداً ليذهبوا بعيداً بمرص إرادتهم

بقوة السلاح ولكن ما لم يتحرراً ساهوه على فعله؛ قرر صالح بي القسام به وإنهاءه بشكل جيد. ومع هذا؛ فإنه قبل أن يعامر في حملته بعبدية كهذه، يمكن بسهولة أن ينقلب السحاح فيها إلى كارثة منساوية، أراد أن يستفد كل وسائل المصلحة التي تمسها عليه الخطة.

في مستهل عام 1788 ظهر له الوقت مناسباً ولا تنصر الذي حققه لتوّه عن صعيد العلاقات الدبلوماسية مع ملاط توس قد جعله يأمل في نتيجة مرضية مع تابعه حاكم تقرت، ولكن الأمور لم تسير كذلك فالمفاوضات التي فتحتها حول مسألة الضريبة مع الشيخ فرحات بن حلاب¹ الذي حلف ولده في قيادة وادي ريغ؛ لم تُعصر إلى اتفاق مشترك لقد كان الشيخ الحدي يعتقد أن تقرت التي تحدث كافة بايات قسطنطينية تستطيع أيضاً أن تقف في وجه تهديدات صابح؛ فرفض الانصياع لما طُلب منه ولم يبق للباي غير وسيلة واحدة لإعادة الاعتناء لسلطته المرفوعة وهي لهدم شخصياً لإملاء أوامره في تقرت نفسها، وتقرر شن الحملة ومع هذا بقي السر محفوظاً حتى نهاية شهر أكتوبر من تلك السنة، 1788.

في تلك الفترة تم جمع صربية طولقة، وبوشغرون، ولرعاطشة وودحات أخرى، ووُضعت بين يدي الخليفة في ليشانة، وفيها أيضاً يمكن قطع الصحراء بسهولة من طرف الجيش التركي؛ وبالتالي القيم بحماية وتولي صالح باي قيادة الجيش نفسه انطلاقاً من وادي حدي، وتقدم يقطع من المدفعية إلى ضواحي سيدي حبل رغم الثلوج الكثيفة التي كادت أن تسلبه

1. لقد سادت عائلة بن حلاب، التي تعود أصولها إلى بني مريش أو ديانة، تقرت منذ بداية القرن الخامس عشر وحتى عام 1854. لقد كانت تشكل دولة حقيقية تتل فيها السلطة بمرقبة متوارثة، ومع ذلك كانت تحدث أحياناً خلافات حادة بين بورثة لفظالين؛ فسقوا بدمائهم درجات هذا لعرش الصعير الذي نُازع عليه إلى أن أصبح عثمان إمبراطور في عام 1854، وبوفاء الشيخ بن حلاب، اعتصب أحدهم، ويدعى سليمان، السلطة وأعلن عداؤه لمرسيا ولكن في شهر نوفمبر من تلك السنة تم إرسال الجنرال «ديفوا» (Derwaux) الذي كان عقيداً بفرقة «صابحة الثالثة» (Colonel du 3^e spahis) على رأس كتبه صغيرة ضد المعتصب. وفي 2 ديسمبر، قتمت تقرت أبوابها لنا، ووروف العلم الفرنسي على نفسه عاصمة وادي ريغ.

وجيشه¹.

«وحتى لا يرهق قواته في الطريق، اكتمى الساي بمعاقبة واحدة واحدة، ووسم مكان العقاب بركم من الحطيم وفي اليوم الثامن عشر، نصب حيامه على مرمى بصر من عاصمته وادي ربيع التي يحميها خندق عميق مملوء بماء، وقد وضع المدفعيون عُدَّتْهم على مصبات مشكَّلة من جدوع السخيل، وفتحوا النار على الباب المسماة باب الحصراء، وباب سيدي عبد السلام، وحي النليس الذي يصم القصبه وفي هذه الأثناء قام عدد من الجنود بقطع الأشجار التي تشكل ثروة البلاد، واستمر الحصار عدة أسابيع. وكان صالح باي قد أقسم ألا يرفع المعسكر قبل أن يهدم ثغرت كلية ولم يكن يقصه لا البارود ولا الدخيرة، وكانت إرادته من حديد ونحتم على الشيخ مراحات، إذا، أن يُترك الوصع، فارتفعت راية بيضاء فوق المسجد المسمى جامع المالكية. وأمام هذا المشهد، أوقف الساي إطلاق النار وانتظر مقترحات العلوي. وأُتِفِقَ على أن يدفع وادي ربيع مصاريف الحرب، وأن يدفع للأتراك ضريبة قدرها ثلاثة ألف ريال بسيطة، بالإضافة إلى عدد من الخيول والعبيد السود»²

وفي الختام يضيف شيربوتو الذي نقلنا عنه جزءاً من هذه القصة: «كانت تلك نتيجة العصيان الذي تسبب فيه ضعف وجس سابقي صالح باي» ويقول معه أيضاً أن هذا الباي الشيط ذهب إلى الريان أربع مرات حيث استدعت ذلك المخلاعات الناشبة بسبب النوايا المتناقضة لعائلتين قويتين؛ عائلة أولاد بوعكار وعائلة بن فانة. كانت هاتان الأسرتان تتازعان السيادة التي فارت بها في آخر المطاف الأسرة الأخيرة والعتيق، على حساب مافستها التي كانت أعرق؛ وذلك بالدعم الذي قدمه لها صالح باي، وهو ما

1. كان عام 1204 هـ (1788 م) يُعرف لدى أهل البلاد بعام الثلج وورغم أن هذا الحدث يُعتبر غريباً في تلك المناطق الجنوبية، فإنه قد لوحظ عدة مرات وحتى محس، وخلال بواجدنا في شهر مراير من سنة 1854 بحسب الحفصة، شهدنا تهاطل الثلج بمرارة طيلة النهار ومن المعلوم أيضاً أنه خلال الليل تنخفض الحرارة في منطقة الصحراء بشكلٍ معتبر إلى درجة أنه يبرز الرمومتر أحياناً إلى ما تحت الصفر

جلب لهدوء الملاد «وهنا، كما في كل شأن، ترك دكريات عن فكره الشطيعي. فاقسام الماء الذي كان يعود إلى نظام قديم؛ لم يتعد يسعج مع السحولات العديدة التي تعرضت لها المدينة، فقام صالح بإحصاء الوحات، وقسم المياه بشكر يتسب مع السحيل والأشجار لشجرة وظلت تلك التقسيمات تشكل أساساً للزرعة خلال الفترة التي استحوذنا فيها على الريان».

يبقى أن سرد الحملات الأخيرة التي ميرت نهاية حكم صالح بي، والتي كانت أقل نجاحاً. وسنقف في وقتها وفي موضعها اللارمين وستعرض الآن لإنجازاته الإدارية.

مثل كانت له الفرصة لقول ذلك؛ فإن قسطنطين لم تكن تقدم عين الرائر، في بداية القرن الثامن عشر، سوى كومة متداخلة من البيوت هي أشبه بالأكواح منها بالمارل؛ تحترقها متعة من الأزقة المظلمة والمخيفة، ونحش منها بعض المآذن هاهنا وهناك بجانب الأبراج العتيقة المتصدعة، واقفاهر الصغيرة، ودعائم الخدرن المتصدعة؛ آخر ما تبقى من عصر آخر لا يمكن أن يجتمعي تمام إلا بفعل مطرقة احصارة الحديثة لتحل محل يد الزمن؛ لطيفة جداً في عملية التهديم. فصالح بي الذي كان يحب الأبهة والبروعة؛ لم يكن يترك الإصلاحات التي بدأها سابقه، بوحك وأحمد القلي، في تجميل عاصمتهم غير مكتملة. وما إن سمح له وقت الحرب حتى وجه نظره إلى هذا.

كانت فكرته الأولى في تشييد بيت لتمجيد لحي الذي لا يموت، ومدرسة للتعليم العالي للشباب. فلهد أهداف المزدوح رفيع قواعد جامع سبدي، الكتاب والمدرسة التي تشكل لاحقة له. وانتهت الأشعار بالأخيرة في 1189 هـ (1775م)، وبالجوامع في العام الموالي؛ كما هو موضح في الكتابين العربيتين المنقوشة إحداهما أعلى أصرحة أسرة صالح بي التي تحتل عمق انشاء اداخي للمدرسة، والأخرى أعلى الباب القديمة للجامع.

1 هذا الجامع الذي يسميه الفرنسيون عادة باسم مؤسسه؛ قد خصص مؤخرًا لتعبيرات معتبرة فرضتها متطلبات شبكة طرق جديدة. ولذلك تعبرت وجهه الخارجية كلياً كما أن المدرسة قد اندثرت، وتحتم هدمها بكاملها حتى يسعهم المكان مع البنايات التي يحيط به الجامع من

وبعد ذلك، وفي عام 1789، جُهرت قاعة الصلاة بمسبَرٍ رحامي جميل يُرَّاب طرين وُضع على بعين المحراب؛ حيث كانت تحفة حقيقية أُستوردت أجراؤه من مدينة ليفورنو الإيطالية، التي كان صالِحٌ يستقدم منها معظم المواد الثمينة، وأبصار الفسيفساء الذين كان يستخدمهم في إبحار مشائته المعمارية. وفي هذه الفترة نفسها أدام لسانه سايةً كبيرةً يعصلها شارعٌ عن المسجد، وكان داحنها مهجراً ورائعاً ياقص تماماً مع المدخل المؤدي إليها، ومع الأسوار العلوية التي تتحللها بعض الكوات المشككة التي نعرها عن لسياب المجاورة¹.

إن الأراضي التي تمتد بين مستودع التموين ودار القطرة والوادي والتي تسمى «الشارع» كانت توحى بالمنظر الأكثر حرماً والأكثر كآبة. فلاحظ في أسفله بعض البيوت ذات المظهر الرديء التي تجمعت حول مسجدي سيدي صهر وسيدي اللساني. أما المساحة المتبقية فقد كانت حاليةً تماماً، ولم تكن تمثل سوى مشهداً من التلال والتصدعات. إن محبته كهد يسيء لصحافة السيايات التي أخرجتها يد صالِحٍ من الأرض فقد عزم على تغيير مظاهر تلك الأمكنة مع جعلها تساهم في توسيع المدينة. حتى ذلك الوقت، كان اليهود مبعثرين نوعاً ما على كل الأحياء؛ وخاصة بالقرب من باب الحماية، حيث كانوا محتلطين كثيراً مع الأهالي المسلمين. فمسخهم كل تلك الأراضي شرط أن يقيموا عليها بيوتاً؛ وهذا تشكُّل لحى إيهودي، ولقي الأمر رصاً الجميع.

جهة وقصر العداة من الجهة الأخرى. ولم يحتفظ إلا بالحجره لى بضم أصرحه صالح ناي وأسرته

لقد تم حفر آخر قبر تاريخي 22 مايو 1868 ليضم حشاً آخر صليبي لصالح باي؛ وهو عمه الشريف الذي توفي إثر مرض لم يدم طويلاً عن عمر ناهز ستة وعشرين عاماً. فقد الشاب الذي كان ضخم البنية في طفولته؛ كان يجالط الغربيين أكثر من محاطته لأبناء دينه. وإن لم يكن يبرئ مثلهم؛ فإنه أخذ عنهم لغتهم وعاداتهم.

1 هذه الساية التي تحتل نهاية شارع «كارمان» (Carman)، وتشكل طرفها منه، وجانباً كاملاً من مساحة «سيري» (Négrier) أو حان الفواقل، طالما استعملت كمستشفى مدي، وهي حالياً محصنة لأحوال المذهب المسيحي اللابي حولها إلى داحلة للأنساب

ولقد قام أيضاً في 1789 ببناء مدرسة أخرى بالقرب من مسجد سيدي
مختار وأصبح لاحقة به؛ حيث، وكما هو شأن مدرسة سيدي الكتاني،
يُعين أساتذة من طرف قائد الإقليم، ويقبضون أجورهم من ميراثه لمساجد،
ويُدْرَسون النحو، والفقه، وتفسير القرآن، وعقيدة التوحيد، وعلوم الحديث
أو أسيرة المحمدية¹

ولأن مصداق الحديث عن التعليم، فلعن القارئ سيكون ممتازاً إذا أطلعناه
على النظام الذي كان متبعاً في عهد صالح باي داخل مؤسسات التعليم
لعم. فهذا قارئنا مع ذلك الذي كان مطبقاً في تلك الفترة في مدارس في
فرسا، نجد أنه، باعتبار التناسب، لم يكن أدنى منه والقانون الذي سورد
(ترجمته)²، ورغم أنه كان موجهاً لمدرسة خاصة، كان تقريباً هو نفسه
في جميع المدارس؛ لأننا نقرأ في بدايته بأنه لم يُحَرَّج إلا بموافقة صاحب باي
والأعضاء المشكّلين آنذاك للمجلس. وفيما يلي القانون الذي يعود تاريخه إلى
شهر سبتمبر 1780

«تصمم المدرسة مسجداً (أو قاعة تُستعمل للصلاة والدراسة في آن
واحد)، وخمس غرف؛ تُخصّص إحداها للمعلم، والأربعة الأخرى للطلّة
(أو الطلبة)، ومائصة للتوضؤ، وغرفة لتحرير الأغراض غير الضرورية
الطلّة المقبولون كدّاحين في المدرسة يكون عددهم ثمانية؛ على أن ينام
كل اثنين في غرفة

يوجد وكيل (أو مقتصد) مكلف بالمدّاحين والمصريين، وبأن يقوم
بتنظيف المدرسة، وريقاد المصاييح في قاعة الصلاة.

1 في إحدى قاعات هذه المدرسة أصبحت تعطي حالياً الدروس العامة بلغة العربية. وهدى
من التفاصيل حول المؤسسات المختلطة ومواصفاتها، انظر م. حاء في الخوبة لأثرية لإقليم
قسنطينة 1856-1857, p.108. *Annuaire archéologique de la province de Constantine année 1856-1857, p.108*
et suivantes لصاحبها شير يوبو، الأستاذ العالم الذي شغل مدة خمسة عشر عاماً معهد الأسادية
بلغة العربية في قسنطينة؛ ولدي يتردد اسمه كثيراً بقلنا.
2. يُقصد بها ترجمة المؤلف لنسخة لأصلية العربية إلى الفرنسية؛ وهو م. يتناقض مع عمل
هذه، ولكن حادّ على الكلمة للأمانة العلمية (لمترجم)

يتفصي المعلم ثلاثين ربالاً في السنة، ويتفصي الوكيل ثمانية ربالاً،
وابواب سبعة ربالاً ولكن واحد من التلاميذ الثمانية يُخصّص مبلغ
سنة ربالاً.

على المعلم تقديم ثلاث حصص في اليوم تطلق الأولى من طلوع
شمس وتدوم حتى الساعة الحادية عشر، وتستمر الثانية من منتصف
النهار حتى العصر، والثالثة من بعد صلاة العصر حتى غروب الشمس
على الطلبة قراءة أربعة أحزاب يومياً حراً بعد صلاة الصبح وآخران
بعد صلاة العصر، ويهون كل ورد صلاة لله بذكرى مؤسس المدرسة
لا يُقل في المدرسة إلا القتيان الحافظين للقرآن عن ظهر قلب؛ سواء
كانوا من المدينة أو من لريف، والمتبعين للمذهب الحنفي أو المالكي،
على ألا يكونوا متزوجين.

لا يُسمح لأي طالب دخلي المبيت خارج المدرسة، لا لضرورة
قاهرة أو للذهاب لزيارة الأهل. وتدوم العطلة عشرين يوماً أو ثلاثين
على أكثر تقدير وإذا لم يرجع التلميذ بعد هذه الفترة، ولم يكن مريضاً،
فإنه يُطرد ويُعطى مكانه لواحد من الخارجيين أو لطلّاب آخر.
كل تلميذ يقضي عشر سنوات في المدرسة دون أن يُظهر تقدماً
وقدرة على دراسة العلوم؛ فإنه يُطرد ويُعوض بأحرار
من لا تكون له علاقات طيبة مع زملائه؛ أي يكون مطلقاً في أعماله
وأقواله، فإنه يتلقى إنذاراً أولاً وثانياً وثالثاً، وإذا لم يُصلح أمره يُطرد
لا يمكن للمستخدمين والخارجيين المبيت داخل المدرسة تحت أي
مبرر.

كل تلميذ لا يواظب على متعة دروس المعلم يتعرض للطرْد
لا يمكن إدخال إلى المدرسة أية مواد غذائية أو البسة أو أدوات غير
تلك التي تكون ضرورة للاستعمال من طرف ساكنيها.
لا يُسمح للطلبة تسخين أكدهم إلا بالمحم وليس بالخشب كما لا
يُسمح لهم غسل ثيابهم داخل المؤسسة.

كانت تلك أهم مواد القانون؛ والذي، كما مرى، يترك متعصباً قليلاً للتلاميذ خارج ساعات الدراسة؛ لأنها تستمر دون انقطاع تقريباً من شروق الشمس حتى الغروب، فالتحسب يجب أن يكون إذاً سريعاً جداً إذا أحس أن استعمال جميع تلك الساعات، ولكن هل كان الحال كذلك فعلاً؟ فإهمال إشباع متطلبات الجسم تماماً يعني تجاهل فعل القوى الإنسانية النشيطة، وقطع قوايين التوازن التي منحها الطبيعة للنمو المتزامن للمقددرات الجسمانية والفكرية؛ التي يجب أن تُمارَس، في فترة الشباب خاصة، بالتناوب حشية أن تُعطَل إحدهما الأخرى. فبالنسبة للأخيرة، على وجه الخصوص، يمكن لضغط متواصل أن يؤدي سريعاً إلى اميلات البواعث التي تحركها، وبذلك يصبح السكدة نافذة بشفطه الأولى حاملاً، متكاسلاً، لا مال؛ كالحسد الذي أرادت التحكم في عرائزه. ويصيبها، مثله، الهزال حتى لا يعدوا أن يكون مجرد آلة تسيرها آلة أخرى. إذا أصفنا إلى هذا السبب الرئيسي للحيات طرق التعليم سيئة التي كانت ومارالت تُشع في المدارس الإسلامية؛ فلما ندرك لما حُدثت عشر سنوات، في نص القانون الذي يشغلنا، لتقييم مدى تطور التلميذ، وملاحظة قدرته على تحصيل العلوم ولماذا كانت ولا تزال هذه الفئة من الطبقة؛ التي من شأنها تمثيل المعرفة والعمل الفكري، عدد بعض المتفوقين فطرياً؛ ليست في الواقع سوى معطاً للكسل والجهل.

بعيداً عن هذه القبيصة التي أشرنا إليها، والتي كانت نتيجة سرتابة وليس لتطبيق نظام جديد؛ يكون من العدل الاعتراف بأن الكثير من إحصاءات هذا القانون كان نصمة روح الحكمة والاستشراف، والشاهد على الدفعة التطعيمية التي أعطاها صالح باي لكل ما قام به أو يجري حوله.

لقد كان التعليم على العموم واحداً من اهتماماته الثابتة، وقد وجد من يشاطره في رؤاه؛ وهم ثلاثة رجال ذوي علم كبير الشيخ عبد القادر الراشدي؛ مفتي حنفي؛ وشعبان بن جلول؛ قاضي حنفي؛ والعباسي؛ قاضي مالكي؛ الذين وحدوا جهودهم مع جهوده من أجل رفع دوق الدراسات لعبيقة ولآداب الجميلة التي كانت تتقهقر يوماً بعد يوم وبالإضافة

إلى التشجيعات المقدمة للأشخاص الذين يساهمون بأنفسهم في عملية الإصلاح هذه؛ فقد خصص جزءاً من مداخيل الإقليم لبناء وتشيد مساجد ومدارس، ليس فقط في قسطنطينية كما رأينا، بل أيضاً في عديد المدن الأخرى، وحتى في الواحات ولقد ألحق بها حوساً¹ كثيرة، أو أعاد إليها تلك التي كانت ملحقة بها من طرف مؤسسيها بعد أن أدى التهاون أو سوء تسيير الوكلاء لها إلى فقدانها أو تحويلها إلى المصلحة الخاصة.

بالنسبة لمدينة قسطنطينية؛ التي شهد فيها تشكيل الحوس تطوراً معتبراً، فقد كان من الضروري القيام بإجراء استعجابي لوضع حد للتحويلات العديدة التي دخلت، مع مرور الوقت، في إدارتها. ومن أجل هذا، أصدر قراراً في العشرة الثانية من شهر ربيع الأول 1190هـ (10-11 أبريل 1776م)؛ أسد بموجه إلى القضاة والمفتين مهمة البحث عن جميع الأملاك المحبوسة التي كانت تشكل ملحقات المساجد، وأيضاً المساجد نفسها التي حوّلت عن مهمتها الأولى، وتدوين نتيجة تحريهم على سجل تكون له أربع نسخ؛ تُحفظ إحداها عند أمين بيت المال، والثانية عند شيخ البلاد، والثالثة عند القاضي الخفي، والرابعة عند القاضي المالكي. لقد كانت وسيلة عمارة لوضع حد للتجاوزات التي كانت حاضرة لاتخاذ هذا القرار الحكيم، والتحصير لعودة هذا النظام².

هذا التنظيم الطارئ على تسيير مصلحة عامة طلّت، حتى ذلك الوقت،

- 1 أملاك غير قابلة للتصرف؛ تكون تابعة لعائلة أو لمؤسسة دينية أو تُستغل لخدمة العام، ولا يمكن حيازه مشأها سوى حق الانتفاع.
- 2 لقد دُعِيَ لترجمة هذه الوثيقة لصالح مصلحة الأملاك (Domaines)، وقد نُشرت أجزاء من طرف السيد ميريو الذي قدّم النص الأصلي مع ترجمته الفرنسية في المجلد الإفريقية، عدد شهر مارس 1868، ص 123 وما بعده. ولما وافقه في جميع الملاحظات التي أبداه، وبعبارة عن أملاك بالانغلي الوثائق العديدة والشمعية المطعونة في أرشيف مصلحة أملاك قسطنطينية صماء لمدة أطول نسب عباد الترجمة التي تُحرم محتواها ولم يكن التفكير هكذا في مدينة الجزائر؛ حيث وُضع منذ مدة رجل عدم ودراسة؛ وهو السيد «ألبير دو فولكس» على رأس هذه المصلحة، واستطاع تقديم عدة أعمال للشر كانت ذات معنى واستحقاق. فلماذا ليس الأمر كذلك في قسطنطينية؟ لو كان كذلك؛ لقدم في الوقت نفسه المصلحة العامة التي تمثلها هذه الإدارات، ولقدّم العمول للتاريخ المحلي المنقح للوثائق الأصلية.

متروكة دون مراقبة بين أيدي وكلاء مهملين أو جشعين، والذي لم يهتم به أي واحد من سابقيه رغم البساطة التي يُمثلها في نظر إداري فرنسي؛ كان بمثابة الشرف، للعظيم لروح المبادرة والتنظيم لدى الباي صالح. وبذلك يمكن، على الأقل، لكل من كانت معرفتهم قليلة بعبادات المجتمع العربي أن يلاحظوا كم هي أفكار الانضباط والتنظيم والتبصر متعارضة مع تهاون المسلمين إلى درجة أنهم ينهرون منها. لم يكن هذا التنظيم إلا واحداً من أدنى موجبات الامتثال للإدارة الحالية للأُملاك؛ التي أُلِيط بها اليوم واجب المحافظة على هذه الممتلكات التي أصبحت بموجب حق الغزو مُلكاً للدولة، والتي بدون هذا الإجراء الوقائي كانت بلا شك ستصبح إلى الأبد

في نفس الوقت الذي كان يحاول فيه بشر ذوق البناءات الجميدة بين الأهالي، وإيقاد شعلة الدراسات في أنفسهم؛ لم يكن صالح باي يهمل نتائج التشجيعات التي يوليها للزراعة وخدمة الحقول ويعلمه بألا شيء أكثر عدوى من المثال؛ وخاصة إذا صدر من أعلى، أشأ مقابل التدخل الرئيسي لفلسطينية هذه الحجة «الغناء» أو بالأحرى هذه الواحة البديعة التي يراها على بعد بضعة كيلومترات غرب المدينة، على آخر خاضرة لجبل شطبة والتي جعل منها مكان استجمامه¹. وفي الحامة بشر زراعة الرور، وأنشأ ناعورة تحت الموضع الذي توجد فيه حالياً مطحنة «تراكلي» (Trakey)؛ وذلك لسقي حقول الرور التي أسسها بنفسه في ذلك المكان². وفي عتبة أسس حبوساً حُصِّصَتْ عائداتها إلى أعمال حفر وصيانة قنوات موجهة لاستيعاب مياه لسهل الراكدة، وصنها في وادي سيوس. بالإضافة إلى أنه تدرل عن مصبات المياه لطالبيها مع تصاريح ببناء طاحونات؛ تلك الصناعة الضرورية

1. لقد تحصل على تلك الأرض من السيدة عائشة بنت حسين باي مقابل مئتي ثلاثة ريال، بموجب عقد مؤرخ في أواخر شهر سبتمبر 1783. ويسمى المرسوم هذه الخدمة بخديفة صالح باي، وتُعرف لدى العرب بجبان سيلبي محمد العراب؛ ذلك الماربد الذي سروري لاحقاً بيته أمامه.

2. نقرأ لدى كاتب عربي بأن الرور كان يُزْرَع أيضاً عند سي جندل؛ القبيلة المحاربة لمبنة ويتحدث «ديفونتان» (Desfontaines) في رحلاته عن زراعة الرور عن صغاف «مبنة» ومناطق أخرى، ويورد «شو» (Shaw) سهول صغاف، وجرد، وحامة فلسطين، وصغاف بحيرة.

التي كانت تشهد نقصاً كبيراً في كامل أرجاء البلاد
كما لقيت التجارة الخارجية اهتماماً منه؛ لأنه أدرك جداً أنه بمصاعفه
التبادلات وبإيجاد نصريف لمنتجات الإقليم سيجني، في الوقت نفسه،
منتجين والخربة العامة. ولكن بصمان الدحول الوحيد للمصالح التي يؤمها
هذا المصدر للبلاد؛ وصنع في كل واحد من مواسم الفل، وسطورة، وعدية،
والقالة وكيلاً مكلفاً بالتحصيل المنتظم لحقوق الدحول والخروج على السلع
المبادلة. وهذا، وبدون أن يستزف محكوميه، يريد موارد حريته بشك
معتبر، ويستطيع مواجهة المصاريف التي تستلزمها عديد المشآت ذات
المصلحة العامة التي جهر بها الإقليم.

لقد نقل الرمال مرة أخرى، ومنحها كموضع استقرار سهول ميلة
العنية، على طريق باتنة؛ حيث بقيت فيها منذ ذلك الحين بصغة هائية ومع
لكل عائلة قطعة أرض؛ وبذلك تشكلت قبيلة الزمول كما نعرفها اليوم
ولقد أسس أشغال باء برج السفينة التي كان قد بدأها سلفه أحمد القلي،
وحول كامل إقليم السفينة والكرشة العني بالمروج والأراضي الزراعية
إلى عزل (أي أراضي الدولة). وقد أوكلت مهمة خدمة تلك الأراضي إلى
ناس السفينة، كما نُقلت إليها الخيول التي كان يربها البايك سواء تعرض
التاسل أو لاحتياجات الخدمة. وفي موسم الحصاد تمتلئ المحارن الكبيرة
التي توجد بالبحر بأخواب الناتجة عن هذين العرلين. فكان الشعير يُخصّص
لعلف الخيول، أما القمح فكان يُقسّم بين الساي وقايد الزمالة، وسيس
الخيول، والوقاين (ما يشبه الحراس البلديين)، وحارس البرج؛ الذي كانت
تُطاط به المراقبة العليا للعمال وإدخال المحاصيل؛ والذي، بطراً لأهمية مهامه،
كان يحمل لقب قايد البرج.

وأخيراً، كانت إحدى آخر إنجازات الباي صالح التي كان يُجسدها
بالنسبة لأهالي قسنطينة يكتسي أهمية فريدة؛ هي إعادة بناء جسر القطرة
الذي تحسّر كثيراً لعدم إنهائه نفسه.

قسنطينة، كما نعلم، وموقعها الهوائي تشكّل ما يشبه الجزيرة الصغيرة؛

حيث لا تتصل باليافة سوى بشرطٍ ترايبٍ تم توسيعه كثيراً اليوم؛ يمتد من بوابه مالي إلى كدية عتي؛ نقطة الانتقاء الحالية لجميع الطرق التي تأتي من سكيكدة، وميلة، وسطيف، وباتنة، وقدة لتعطي إلى قسنطينة. وفي زمن الرومان كانت هناك خمسة حُصُور تؤدي إلى المدينة؛ اندثرت منها أربعة بشكلٍ نهائي، وبقي واحد فقط؛ هو ذلك الذي يترجع في الأصل على الطرف الأقرب إلى أول الأقواس الطبيعية الثلاثة التي يعبر تحتها وادي الرمال قبل أن يصل إلى المحدرات. وحتى في الفترة التي رار فيها بايسونال الإقليم كان هذا الحُصْر منذ مدة في حالة لا تسمح باستعماله. حيث يقول «في وسط المدينة نجد جسراً ذا إنحازٍ حميل، له ثلاثة صفوفٍ من الأقواس، ويعبر بحوالي متين وخمسين قدماً، ولكنه ضيقٌ نوعاً ما.. لقد سقطت تقويستان منه»¹ ومن خلال الرسم الذي تركه يلاحظ أن التقويستين الساقطتين كانت هما الأقرب إلى المدينة.

وبعد ستين عاماً، وفي أواخر شهر سبتمبر 1785، قام رحالة فرنسي آخر، وهو عالم الطبيعة «ديفونتان» (Desfontaines)، برحلة تلك الأماكن نفسها، وترك لنا هذا الوصف حول حالة الجسر في تلك الفترة. يقول: «نرى هناك أطلال جسرٍ قديم مبنيّ بكثيرٍ من الصلابة والمتانة. لقد كن يتكون من أربع تقويساتٍ عالية جداً؛ اثنتان منها علويتان، وواحدة من لسفلتين مارالت موجودة. والركن الذي تدعمها مربعةٌ وعليفةٌ جداً. الحجارة مربعةٌ وطويلة، ومتصفاتها غير متساوية. هناك أيضاً تقويستان صغيرتان بجانب الأوليين موصوعتين مقابل الصحرة؛ كانتا بمثابة زافرتين*. التقويستان الكبيرتان عاليتان جداً؛ ترتفعان على الأقل على خمسة وأربعين قدماً.

على الدعامة المتوسطة، نرى نقشين ضعيفي الروز لفيلين. وعن حجرين كبيرين أعلى الفيلين يوجد تصويرٌ لامرأةٍ برداءٍ مُشَمَّرٍ حتى ركبتيها،

¹ Voyage de Peyssonnel, p.302

وهوق رأسها ضذفة لم يكن هذا العمل متقناً وكان هناك صفٌّ ثانٍ من الأقواس فوق الأول، وما زالت توحيد دعائم و حزء صغير من الأقواس»
 كتاب تلك حنة البحر عندما عزم صالح باي إعادة بنائه في 1792.
 ومن أجل ذلك استقدم من «ماهون» (Mahon) المعماري «دون بارثولوميو» (Don Bartholoméo)؛ الذي كُلف بإعادة بناء الحزء العلوي، والتفويستين السفليتين، والركائز الثلاثة التي تدعمها، والتي كانت لا تزال في حالة جيدة، كما قال ديمونتان ويخبرنا موروغر: «كان من المرمع أن يُعاد البناء بحجارة مستقمة من البليار، غير أنه لم تصل إلا حمولة واحدة إلى سطورة؛ لأن الباي وجد بأن المواد كانت تكلفه كثيراً هكذا وقرر أن يأتي بها من هصبة المصورة بالقرب من الحصن القديم المسمى «المدفع التونسي»²، واستعمل أيضاً حجارة قوس النصر الذي كان يوجد بجانب الآخر للجسر؛ والذي يسميه العرب

1 Voyages de Desfontaines, publiés par Bureau de la Malle, p 216

بعد أن رار عالم الطبيعة الفرنسي ديمونتان بيالة تونس وإقليمي وهران والجزائر، انطلق من الأخيرة نحو قسطنطية في 18 ستمبر 1785، ووصل إليها بعد نهاية أيام وهدوء أحرقناه عن الباي صالح؛ الذي لم يذكر اسمه بطلافاً، وعن حانة تدعى في تلك الفترة «أسكي» الذي في واحد من بيوت، وأمر بأن أرودمكل ما أحتاج إليه ولما ررقه استقلني بحميمية وأجلسني على أريكة لقد كان يتكلم الإيطالية بطلاقة. كان للباي عديد العبيد الإيطاليين، وجراحه الذي كان من نابولي أشهر لي صداقة كبيرة طلبت من الباي موكبة يرافقي إلى بيوت؛ موافق بكل امتنان»

أما عن مدينة قسطنطية فيقول «إنها مأهولة جداً، وسكانها معاديون للمسيحيين، وقد تعرضت فيها للإعدامات كثيرة الشوارع صفه، أما البيوت فهي مبنية بطريقة حسنة وكلها معطاة بالقرميد الشوارع مبلطة في معظمها، والبيوت الرئيسة مبنية مبنية بالمدية القديمة»
 فيما يتعلق بالجراح النولتي الذي يحدث عنه ديمونتان، بلغت الانبعاث إلى أنه في الإيانيين القديسين للجزائر و تونس، ورغم أن علم الطب وقع في عياض السيان وتم استدله بالدجل والانبعاث بالتعويذات؛ فإنه كان يحظى باهتمام كبير لدى الأقوياء والشاوات والبايات الذين كان لديهم موع من الفلق على صحتهم؛ كانوا يجسسون إليهم طبيباً أوروبياً أو أكثر وبذلك كان يضع صالح باي في حدة جراحاً نابوليتانياً، كما كان للباي موكمة، قبله، طبيباً هولندياً يدعى «سانسون» (Sanson)؛ والذي كان عبده هذا الأخير الذي كان باعاً حذاً للرحالة الإنجليزي «شو» عندما رار قسطنطية لأنه قدّم له، كما صرح هو نفسه في مذكرته، مجموعة من الملاحظات حول حضارية هذا الإقليم

2. Revue africaine, année 1868, p. 133

«قصر العولة» ولكن هذا الإنجاز الذي يُعتبر واحداً من الأعمال الأكثر دهاءً ولاكثر جرأة التي أقدمت عليها عقريه صالح باي؛ كان بنجه نحو العسل بجعله حصة للحاسدين والثالين لتسطح صورته لدى باشا الجزائر وإرضاء أحقادهم.

إن الإصلاحات التي قام بها هذا الأمير في الإدارة؛ وخاصة في التعليم الابتدائي، ورغم أنها كانت مستوحاة من حب الصالح العام؛ لم تكن لتحصل دون أن تثير بعض الأحكام الاعتباطية، وحتى المساس ببعض لمصالح الفردية. فعنة المراطيين المتمثلة في أشخاص متسيين في معظمهم إلى تطبيقات دينية تمثل الجماعات لسرية للعالم الإسلامي؛ التي تعتمد في تأثيرها على سرعة التصديق العمياء الناتجة عن الجهل، لم تستطع، دون أدنى عبط، رؤية المحمودات التي بدلتها صالح باي من أجل نشر التعليم حتى في القبائل، ومحاولته تديد ظلمات بضلال. فبعد ذلك الحين بدأت الأحقاد الدبية التي لم تنجراً بعدُ على الخروج علماً ما دام الحماس المنار بالانتصارات والإصلاحات الساجحة التي ميرت السنوات الأولى من حكم هذا الأمير؛ تظهر مع بداية أهول نحمة، وتتفجر في شكل عداءات صريحة.

١. م يستغرق عمل المعماري الماهول سوى فترة قصيرة مقارنة بإعمار هذه الأهمية وفي 18 مارس 1857؛ أي بعد أقل من حسي وستين سنة بعد إعادة بانه، وعلى الساحة السبعة ونصف صاعاً، انهارت إحدى الركائز العلوية للجسر، تلك الأقرب إلى ابدية، سُفِطَتْ معها نفوسين اللذين تحملها، وثلاثين وعشرين متراً من قناة المياه التي نمون المدينة لقد أدى هذا الحادث إلى ضرورة تهديمه كلياً؛ حيث بُدئ في ذلك يوم الأحد 30 مارس الموالي بطلعات مدعية وهؤلاء الذين أتتحت لهم فرصة حضور هذا العرض المريد؛ لن يسو، بالتأكيد، أبداً اللحظه الاحتماله التي حدثت فيها على ركاثرها، التي أضعتها القلائد، كعملاق نمكة الشكر؛ تلك الكتلة الهائلة خلال نصح ثواب في الهواء، وكأنها من أن تقع في الهاوية أراد أن تسير أعماقها، ثم تنهار على نفسها مكسرة لتحتمي في الهوة هذا الجسر الذي أصبح اليوم واحد من أصحح الحسور وأكثرها التي يمكن أن يراها قد أعيد بناؤه من جديد في 1863 تحت إشراف إدارة الحسور والطرقاب ويكون في كل جهة من قطريين مُشكّلين من فوسين سبها مسافة ستة وخمسين متراً وأعلى هذا العراج يوجد تقوية معدنية تربط بين سلسلي الأفوس، وبالتالي تتربع فوق هوة عمق ستة وعشرين متراً وهو أعلى من الجسر القديم بعشرين متراً وعوض أن يمر بحوره فوق العقد الطبيعي الذي دارنا نرى عليه قاعدة الجسر الروماني البدائي فهو أعلى قليلاً

من بين كل هؤلاء العاضيين لوحظ المراتط سيدي محمد بانتقاده
اللاذعة وقدره الضعيف واعتماده على عدم معاقبته؛ تجرأ على تحدي غضب
الباي علانية بالتآمر عليه وتأييد «الخوان» (الإخوان) ضده؛ حيث كانوا
مستعدين لمؤارنته إن صيت قداسته الدائع وشعبيته الكبيرة جعلاه يعتقد
بأن بإمكانه لتجرؤ على فعل أي شيء، لكن صالح باي لم يسمح له. فعندما
اقتنع تماماً بأن الرجل الصالح يعمل على تفتيم سلطته؛ لم يعد يرى فيه سوى
شخصي ثائر، وحكم عليه بالإعدام وعند ساعة الحسم، ورغم توسلات
العملاء، ورغم الشعور الذي أثاره هذا الحكم في المدينة؛ تم تعييده بحضور
كافة الأهلي وتضييف الأسطورة، أنه لحظة تدحرج رأس المراتط على الأرض
استحان جسده إلى عراب، وانطلق طائر المتنبئ البائس نحو منزل استحمام
الأمير الذي كان قد بناه مقام المدينة، وألقى عليه لعنته. وصالح الذي لم
يكن في مآى كلي عن التطير؛ صدق المعجزة. وبعد ندمه، ولكي يهدئ روح
صحيته؛ أقام على المكان الذي حط عليه الطائر الصريح الضخم ذا القبة
البهضاء الذي صار يُعرف، منذ ذلك الحين، باسم سيدي محمد العراب .
لم يكن ذلك الدم المحتل عميقاً بالقدر الذي يمكن أن يحمله، منذ ذلك
الحين، على الأعداء في صمت والشارل عن سلطته أمام دسائس الحرب الديني
المتجاسرة يوماً بعد يوم، ورأى ذلك فعلاً.

الشيخ سيدي أحمد الرواوي؛ الذي رأياه يقطع في طرف بصع ساعدت
مئات المراحل ويُغرق الأسطول الأساني، وبعد أن كان صديق ومستشار
صالح لمدة طويلة؛ قطعه نهائياً ليتحد موقفاً موحداً مع أعدائه. وبانسحابه
إلى جبل وازفر، صار مكرراً التحقق به جميع الغاصيين أما الباي الذي لم يكن
يسمح بوجود بؤرة دائمة للثورة على أعقاب عاصمته؛ فقد قرر تفرقتها،
فأرسل كتبة مكوبة فقط من أتراك لمواجهة المراتط وأتباعه الذين هروا مع
اقتراحها وتم تخريب كامل المنطقة، لكن اهدف الرئيسي للحملة، والذي كان

1. هكذا على الأقل تشرحه الرواية التي نقلها شيرينوف في الجزء الأول من «الجمعية الأثرية
لقسنطينة»، ص 130

بقضاء انقبض على الشيخ، فلم يتحقق. فقد تمكن أتباعه من إبعاده في مكان ما عن عصب الباي، وبعد ذلك لم يترددوا في استغلال هذا الحدث كأعظم انتصار سيدهم وتروي الأسطورة حملة الذي صالح الحربة هذه كما يأتي ما إن علم الشيخ بأن عارة ستش على أراضيه، وبأن الأمر بالقص عليه قد صدر؛ حتى قر من جيبه وأصرم انار في جميع القرى التي وحدها في طريقه. وقد لحقه انكثير من الأتباع من المدينة والريف؛ حيث لم يكن يقص عددهم عن ثلاثة آلاف. بوصولهم إلى «مشته النهار» توقف سيرهم بسبب تعاضد عظيم قطع طريقهم، ولم يكن غير الله قادر على نقضاء عليه. وبرؤية أمر الشيخ الحشد بقتله، ولكن كل الجهود المتصافرة ذهبت سدى فترجس من حصانه، وفي ظرف ثانية واحدة فعل ما لم يستطع ثلاثة آلاف رجل فعله، لم يقم إلا برفع قدمه على الوحش حتى مات لتوه وهو يتنوى منشجج والربد يخرج من فمه ثم سئدار الشيخ إلى الحشد المندهش صائحا «لا حول ولا قوة إلا بالله وبحس عبده. بعون الله لا أحشى أي مخلوق، ولا خوف إلا من الله»، ثم أمر جميع من تبعوه بالعودة إلى ديارهم، وتوجه هو أيضا إلى داره وفي مساء ذلك اليوم، وبعد غروب الشمس، خرجت كتيبة من الأتراك من أبواب قسطنطينية في هدوء تام متجهة، في عتمة الليل، نحو جبل وازفر بباغنة المرباط العنيد وإحصاره مكبلا إلى السيد، كما كان يجذوهم أمل بحبارة غنائم كثيرة؛ فأسرعوا خطاهم. وبعد مسيرة مصنية دامت شعبة ساعات، ومع بداية بروج الصبح وتمييز الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وحدو أنفسهم أمام خيبة مريرة؛ حيث كانوا على صفح كدية عتي التي أمصوا الليلة بأكملها يدورون حولها معتقدين أنهم كانوا يسرون إلى الأمام. هل كان بإمكانهم، كما العرافون القدماء، أن يظروا إلى أنفسهم دون أن يضحكوا؟ ذلك ما لم تذكره القصة، ولكنها أضافت بأنهم دخلوا المدينة حقلين مطأطين رؤوسهم ومرتبكين بسبب ما فعلت بهم كرامة البرحل الصالح المعجزة؛ الذي لم يعودوا منذ ذلك الحين يكذبون قدرته الخفية عندما أحرر الباي بهذه الخيبة الغريبة رفض تصديقها في البداية، ولكن

مع التأكيدات المتكررة لقائد الكتبية وللجنود الذين كانوا أعضاء فيها،
توجّب عليه الرجوع إلى حدة الصواب، وشعر هو أيضاً بالدم على تحرّره
بالقيام بحملة كهذه ولتهدئة عصب الرجل الصالح المّهان؛ أرسل إليه
عطية مشرفة والعديد من الهدايا، ولكن الأوان كان قد فات. فقد دعا عليه
المرايط، وعلى أسائه، وعلى من يحيطون به؛ وخاصة أولاد بن زكري بأن
تحل عليهم لعنة الله. وبعد ستة أشهر حلت عليه لعنة السماء؛ فقصي شكل
عفيف، وانتصر الشيخ الزواوي وأخذ بثأره.

وعلى الرغم من هذا، فإن الشيطان الذي كان ربما يؤرّض صاحب باي
ويدفعه إلى هلاك؛ قد زح به في حملة جديدة ليست أقل جوراً من سابقتها.
لقد كانت زاوية الشيخ سيدي عبيد في بلاد الحماشة تتمتع، في تلك
الفترة، بسمعة واسعة. حيث كانت تفتخر كثيراً بثرائها وصحابة قطعان
إبلها وبدافع الطمع، عزم صاحب على الاستحواذ عليها. وفيما يلي الحيلة
التي تخيلها.

لقد بلعه بأن ألفا راسي من إبلهم قد أرسلت إلى التل حلب الحبوب
لحساب ولتحت إشراف رجائي من قبيلة السهامشة؛ التي كانت متمردة عن
سلطته، فأرسل الباش سيار، بوربان بن زكري، إلى إبراهيم بن بوغريز،
شيخ الحماشة، بحجة التحالف معه حول بعض المسائل المتعلقة بقيادته،
ولكن، في واقع الأمر، للتعاهم معه حول الوسائل الأفضل لتعبيد عملية
الاستيلاء الميّنة. ولقد أدى بن زكري مهمته على أحسن وجه. فوصله إلى
بلاد الحماشة؛ عرض على الشيخ إبراهيم الهدف السري من رحلته، وتلقاها
إشارة اقتراب القافلة؛ أمرا رجال القوم بركوب حيوهم والانقصاص عليها
ورغم كثرة عددهم لم يحاول قائلو القافلة حتى التصدي للمحموم؛ بل هربوا
تاركين وراءهم الإبل بما حملت في قصة المهاجرين وسلك بن زكري طريق
قسطية سائلاً أمامه تلك العنيفة، الكبيرة رعم مطالبات أولاد سيدي عبيد؛
الذين قالوا بأن الإبل لهم وليست للسهامشة.

حرج صالح ملاقاته في الباردو، وهبّاه على غنيمته وتحت مع

الهائم بحتم البايك قل أن نُصمَّ إلى المطيع الموحَّد أما أولاد سيدي عبيد الدين تنقلوا، هم أيضاً، إلى قسطنطينة أملين أن ينصفهم الباي؛ فلم يلقوا منه سوى استقبالا قاتراً فلم يستمع لحججهم، ولم يستحب لتوسلاتهم، ثم طردهم دون أن يعيد لهم شيئاً ورجعوا باكين إلى أبيهم الشيخ سيدي عبيد بخبرين إياه بعدم جدوى محاولتهم لم يكن الشيخ قدراً على الانتقام بالقوة جراء هذا العصب الظالم الذي تعرض له؛ فدعا، هو أيضاً، أن تحل اللعة على ظالمه، وطمَّ فصيحةً يرجو فيها، بشكل واضح، هياته القريبة

مهما يكن اعتقاداً حول اللعنات الموحَّهة له من طرف الفئة الدينية، فإنه من المؤكد أن صالح باي، في هاية حكمه، قد أوجد لنفسه أعداء كثر حتى من بين الفئات الأخرى للمجتمع، ويبدو أن الأحداث التي ستأتي لاحقاً تصدِّق الرأي العام.

أرسل بورنان من ركري الذي قام بعملية السطو التي أوردناها إلى مدينة الخرائير ليعطي تفسيرات حول تلك الحادثة، ولكن حجته كانت ضعيفة أمام الاتهامات التي وجهها إليه الشيخ سيدي عبيد غير أن الباشا تركه يحدِّث في حين أرسل إلى صالح باي أمراً سريعاً بقتله. ودون أدنى شعقة تجاه خادم مخلص كهذا، قام صالح بقطع أطرافه في الساحة العامة، وقطع رأس أخيه، وبعد بضعة أيام، وبإيعاز من أعداء صالح باي الذين أوحوا للباشا بأنه يرغب في أن يستقل بإقليمه؛ أصدر قراراً بعزله واستداله تركي من وهران يسمى إبراهيم.

بنا، وشعر هو أيضاً
سب الرجل الصالح السنه
لكن الأوان كان قد فات
طلون به؛ وخاصةً أولاد
حلت عليه لعة السيد
بشاره.

طال الذي كان
مديدة ليست أقل حوراء
بيد في بلاد الخائنة
تختر كثيراً بثراته ومد
الاستحواذ عليها. ويبدو

أرسلت إلى الخرائير
شماشة؛ التي كانت
ركري، إلى إبراهيم،
بعض المسائل التي
لوسائل الأفضل
على أحسن وجه
السري من رجليه
خيولهم والانتقام
التصدي للهجوم
ن. ومثلك من رؤية
الحالبات أولاد

إبراهيم باي، المدعو بوصيب

28 ذو الحجة 1206هـ، 17 أوت 1792م

دام حكمه ثلاثة أيام

وصل إبراهيم إلى قسنطينة حمّة، فواصل أولاً بتفديد القصبّة؛ حيث أطلعه على قرار تعيينه وأوامر الداي. ثم اتفقا معاً على العمل دون صحبة على توقيف صالح، وسار الأمر بدقة كبيرة؛ حيث تم في ذلك اليوم نفسه القبض على الباي السابق، وألقي به في السجن.

بعد ذلك، توجه إبراهيم إلى قصر الحاكم، واستدعى على وجه السرعة أعضاء الديوان، وكبري الموطعين، وأعيان المدينة. ثم اتخذ مكانه على الكرسي، وارتدى قمطان التولية؛ في حين كان الباش كاتب يتلو الأوامر الذي يسميه باياً على إقليم الشرق. وبعد ذلك رحلت به الشخصيات المحاصرة، وتعالّت هتافات الحشود المستهجة في الخارج.

عندما انتهى العمل وتفرّق المجلس؛ قام إبراهيم بإحراج صالح من السجن، وأمر بأن يُساق أمامه بعد فك أغلاله. ثم أجلسه بحجسه، وقال له بأن يطرد الخوف عنه، وطمانه بأنه سي تدخل لدى الشا من أجل العدول عن الأمر الصادر بقتله. وفي تلك الجلسة كتب إلى مدينة الجزائر رسالة يتمس فيها العفو عن سجنه، ثم سمح له بالعودة إلى داره حتى يهدئ مخاوف أولاده وجميع أسرته. أما صالح المدهش من تصرفات إبراهيم الحسنة تجاهه؛ فقد وجّه له شكرات حارة، وأسرع إلى بيته وأعلق بانه عليه. وكانت عودته مدعاة لسرور وسهجة أهله؛ الذين لم يكونوا يتوقعون أن يروا ابنه مجدداً.

ولكن باسترجاع حريته، أراد سجين يوم واحد أن يسترد سلطة الأمر حيث تدكّر أنه قبل يوم واحد فقط كان هو باي قسنطينة الذي يحكم، كسيد مطلق، كامل الإقليم. فحطط لمشروع يسترجع فيه بالقوة اللقب الذي أنشع منه ولو بطلب تحقيق ذلك أن يدوس على جسد الرجل الذي تكرم عليه وحافظ على حياته. ومد تلك اللحظة أحمد الطموح لديه الشعور بالعرفان؛

مسلحاً خذقه ومملوكه بشكلٍ سري، وفي اليوم الثالث خرج ليلاً على رأسهم متوجهاً نحو القصر حيث كان يرقد حلقه ولم يكن القصاص على الحراس الذين كانوا في المدخل قبل الوصول إلى محمد إبراهيم سوى مسألة لخطات، وتمت مساعدة الساي الجديد في فراشه؛ فلم يجد حتى المجال لطلب نحه مخليصه وخدمه الذين جاء بهم معه من وهران. وهلك بطعنا قاتليه، واستطاع صالح، قبل أن ينصرف، أن يضمن النظر في جثة ضحيته الدامية والمأهدة.

لم يدم حكم إبراهيم بوصف سوى ثلاثة أيام وقد تم نقش العبارة التالية على شاهد قبره؛ التي قدم فيرو نصها العربي وترجمته الفرنسية في الحولية الأثرية لسنة 1867، والتي نوردها هنا

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه ضريح المرحوم بكرم الله تعالى

الهي القيوم الشهيد السيد

القادم على مولاه الكريم إبراهيم باي

رحمه الله وأدخله فردوسه

توفي ليلة الاثنين

تاريخ شهر محرم

سنة ١٢٠٧

فما يتعلق بهذا التاريخ يجدر بنا أن نورد ملاحظة. فقد عي الراوي بتدوين السنة والشهر، وحتى اسم يوم الأسبوع وتقريباً الساعة التي كانت فيها وفاة الباي إبراهيم؛ ولكنه نسي أن يطلعنا على أي يوم من الشهر فشهد محرم هذا لسنة 1207 قد ضم خمسة أيام اثنين، وبقيت الإشارة إلى يوم الأسبوع البعيدة عن الاحتمال لا تصيب أي شيء لتحديد التاريخ؛ لأنها تترك العموض يحوم على كامل الشهر. وبالإستعانة بتواريخ معروفة لبعض الأحداث التي سبقت أو تلت مقتل إبراهيم؛ لا نتردد في تحديد هذا التاريخ

يوم الاثنين الثاني من محرم الموافق لسنة 20 إلى 21 أغسطس 1792 بالتهويم المسيحي وفيما يلي مؤشرات الاستقراء التي اعتمدا عليها
لقد تقلد إبراهيم السلطة يوماً بعد توقيع صالح باي، وكان ذلك يوم 16 أغسطس (27 ذو الحجة 1206 هـ) وفقاً للوثائق التابعة لأرشيف بشري الملكية لإفريقيا (Compagnie royale d'Afrique) التي كان قد ذكرها أماً
ومن جهة أخرى، جاء في شهادة القبر أنه توفي في ليلة الاثنين، وهو ما يوافق ليلة الأحد إلى الاثنين؛ لأن المسلمين يعدون أيامهم من غروب شمس إلى آخر يومها أن 16 أغسطس 1792 كان يوم محبس، وحكم الذي احتيد لم يدم سوى ثلاثة أيام؛ أي الجمعة والسبت والأحد، فإن ليلة الاثنين الواردة في الشهادة لا يمكن أن تكون سوى تلك الواقعة من 20 إلى 21 أغسطس، والتي توافقت الثاني من شهر محرم من عام 1207

يسمح لنا هذا التصحيح خطأً كروبولوحي نجده يتكرر دون تغيير في جميع قوائم بايات قسطنطينية التي نُشرت حتى اليوم تقريباً فهي تحدد قدوم الباي إبراهيم في سنة 1207 هـ بينما أن قدومه يرجع في الواقع إلى 28 ذو الحجة من سنة 1206. فصحیح أن يومين فقط يفصلان هذا التاريخ عن بداية العام 1207، ولكن لوجود العناصر الكافية لتحديد هذه النقطة من التاريخ المحلي بشكل دقيق؛ لا يمكن إهمالها لأنها، بالنظر إلى مدرتها، تعتبره، عندما تقرأ، مؤشراً جديداً.

ونعود إلى صالح باي الذي تركناه مع صحبته. فعند أن انتهى جلادوه من قتل جميع حدم الباي الهالك² تنوع من العنف، وكأهم كانوا يستعدونه من أعين وصوت سيدهم؛ استقر صالح وإياهم من حديد في القصر الذي استرحمه بالحياة والقتل إرضاءً لطموحه والسلطة المسترخية بانقوة لا

1. انظر الهامش في الصفحة 158

2. روي لنا شاهد عيان بأن هؤلاء الخدم الذين كان عددهم أربعين، قد اقتيدوا خارج دار الباي إلى ساحو صغيرة بمدخل سوق السراحيين، وفيحوا واحداً تنو الآخر كالأعمام. وسالت اندمه بعزيمة، كما قال، لدرجة أنها ملأت الشارع، وشكفت مقابل باب فندق الربيع (أسفل الشارع) بركة دم بشري سدت المدخل.

يعكس أن تفقيها، إلا القوة؛ وهو ما بدأ التفكير فيه، لأنه منذ ذلك الوقت صار يأمل في استقلال تام، وأظهر عصياناً صريحاً ضد سيده. ولكن انتصاره لم يكن ليديم طويلاً.

ما أن نشر خبر اعتيال إبراهيم في المدينة حتى أثار استنكاراً عاماً ضد قاعده فلم يعد الأهالي مع صالح، وأصبحوا يعيدون عن أتباع عصيانهم، بل بالعكس، فقد حموا السلاح صده وثاروا أما الأتراك وبعض الموالين الذين طمخوا إلى جانب الباي المحتلوع؛ فقد حاولوا السيطرة على الخشود بالتحويك، ولكن دون جدوى. لقد استلزم الأمر الاشتباك والاحتكام إلى البارود، وستم القتال في الشوارع عدة أيام؛ فسقط من الجانبين عددٌ من القتل والجرحى دون أن يحسم الأمر لأي واحد منهما.

خلال هذه الفترة، خشي أعيان المدينة من عودة صالح ذي إلى الحكم إن هو حرج متصراً من هذا الصراع؛ فأرسلوا على وجه السرعة كتاباً إلى مدينة آخر تر يخبرون فيها لاشا باما حسن بمصرع الباي إبراهيم، ونصرفات الباي السابق صالح.

في هذه لفترة كان يعيش في مدينة الحراثر ابن بوحك، الذي نُذكر بأن صالح ذي أراد، في بداية حكمه، أن يقضه لبشعي عليلاً في نفسه، وبأنه لم ينجح من الموت إلا باهروب بعيداً عن موطنه. عشرون سنة من المنفى لم تجعله يسي أو يسامح، بل عى العكس، رادت وأحجت مشاعر الكراهية التي حملها معه لدى هروبه من مصططهده. وإن كان الانتظار طويلاً؛ فإنه كان يعلم بأن الانتقام سيكون يوماً، وقد حانت ساعته. وعندما توحَّبت اعشامها، ابن بوحك لم يتأخر.

حالما علم بما حدث في قسطنطينة تقدم إلى لاشا بوساطة بعض أعيان الديوان الذين كانت تربطه علاقات بهم، وقال له «سيدي، إذا وفقتهم على تعيبي باياً على إقليم الشرق؛ فإني سأتكفل بصالح، ولن تمر إلا أياماً قبل أن تلتقوا بآ موته».

لم يكن لاشا يجهل الاستعدادات الداخلية للرجل الذي طرب بنفسه

امتياراً لا يجوز من الخطورة؛ فهم يتردد، إداً، في سمته مكان الباي المحاصر لواحده وعظيتمته. لأنه كان يدرك بأنه من حسن السياسة أن من أجل هزمه خذوه متبرداً يجب اعتقاله فرصة مصاعفه للحاج؛ وذلك بمواجهته، في الوقت نفسه، بمصاعف وعدو شخصي وفي هذه الأثناء أرسل حطاً لسكان قسطنطينية وغباء وشيوخ الإقليم بالخروج عن طاعة الباي صالح، الذي أصبح حارحاً عن انقائون بقتله لإبراهيم، كما أنهم فيه بالقبض على شخصه وسجته حتى وصول الحاكم الجديد

مدنيته؛ غير أن يوحنا اسمه حسن باشا إلى حسين، فكان هو الاسم الذي عُرف به مُذاك وما إن عُيّن في منصبه حتى اطلق على وجه السرعة من مدينة الخرائط على رأس بعض التعزيزات، ووصل بعد بضعة أيام إلى قسطنطينية التي فتحت له أبواب دون جهد يذكر؛ حيث أنه لم يواجه أية مقاومة؛ لأن عدوه كان قد تم القبض عليه. مع تلقي رسائل الباشا، اتفق أعضاء المدينة وأعضاء المجلس مع لأعلى العمل على توقيعه، ولم يرغب أحد، حتى من خدمه ومملوكه الذين هموا ببل تلك الفترة محلصين له، في الدفاع عنه في أسوأ أحواله. وتحتل الجميع عنه، تم لقاء القمص عليه، وسُلك في الأغلل قبل أن يُنقى في سجن القصة في انتظار قدوم الباي الجديد الذي سوف ينظر في مصيره، ولكن الانتظار لم يكن طويلاً.

ما إن دخل حسين إلى المدينة حتى أصدر أمراً بقتل السجين. وبعد بضعة دقائق تم حقن صالح على أيدي الحلابيين؛ وبذلك انتقم عدوه لنفسه هكذا انتهى الرجل الذي ساد مدة واحد وعشرين عاماً بشكل مطلق في الإقليم، دون أن يصيب محداً مثلما رأينا فإن طهر أحياناً على أنه غير عادل وقاسٍ؛ ويرجع ذلك إلى عيوب في التربية التي تلقاها، والوسط الذي عاش فيه. ولكن لا يمكن إنكار الذكاء الحاد الذي كان يتمتع به، وتُعد نظره وصلاته ورياسة حاشية. باعتباره مقاتلاً، ودبلوماسياً، وإدارياً، وطب جميع المزايا التي تصفه، ودون مراع، في المرتبة الأولى بين كافة بايات قسطنطينية، وكان الازدهار كميلاً بإساءة عيوبه؛ للذكير فقط بإسماحاته الباطنة.

وبالأسف، فإن الإصلاحات العديدة التي قام بها طيلة فترة حكمه؛ لم يبق منها إلا القليل وهكذا فقد كان له حلفاء ولم يكن له معاندون ما سردها حول الأحداث الأخيرة التي سبق موت صالح باي قد نقله عن مخطوط للشيوخ مصطفى بن حلول، لقاصي السائق في قسطنطينة، والذي توفي عن عمر يناهز القرن في 1864، كما أنه عايش هو نفسه أو بواسطة عائلته الأحداث التي رواها، ولقد تم تأكيد هذه الأحداث شفهياً من طرف أشخاص آخرين يجعلهم سهماً ومركزهم جديرين بالثقة وبما أن لا يستطيع الاستناد إلى أية وثيقة رسمية، وبما أن هناك وثائق أخرى أوردت الأحداث بشكل مختلف؛ فإننا نعتقد بأنه يجب علينا هنا إضافة الرواية التي أوردتها شيرينون عن مصادر أخرى وليكم كيف أمهي بمرص الذي حصصه هذا الأمير

لأن عادة بناء حصر قسطنطينة، التي كانت بالتأكيد إبحاراً ذا منفعة كبيرة لأهل هذه المدينة، قد انقضت رغم ذلك بغير صالح صاحبها. فقد أوحى أصحاب البوابات البنية إلى باشا الجزائر بأن ستقدم عاملة للماء إلى قسطنطينة؛ لم يكن إلا هدف الاستقلال، فعمره وأرسل إبراهيم حلفاء له

سبكون سرد الأحداث التي صاحبت وصول الذي الحديد طوبلاً بعض الشيء، فأكتفي بالقول بأن إبراهيم جاء بصالح إلى دار الباي وتخطت عليه حشية أن يقوم أثناءه بتصرفات لصاحبه ورغم هذا الاحتياط اغتيل هو نفسه من طرف رستم الميليشي، واستعاد صالح باي الحكم، ولكن عالياة صباط المحزن، الذين لم يريدوا تلويث مستقبلهم، فصلوا أنظار ما سيحدث بدل أن يسندوه صراحة. لم تدم هذه الوضعية طويلاً، فبعد عشرين يوماً من مقتل إبراهيم أرسل الباشا حاكماً آخر يدعى حسين، ومعه أمرٌ بإعدام المتمردين يقال أنه لهذا السبب اندلعت معركة دامية داخل أسوار قسطنطينة؛ حيث كان لصالح العديد من الأصدقاء الأتراك وتعين على حسين محاصرته في بقصر القديم بين شوارع «كرمان» (Caraman)، و«كاورو» (Cahoreau)، و«كومب» (Combes)، وهذا ما رواه لي شهودٌ عيانٌ عن سبانه هذه المناقاة

فعندما أدرك صالح بأن الصراع أصبح غير متكافئ؛ اشترط الاستسلام شرط أن يُسمح له بالخروج وسط مرافقيه وفي حوار شيخ الإسلام؛ فكان له ذلك. وعندما تحطى عتبة دار الباي ممسكاً بحدل* بروس عبد الرحمن بن لعقون؛ الذي جاء للقائه. وبمجرد أن مشى بضع خطوات في الشارع دفعه حاميه صاحب رداءه، وتركه لشواش الباشا الذين انقضوا عليه وحققوه¹ وبضيف، مع هذا الراوي، بأنه دُفن في مدرسة سيدي الكتاني، وبأن الضريح هو ذلك الذي نراه في آخر القاعة الواقعة شيما المدخل. وانكتاة التي يحملها نُقشت على طاولة رخامية يعلوها هلال، وجاء فيها:"

بسم الله الرحمن الرحيم

صريح يلمع في سماء السعادة، أو كعقد جواهر ثمينة

هنا يرقد باي القرن صاحب امشاعر السيلة

وهنا تجتمع فضيلته وإيمانه

عاش سعيداً ومات شهيداً، لم يمشر إلا لخير في سبيل الله،

وقاد حصانه كثيراً في ساحات المعركة صاعاً لله

انتصر في جهاده ودمر جيش الفلنش وأعطى حق الله

من أعماله الجديرة بالتقدير بدؤه للمدرس، كما وفق لله كثيراً حملاته

وافته المنية في شهر محرم

احسبوا حروف هذه العبارة

أمير حاز مفتاح السعادة

* الحدل: الطرف الأدنى للثوب.

¹ Annuaire archéologique de la province de Constantine, année 856- 857 p.119

** هذه ترجمة للنسخة الفرنسية منقولة عن النسخة العربية الأصلية

¹ يُقصد به جيش الأسان، فاسم «الفلنش» (Alfenche) أو «ألفونس» (Alphonse) هو، بالنسبة لمسمى الخرائط، مرادف لملك إسبانيا ويمكن أن يحتمل بأن كاتب شهادة القبر أراد أن يشير إلى هزيمة الأسطول الأسباني بقيادة الكونت أوريلي (O Reilly)؛ تلك الهزيمة التي ساهم فيها صالح باي بشكل كبير ولكنه بإعطائه شرف الانتصار كله لعب دور مُعَرِّط وليس مؤرخ حقيقي.

إن رقم السنة الناتج عن هذا الحساب ليس بالمرّة سنة 1208 للهجرة، كما يقول شيرينو خطأ، وهو ما يتناقض مع جميع معطيات التاريخ؛ ولكن هو سنة 1207 التي توافق سنة 1792 من التقويم الميلادي وعليه، إذا جمعنا، بإعطاء لكل حرف قيمته العددية^٥، كل الحروف التي تكوّن الحملة التي تمثل رقم لسنة، نحصل في المجموع على العدد 1207 وهو ما سهّل التحقق منه، من جهة أخرى، نوضح الحملة بشكل عمودي، ومقابل كل حرف نضع العدد الذي يمثله، بالطريقة التالية:

ا	1
ب	40
ج	10
د	200
هـ	8
و	1
ز	7
ح	40
ط	80
ي	400
ك	1
ل	8
م	1
ن	30
س	300
ع	70
ف	1
ق	4
ص	5
	<hr/>
	1207

^٥ بلعنه، فإن العرب أسدوا نكل حرف من هجائهم عدداً معيناً (المترجم)

ونلاحظ، بالإضافة إلى هذا، بأن التاريخ المدون أسفل شهادة صريح صاحب ناي، كما هو الشأن بالنسبة للناسي إبراهيم، لا يصمم أي يوم من أشهر ولكنا نعلم، من خلال الروايات العامة، بأن وفاته كانت يوم سبت، وعدد هذا التاريخ ملاحظة مدونة على صفحة علاف المخطوط العربي رقم 21 في مكتبة مدينة الجزائر ونقرأ فيها «توفي صالح ناي محمداً ليلة الأحد 16 محرم 1207 هـ» وهو ما يوافق 1 سبتمبر 1792 م وبذلك يكون قد دام حكمه واحداً وعشرين عاماً، كما سبق وأن ذكره برنير وعرف في المرحلة الإفريقية

فصل خامس هذه المرحلة الثانية من تأريخنا التي تنهي بحكم صالح ناي تطويل؛ مسحاوول، كما فعلنا بالنسبة للقرن السادس عشر، الحديث عن الحركة الأدبية والعلمية خلال القرنين اللذين تليها. إننا نريد ذلك، ولكن كيف سننهل موضوعاً كهذا وهو مجهولٌ لدي؟ والعناصر التي من المفروض أن تشكّله ليست متوفرة؟

لقد سبق وأن قلنا بأن قدوم الأتراك إلى هذه البلاد لم يكن فقط سبباً للاضطرابات السياسية التي أنفتحت المظنة بأكملها عذرة في الفوضى وصحبة لصراعات الجماعات لمدة مئة عام وبعث، بل كان، بالنسبة للأدب والعلوم، مؤشراً بالاحتياط التام الذي استمر حتى احتلت آخر مدبره بحياة ثقافية هائلة، وإذا كان قد شهدنا مؤخرًا محاولة إصلاح من طرف صالح ناي من أجل إبعاده إبعاد المشعل المظني، فإن هذه المحاولة المشقة عن مجهودات ذكية للنخبة لم تدم سوى فترة قصيرة ورالت برؤال صاحبها

وطيبة هذين التقريرين أيضاً، أية أسماء كُتّاب يمكن أن نذكر؟ وأية إنتاجات فكرية كتبتها الأرواح منهم؟ لا نعرف إلا واحداً منهم، ولكن ليس عن طريق المعرفة العامة؛ بل بفضل تحريات الشخصية التي كشفت عنه إنه الشيخ عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن يحيى بن عفو، الذي كانت له الفرصة للحديث عنه عدة مرات بعد عاش خلال نصف الأول من القرن السابع عشر، وترك، بالإضافة إلى مذكرات حول تاريخ

ببلاده؛ والتي لم يجد فيها، للأسف، سوى بعض الصفحات، مؤلفين؛ عنوان الأول، شرح كتاب المجراي حول مركب الحبل، والثاني، النتائج المضرة لاستعمال اشع والمؤلفان برران تبحراً علمياً عميقاً، وروحاً نقدية صافية لدى الكاتب وفيها يلي كيف يشير في مقدمة مذكراته إلى الإهمال الذي تعرضت له الآداب الجميلة؛ فيقول:

لما رأيت العصر ورحاله يحجرون أمام العقبات، ورواق النجاة تتحطم أمام التدفق المتزايد للتجديد، ولما اكتنفت سُحب الجهل كل شيء في طلماتها المظلمة، وملت أسواق العلم العامة من مرتاديها إلى درجة أن لجاهل ارتفع إلى منزلة القائد الأعلى، وانحطت العالم إلى درجة سفلى، وأصبحت مرتبة تعتبر مسعطة وحليمة؛ انظر قلبي للعلماء الحقيقيين الذين تخلصهم العامة الباهلة مع مسافقي المعرفة، أو تضعهم في نفس مرتبتهم، كما انظر لتلك المجموعة من الرجال الصالحين الحكماء الأفاضل برؤية سفالات لناس والدناءات المجنونة لحكمي تُنسب إليهم، أو يُعتقد أنهم تأثروا بالاحتكاك بهم^١.

هذا ما كان يعكر فيه ويقولُه الشيخ عبد الكريم بن لغزون عن رجال عصره ولكن ما لم يتجرأ على كتابته؛ وهو الذي ينتمي إلى عائلة تدعى بالكثير للأثر في برورها، حول الأسباب التي أدت إلى هذا الاضطراب في السوس، كان قد أشار إليه شاعرٌ ومفكرٌ من تلمسان، ويدد به في أبيات شعرية حطت في أحسن صفحات النقد اللادع والعقلانية، ويمكن أن يُعتبر شعره كأحر أروع الأعمال الأدبية في الجزائر الإسلامية، فحسب تعبيره؛ كان كاتب ذلك العصر يري قلمه المتغيب بحد السيف^٢.

١ هذا النص وعنوانه المكتوبين ليست إلا ترجمة للنسخة العربية المنقولة عن النسخة العربية الأصلية (مترجم).

٢ هذا مقتطف من أبيات نظمها الشيخ سعيد بن أحمد المقرئ التلمساني؛ الذي عاش في أواسط القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، ولمدة ستين عاماً موافقة كان به شرف مراوثة وظيفه معني مدينته لقد وردت تلك الأسات في وثيقة بحصلها عليها مد ستين، ولكننا سهرنا آنذاك عن أحد نسخة عنها وسوءاً ما فعلنا، لأنها صاغت بعد ذلك، ويُعبر عن أن يدور وجود نسخ منها فكتابات كهذه لم يكن مستحسنه نانا لدى الرقابة التركية ورغم مرور أكثر من ثلاثين عاماً عن روال السطر العثماني على هذه البلاد، فإن النسخة التي يعودنا لم نتحصل

عدا هذا الاسم الوحيد الذي سجلناه للقرن السابع عشر لم يحدث
وحتى دراسات الدين والحقوق هُجرت؛ فلا أثر لأستاذ في مدونة ولا
قاصر يُقل أحكامه من طرف الجميع، ولا حتى مرابط يستقلب الماهية
في حياته برهده في الدنيا وبمصائنه الشخصية، ولكن بعد موته يُعطي بعض
الولي اتصالاً بالجماع مطلق وبعد ذلك تستت صرورة المقاومة أولاً، ثم
الانفعالات السياسية في امتصاص كل شيء. وعندما حرج لتركيب منتصر
من هذا الصراع وساد الهدوء من حوله، لم يستعمل هذا الانتصار إلا في القضاء
على العكر

يتميز القرن الثامن عشر بأنه تعاقب فيه حكم خمسة دايات؛ منهم اثنا
بوكمية وصالح، حافظاً على السلطة لفترة دامت لأكثر من عشرين عاماً لكل
واحد منهما، وجميعهم انتهى بهية حسنة ما عدا آخرهم وإد قارنا هاتين
الحقيقتين إلى ما حدث مد صالح باي وحتى الخاج أحمد؛ حيث أنه خلال
فترة أقل من خمسين عاماً توالى تسعة عشر داي بقي معظمهم بهية شبيهة؛
سننتج أن القرن الثامن عشر كان بالسة بسلطته أحسن فترة لسياسة
انتركية؛ فخلاله كانت الأقل صطراً، والأقل دموية، والأقل قسراً؛
لأن حماط على سلطة لمدة طويلة في ظل حكم استبدادي وتعسفي، مثلاً
كان الحد في الرصدية السابقة، دليل وصح على سلطته مستقرة وإدارة حنة
ولاحظنا في هذا القرن، عادة فتح بعض المدارس، وتسجيل أسماء
عدد كبير من العائلات في دراسة نسحو والقابول، بالإضافة إلى عائلتي بن
نقشون وبن ناديس، اللتين طالا شهرة بالدراسة العلوم؛ نذكر عائلة بن عبد
الجيل أو بن جلول التي، مد عهد الخاج عباس صديق بيسودل إلى يوم
هذا، لم يمتأ أن يكون بمثابة مشتلة لباش كُتّاب والقضاة، وأسرّة مسعود
العجيسي، وأسرّة محمد بن علي، وأسرّة الشخ رادي، وأسرّة بن وادهن،
وأسرّة عبد القادر الراشدي، وأسرّة مسدي علي الوبيسي، وأسرّة سيدي
عليها لا يسر بل صريح وواضح بلانها سريه وقد أودر استك في خطبه معه، بأن الخمسة
من شهر ما يوم ما ناهج ما قد دعت صاحبها إلى حدة في كديه بريزة ادعى فيها تعداد در
لعمدهم ندي سكن وموغة في حالة دلفر صريح

إبراهيم الصرامي، وأحراراً كان لجميع أفرادها شرف العلم إن محنة
التجديد التي قام بها صالح باي في دراسة الأدب كان بإمكانها أن تكون
حصّة وطويلة الأمد إذا دعمها ودفعها لأحقّوها، ولكن الأمر لم يكن كذلك؛
مساعدة الاحتفاظ كانت قد حان، وجميع الجهود الشخصية كانت عاجزة
على منع الحياة الثقافية في شعب لم يترك له الاستبداد حرية غير تلك المتعلقة
بموقع ما عساه أولاً، ثم الثورة بعد ذلك حتى لا يُسرَّ أكثر.
هذه قائمة لمبات الدين حكموا قسطنطينة خلال العزتين الأولى من
تاريخها

الفترة الأولى

من 1529 إلى 1567، سجن اسماء اقباد والولاة الدين كدوا على رأس لقيادة
رمضان باي تشولاقي، 975 هـ 1568 م
جعفر باي، التاريخ مجهول
محمد بن فرحات، قتل تحت أسوار بونة (عمانة) في 1016 هـ 1607 م
حسن بي، توفي بالطاعون في 1031 هـ 1622 م
مراد باي، 1047 هـ 1637 م
من 1639 إلى 1647، فرضي وثورات

الفترة الثانية

فرحات باي بن مراد باي 1057 هـ 1647 م
محمد باي بن فرحات، 1063 هـ 1653 م
رجب بي شهر ربيع الثاني 1077 هـ أكتوبر 1666 م
خير الدين باي، 1083 هـ 1672 م
عبد الرحمن المدعو دالي باي، (10-20 صفر 1087 هـ)، 20-30 أبريل 1676 م

عمر بن عبد الرحمن المدعو باش آغا باي. 1090 هـ، 1679 م
 شعبان باي. شهر دي القعدة 1099 هـ سبتمبر 1688 م
 علي خوجة باي. 1104 هـ 1692 م
 أحمد باي. 1112 هـ نهاية 1700 م
 إبراهيم باي العليح. 1114 هـ 1702 م
 حمودة باي. 1119 هـ 1707 م
 علي باي بن حمودة 1120 هـ 1708 م
 حسين شاوش باي. 1121 هـ 1709 م
 عبد الرحمن باي بن فرحات. 1122 هـ 1710 م
 حسين المدعو دنقرلي باي. 1122 هـ 1710 م
 علي باي بن صالح. 1122 هـ 1710 م
 كيان حسين باي المدعو بوكية. 1125 هـ 1713 م
 حسن باي بن حسين المدعو بوحك. 1149 هـ 1736 م
 حسين باي المدعو زرق عيسو. 1167 هـ 1754 م
 أحمد باي المدعو القلي 1170 هـ نهاية 1756 م
 صالح باي بن مصطفى. 1185 هـ منتصف 1771 م
 إبراهيم باي المدعو بوصبع. حكم ثلاثة أيام

من 28 دي الحجة 1206 هـ إلى 2 محرم 1207 هـ

17 - 20 أغسطس 1792 م

صالح باي للمرة الثانية من 2 إلى 5 محرم 1207 هـ

28 أغسطس إلى 1 سبتمبر 1792 م*.

* حسب هذه اللائحة يكون صالح باي حكم للمرة الثانية لمدة ثلاثة أيام فقط، غير أن رواية
 ديسات المعولة عن شيرينو خلال سرد الأحداث تشير إلى أنه حكم حوالي عشرين يوماً قبل
 أن يُقتل في 16 محرم 1207 هـ حسب المخطوط العربي المعتمد عليه (المترجم)

الفترة الثالثة والأخيرة

من 1792 إلى 1837

حسين باي بن حسن باي بوجنك

1207 إلى 1209 هـ، 1 سبتمبر 1792 إلى 30 يناير 1795 م

لقد انتقم اس بوجنك لمساء الطويل انتقاماً مصاعماً، وذلك بالقضاء على مصطله، وتولية السلطة، وبمجرد تسلمه لمقاليد الحكم، عمل على إساءة محكوميه بفسوة التي ميرت السنوات الأخيرة من عهد الباي صالح بكونه د طبع متسامح، استطاع في فترة قصيرة أن يصمم إليه جميع الأطراف. وبدون أي تغيير قام باستدعاء جميع الرجال القادرين على مؤاررته. وعيه، وتشكيل المحر؛ لم يتردد، على عكس ما دأب عليه سابقوه، في إبقاء في ماصهم الموطمين الذين أدوا كفاءة تحت حكم صالح باي، فقد أوكل وظيفة الخليفة لمحمد الشريف؛ والد آخر بابت قسطنطين، وقائد الدار لرصوان؛ الذي كان يشغل هذا المنصب في عهد صالح باي،

1 بعد لعب هذه لشخصية دوراً بالغ الأهمية في تاريخ قسطنطين؛ مما يجعله يورد هنا هذه السه صها كي تركها ل أحد معاصريها

كان يقايد رصوان رحمه الله - طويل القامة، ذا شرة بضاء عمرة ولحية بيضاء وكان يصع ررة (وهي حمة محله) مثل المنقب

كان يدا يا كثير لدمائة والجلم، نادراً ما يعاقب، ويعص الطرف عن الأخطاء الصعبة وفي هذا الصدد، يروى أنه عندما كانه خارجاً من العصر ذات يوم، وجد أحد الفسجية (أورجل شرطة) وقد سرق قرية مملوكة بالسمس، وحبسها تحت برنوسه والسوء حظه، كان جرة من القرية مكشوقاً أدرك الفقيه رصوان الذي كان سير خلفه؛ بأنه كان يحمل شيئاً صروقاً، فاكصى بإسداك برنوس الفسجي على آخره لكشفه وتلا له: أهرب قبل أن يكتشف أمرك شحص آخر - - وتروى عنه كثير من الطرائف الأخرى التي تثبت مدى طيبه وحلمه

لقد شغل وطعه قائد الدار طيله فترة حكم صالح باي، وتم الإبقاء عليه في منصبه من طرف

وعُيِّن في منصب باش كاتب كلاً من بن حلول وبن سلامة، وعيِّن من ركري باش سيار، وأوكل وطيفة باش سايس لمردي آخر من هذه العائلة بعد ستين من الحكم الهادي المكرس أساساً لإرساء السلم؛ أصيب الـاي بمرض خطير حرمه من استعمال ساقبه لدرجة أنه لم يعد يستطيع ركوب الخيل، وذلك من يقول أنه فقد صوابه وأياً كان مرضه؛ فإنه حوكم في محكمة مدينة الجزائر بتهمة ارتكابه جريمة عظمى في هذه الأثناء كان الـداي باب حسن على وشك قطع علاقاته مع فرنسا التي كان يمثلها لديه حينئذ السيد «البيير» فبعد التراعات التي نشبت بينه وبين قصصاً، أطلق العنان لواحدة من بوابات عصيه ليعيب؛ التي يذكرها تاريخ لإيلة الكثير من الأمثلة عنها، وأرسل أمراً بوصع حيد حبة الـاي حسين وأخذ لمُضيف وحُق في سجن لقصة برقد جثمانه في جامع سيدي الخضر، بحاص قبر والده، وقد نُقش على شاهدته قبره العبارة التالية:

توفي المرحوم بكرم الحي لقيوم المعظم السيد
 حسين بك ابن المرحوم السيد حسين بك يوم
 السبت التاسع من رجب الفرد
 سنة ١٢٠٩

اتوافق ليلة الجمعة إلى السبت 30 يناير 1795

السابات الثلاثة الذين جاء بعده، حيث عُرف بالبره والبراعة في الشؤون الإدارية ثم قام عصيان باي بمره عن منصبه بيوكله محتاج أحمد بن بيص، ولكن عد الله باي الذي جاء بعده أرجعه له، غير أنه لم يحتمل به طويلاً

توفي بعد عام من اسهء مشواره عن سن متقدمة جداً، وذُكر في الرواية التي كان قد بناها في شارع بواغين (أو اسراجين، la rue Buec حالياً)

مراً على قبره هذا قبر المرحوم العقير بن مولاه رضوان حوحو فايد لدر

توفي في رجه الله الحي لقيوم سنة 1220 H. ١٨06 ع

بعد هيب ذكره عابده عند جوانه، ومارال سمه إلى سوم مر دهاً لحاكم الحاكم النعي
 1 يذكر شيربون وفه هذا الباي بطريقه محمده
 انظر ١٠١٢٩ / 1896-57

حسب لفصل في ساء قصر دار ساي؛ اندي كان مفعراً من حاءوا بعده حتى الحرج أحد فهذا الصرح دو انساء الصرحم تحتل إلى ابيوم مكناً واسعاً بين شارع «روو» (Rouaud) وشارع «كرم»؛ رغم أن الحرة الذي كان يشكل مظهره فوق هذا الشارع الأخير قد اندثر منذ زمن طويل ويسعمل هذا المبنى لأن كمر قد تصاطط، وأنسدت إسطوانة للصباحية؛ فهي تحتل محارن لمعسكر حرة، لقصر لذي يسمى الدريسة؛ حيث كانت تقيم ساء الساي.

ويعود له الفصل أيضاً في نغم الحرس المسمى القنطرة؛ الذي توقفت به أشعب ابرميم انتي بشرها سبقه، كما رأينا، بشكل مصححي بسبب وفاته. ومن أجل إتمام مشروع صحم كهذا عن أكمل وجه؛ اتخذ هذا الأمير الإحراء لماسب نوا أن سوط أخلا دم يات هل أو نه ليضع حداً لوجوده.

بوفته تركه حسين باي ولداً يسمى حسوية؛ ارتأى أن يوردها بيتها، المأساوية رغم وفوعها بعد وفاة والده صنع سوت، ونجديد في 1799 وبث بقلها كما وردت في مخطوط سي محمد اسانوري

في أحد الأيام، استغل امر بط الشهير سيدي أحمد لرواوي الذي كان قد تعرفنا على معمراته محارقة؛ إلى صبعته في نارلة عربي شطنة¹ وفي طريقه التقى لشاب حسوية عتداً من أملاكه في مرشون² كان الشاب حسوية قد رأى شبح من بعيد فدخل، وتقدم تحتته. إن تارلاً كهذا من صرف هذا الشاب اسدفع ضاهي بأصه وبالكافة اربعية التي يشعلها وانه؛ يمكن أن يصيب بالدهشة إذ لم يكن يعرف مدى الاحترام لذي يكنه اسمون هؤلاء لأولياء الصالحين.

برؤية ذلك مسهر، وثنتت انهرس التي كان يصنطها الشبح وثنةً مفاجئة كادت أن تُسقط راكها أرضاً، ولكن صوت السيد سرعان ما

¹ شطانية جنس يقع على بعد 8 كم جنوبي غرب فسطاط، ويمتد إلى عابه ركنو من الزمان
والتي هي على طرفي سطاف موحدة به بعدد من الأثار الرومانية ومقاعد الحرس سارده

² مرشون: أو المرشع على بعد 8 كم جنوبي منه، وبالسجدي بعد ما يسمي لجاء الذي يسمى ساردين
وله المدينة

هدأها. وأدبرت حسونة منه، ثم أمسك بحذل بروسه ووضعها فوق رأسه تعبيراً عن احترامه له، ثم قال له. «سيدي، أوصني. خلصني من مكثد الأشرار»، فأجاب الشيخ. «عليك، يا بني، أن تتجنب أمرين اثنين تتوقف عليهما سعادتك أو شقاؤك» - وما هما يا شيخني؟ - عليك ألا ترتدي بروساً أسوداً أنداءً، وعندما تقصد سيدي مبروك²؛ اذهب بقلب طاهر مليء بالوفاة المحسة، ولا تقم بأي فعل يدعوك للحجل لاحقاً؛ لأنك إن استمررت في اتاع الهوى، فيرمي بك في أهواء³

وللأسف، لم تكن سوءة الشيخ إلا لتصدق فسرعان ما سبي حسونة بصانعه الحكيمة؛ حيث أنه لم يترك ارتداء البروس الأسود، كما استمر، كما في السابق، في التردد على سيدي مبروك مع بعض العشاق أمثاله؛ ليعموا في ممدت الخمر والنساء وفي أحد الأيام أفرط في الشرب ودفعه فقدان عقله إلى إسكار فرسه وفي طريق العودة إلى المدينة، وبوصوله إلى طرف جسر القنطرة، وحر داته شديدة لكي يجعلها تقهر وبمحرد ملازمة الشوكة لها؛ فمرت لدانة إلى الأمام وهوت بصاحبها في الوادي؛ فهشم رأسه على انصحور، ومات على فوره نُقل جثمانه إلى تربة* جامع سيدي خصر؛ حيث يرقد أفراد آخرون من أسرته، ويُقش على قبره المقطع التالي

أيها الرائر، توقف واطلب الرحمة لو سعة من الحي القيوم لهذا المرحوم

هو يرقد حسن الذي لم يفقد شبابه، كان شاماً فضلاً عمره ثلاثون عاماً

توفي يوم الجمعة من عام ١٢١٤ هـ (1799م)

1 الثياب السوداء رمزٌ بغير العباسيين، كان يُفضل ارتداؤها عن البهاء من طرف الشباب العشاق؛ الذين كانوا يستطيعون الركض بها في العمة خلال معامراتهم الدينية دون حشية التعرف عليهم

2 سيدي مبروك قرية صغيرة على مصبه المتصورة، كانت في الماضي متنى شات فسطية.

3 يتضمن جواب الشيخ هذا جانب ليس من الممكن التعبير عنه باللغة الفرنسية، ولكن يدرك البعض عندما يعرف أن كلمة هوى بمعنى المندبات والشهوات تقرب من كلمة أهواء التي تعبر بمعناها الجاري من خصوصيات المدسة؛ ويُقصد بها هاوية فسطية. (المرحم)

** هذه ترجمة للمسحة العرسية المنعولة عن نسخة العربية الأصلية.

مصطفى الورتاجي

1209 إلى 1212 هـ، فبراير 1795 - يناير 1798 م

إن من خَلَفَ حسين كان مصطفى الورتاجي (صاحب البارود)؛ وهو
اللقب الذي أطلق عليه كذكرى لهفته القديمة يحمل حاتم تاريخ 1209
(1795 م)، مع عبارة: مصطفى بن سليمان.

كان تركيا مولوداً بمدينة الحرائر، وقد كان دياً للمدينة لمدة عشرين عاماً؛
وهو ما كان مثلاً قريداً في تزيح هذا الديك ويعود له الفصل في حارة
معظم أراضي الدولة في التيطري وعندما جاء الأسبان في 1795، كما رأب
سابقاً، وقدموا بإبرال قواتهم بقيادة الإيرلندي «أوريلي» بالقرب من مدينة
الحرائر، وصل على رأس قوة من عشرة آلاف رجل، وأظهر شجاعته كعادته
إلى حد المخاطرة، فاهم في النصر بقدر كبير.

بن تسميته باباً على قسبة لم تكن بالنسبة إليه سوى فرصة ماسية
لإبرار مرآيه الطبيعية؛ التي مضجت بتجربة الطويلة للرجال والأمور.
لقد ظهر إداً في منصب قيادته الحديد كحاكم صارم ومقاتل شجاع،
ولكن مقاتلاً ناعس قيمته بكمية الدماء التي يريقها.

استفد مع شخصاً يدعى الحاج حميدة، وكان رجلاً صعب المراس؛
أسد له مهام الباش كاتب وعي في منصب الخليفة «إجلير»؛ الذي سوف
يخضع لاحقاً كباي، وأسد منصب آغا الدائرة لن فرينجي، وقايد الدار
لرؤوان؛ الذي كان يشغل المنصب نفسه، وتقلد أشخاص عرباء عن الإقليم
بقية المناصب.

رغم سبه المتقدمة؛ استطاع الورتاجي أن يجعل كامل الإقليم يشعر
بقوة قصته الحديدية ولقد وحه هجمات أساساً ضد الحايكية الذين كانوا
مستعدين دوماً للعصيان إن «نهاب أوخير»، الذين يحكم موقعهم البعيد
عن الحدود التوسية بقوا مستقدين، كانوا أول من تعرض لمظاهر روجه
القتالية حيث أنه عزاهم، وسلب مدينتهم، وتوغل حتى إلى المائة وهدم بها

عدة بيوت. ومنها توجه إلى قبيلة رردارة التي أحد مها كل ما أراد، ووضع على رأسها الشيخ الأكحل.

من الشهر انتقل إلى الجنوب، وأقام معسكره على سهل راة عدد أولاد بوعوب من أجل محاصرة الحسانية الذين لجأوا إلى قمة جبل مستوية فقد كانت مقاومتهم يائسة، فبعد خمسة عشر يوماً من القتال العنيف، استطاع أباي أن يقيهم في مخيمهم؛ حيث أصرم النار وحل كل من وحده فيه ولكن هذا النصر كلفه غالياً؛ فقد أيد مشاته وقومه لدرجة أنه طيلة القتال كان على رجاله نقل الموتى كل يوم في شاك حتى لا تقع حشهم في أيدي أعدائهم الشرسين.

وش أيضاً عارة على أولاد سعد الذين يسكنون الأوراس، وقطع رؤوس أهم فراد أولاد سي ررارة؛ العائلة المراتبية داخل القبيلة المتمردة وأخيراً شن حملة أخيرة على أولاد موسى من قبيلة العشاش بالقرب من باتنة؛ فكبدتهم خسائر كبيرة في الرجال، وحردهم من قطعاهم. لقد كانت صرمانه قوية وحصانة لدرجة أنه في وقتٍ وجيز تم إخماد كل روح تمردية شكل قاس وسمح العرب، الذي توحى به أسدته، ببطء الهيمنة التركية على كامل البلاد، واستخدم سلطتها لتحسيس السكان المهرومين باستبداده المقيت.

مد ذلك الحين، لم يعد هناك عدل، ولا حماية للأشخاص؛ حيث تحت إرادة الحاكم محل كل شيء. فلقد سبق وأن ضرب بلاط الخزانة في هذا فورة الشا ببا محمد؛ سقطت السلطة في أيدي عسكري غير مصطنع، فصارت غريسة تتنازعها الدسيمة والوفاحة. ولقد اعتمد البايوت هذه العوصى ليستغلوا نوعاً ما كل بإفليمه، ولو أنهم اسمرروا في دفع اندوش كما في السابق، فإنه يجب الاعتراف بأنهم كانوا يمارسون الحكم بطريقة مطلقة طال كانوا متمسكين بسياسة الإقطاع المحيطة.

لقد كان حكم الوريثي، إداً، كسيد يعرف كيف يهرص الخشية، وفي الوقت نفسه كان يتدخل في سياسة الإدارة؛ وذلك على النحو الآتي

إن بدأ احتلال «تولون» (Toulon) من طرف أسطوري إنجلترا وإسبانيا قد دعم فعدا الثقة في الفرنسيين، وطمان الناس بما حسن بعد المحاولات التي سبقتها النجاحات الأولى لجيوشا الجمهورية. وشاطر باي قسطنطين رؤية مولاه، فرقص تمويش شركة إمبريقيا في القالة بالقمح خلافاً للاتفاقيات المبرمة سابقاً، ولبي صادق عليها بما حسن لدى انتحابه، وهو الأمر الذي يمكن اعتباره تصرفاً عدائياً.

وبكر هذه المحاولة لم تدم طويلاً حيث أن حبر انتصارات «دوموريي» (Dumouriez) على الحدود الهولندية حول الرأي العام لصالحها، وأصبحت العلاقات أكثر انفتاحاً من أي وقت مضى واعتمدت قنصل العرصة بارسال عدة شحنات من القمح إلى مناطق جنوب فرنسا التي كانت تعاني فترة جفاف وجماعة هي الأشد على الإطلاق.

ومع ذلك، فإن الاضطرابات المتتالية دون انقطاع التي سبقتها قوى أوروبا المتحالفة ضد الجمهورية؛ لم تكن تسمح لنا بدعم مؤسساتنا في القالة التي أفسدتها مذبحة المصارف الإسبانية المستفزة في وهران منذ 1792 ورؤية لورنسي للوكالة على حافة الانهيار، حطرت عنها مرة أخرى التمويش بالقمح وبكر مد الصرف لتتأخر مع الاتفاقيات، لم يكن إلا في تسريع سقوطه لفصل فرنسا، «جان بون سانت أندري» (Jean-Bon-Saint Andre) الذي حذب «ولير» كان قد شكاه إلى ما حسن، وبعد بضعة أيام جاء الأمر إلى قسطنطين بقتل أبي. وانتهى الوردنسي تخوفاً بعد سنتين من الحكم، وعُيِّن العجير باي لخلافة.

أحبنا المتوفرة عن صربيه العصور، والتي كانت مودع في محارم خراج مطية، كانت تستعمل لإطعام الجنود خلال الحملات، وأحياناً تُباع للمقاتلين، ولكن معظمها كان تـهـبـة بـصـدقـة حيث أن جـد مـوـه، القالة (وهم يمثلون الذي في هاتين المدينتين) كانوا يبيعونه للمتعاظمين الأوروبيين.

الحاج مصطفى إنجليز باي

1212 إلى 1218 هـ، جانفي 1798 - مايو 1803 م

يحمل حاشية الحاج مصطفى باي بن حسين، ١٢١٢

كان الحاج مصطفى، التركي الأصل، مستقراً في قسطنطينة منذ سنوات طويلة قبل أن يستدعى لقيادة الإقليم. أُطلق عليه لقب إنجليز لأنه كان قد أُسر في شبابه من طرف سفينة إنجليزية، وقضى بين عشرة واثنتي عشرة سنة في إنجلترا، وحسب رواية أخرى أورددها حفيده: فقد تم إطلاق هذا اللقب عليه فقط بسبب طبعه الماكر الذي يشبه طبع الإنجليز؛ وهو ما لا يبرهن حيرانيا وراء المائش. وإن استعماله المتكرر للسم، من أجل استحصان من أعدائه، يفسر شكك واضح صفة الماكر التي سمع عن التصاقها به.

وعلى كل حال، فإن الخدمات التي قدمها لإدارة صالح باي، ولقدرات التي أظهرها في عدة مناسبات، ومعرفة بكمية بتسيير الأمور؛ كانت كافية ليقع اختيار الشايع، ففقت تسميته ترحيباً كبيراً.

ومن جهته، لم يخيّب إنجليز باي الآمال التي عُلفت عليه عند تعيينه عمل على إردھار العدل والسلم وبوجود الثقة؛ لم يتأخر سرخاء عن العودة من جديد، فالصمام أصبح رخيص الثمن بدرجة أن صاع القمح لم يكن يُباع سوى بقيمة فريك واحد¹.

ومعد ذلك الحين أصبح بالإمكان الاعتقاد بأجل أيام حكم صايع باي؛ الحكم الذي اتخذه كمودج. فكلّ كان يتمتع في سلام شجرة عمله لم يكن الغني قلقاً في ملذاته، وكان بإمكان الفقير، بقليل من المصاريف، أن يؤمن

1 صاع القمح يساوي في قسطنطينة 160 ذراً

2 أدب بالعصل الخليل بن عبد الحميد في تزويدي بعدد كبير من الوثائق الأصلية التي ساعدتني في تحديد شكل دقيق، تواريخ بعض الأحداث؛ بالإضافة إلى تواريخ تعيين وسقوط العديد من الباشا موصوع هذا العمل في أسفل أحد الوصولات التي يظهر فيه حتم إنجليز باي؛ يمكنني أن أقول بأنه في يوم

من الأيام الأولى من شوال 1217 (أواخر يناير 1803) سلم القايد عمار بن شريف لجار بونه 1008 صاعاً مقابل 1000 ريال، وهو ما يؤكد ما ورد أعلاه

طعاماً صحياً ووفيراً ولكن للأسف، لم يكن هذا، بوصف أن يستمر طويلاً؛ فالصعب الأتوبي ضيّع كل شيء، كما سرى لاحقاً.

إن الحدث السياسي الوحيد الذي طبع حكم هذا الباي تمثّل في قطع
سلام بين الجمهورية لفرنسية والإيالة بعد الإبرال الذي قام به الفرنسيون
في مصر تحت قيادة الجنرال «بونابارت» (Bonaparte)؛ استُفّر الباب العالي،
فأرسل أمرٌ مستعجلٌ من القسطنطينية إلى داي الجزائر بإعلان الحرب على
الجمهورية مقام الداي، المرغم على لطاعة، باعتقاد الفصل وجميع الفرنسيين
لدى كنوا في هذه المدينة ومن حاسه، وتعليقات من مولاه، أرسل، بجليز
باي إلى بونة التركي براهم شوشو للقصص على المدبوس الفرنسي؛ الذي نُقل
إلى قسطنطينية، وسُجن في البيت المسمى دار التوسني الملاصقة بشبكة الصابجية
سابقة. وفي الوقت نفسه، تم هب وتخريب المؤسسات التي تديرها الشركة
الإفريقية في انقالة واستمرت حالة العداء هذه نجاه مواطبي حتى إبرام
نقدية سلام، سنة 1802، بين مصطفى باشا باسم الإيالة، و«دوبوانايفيل»
(Dubois-Thaurin)؛ فكيف شؤون الجمهورية باخراثر.

الموظفون السامون لدى بجليز باي كانوا كالاتي محمد، ابن صالح
باي، في منصب أخليفه؛ وقد توفي باسم كان قد وُضع له في القهوة، وحلفه
عليه الأس الأكبر للباي، ورضوان في منصب قديد لدار، ومحمد بن جلول
وكونشوك علي في منصب دشر كاتب وتقلد منصب آغا الدائرة؛ محمد بن
مرحي الذي توفي مسموماً أيضاً، وبعده بلقاسم بن لعكي؛ الذي قصي هو
وسه في إحدى البعرات، وحلفه دحمان بن زكري، بالإضافة إلى أسماء هذه
الشخصيات بحسب ذكر ثلاثة آخرين كانوا قد تقلدوا منصب شوشو قبل أن
يأخذوا مقاليد حكم الإقليم؛ وهم أحمد طوبون، ومحمد تشاكر؛ الذي كان
مكلفاً بقطع الرقاب، وقررة مصطفى.

لم يشارك الباي بجليز في أي واحدة من العروات التي حدثت في
عمره فجسمه المريض والمتعب لم يكن يسمح له بحمل عبء الحملات

السعيدة سبياً عدا هذا، فبن الحملة الوحيدة التي تسحق لحديث علي هي تلك التي شنت ضد أولاد علي بن يحيى العوامي عند الحاشية؛ الذين قتلوا شيخهم وغردوا. وقد كان مصير القواب الأولى المرسله ضدهم فساداً بنفسهم بن العكي؛ آعد الدائرة المريعة، حيث لقي هذا الأخير حتفه وكذلك ابنه ثم جرّدت حملة ثانية بقيادة سي عمار بن شريف؛ فلم تكن أحسن حظاً فبعد تعرضها لحسائر كبيرة؛ أرغمت على الانسحاب. وباستفادته جمع الوسائل، فكر الباي في تأليب القبائل المجاورة ضدهم؛ وبالحصول من يده أولاد سي يحيى بن طالب التي كن على رأسها الشيخ بوس؛ وهو رجل ذو شعبية وقوة كبيرة. فقام بتلبية بدائه، وهجم على الحاشية؛ فقتل رعيهم أحمد بو عزيز وأخاه وكذبل على النصر؛ أحد معه إلى قسطنطينة رؤوس مع من قُتلوا في المعركة وهذا أحدث الانتفاضة، وعمّ الهدوء في البلاد مرة من الزمن.

هذا النجاح الذي تحقق بعد فشل مضاعف؛ لم يكن ليضيق للباي ندى ناشأ الحرائر؛ باعتد أنه لم يكن مستحقاً، وبذلك يكون قد فقد ثقته كن لإيجيز باي بما يدعى علياً جعلته عشة حباته الشخصية بعضاً من طرف جميع الكور فاعتماده على حداد أبيه الأعمى، ووثوقه من عدم العقاب؛ لم يكن يتورع عن فعل أي شيء ولا يذكر في هذا الصدد إلا مثلاً واحداً يوضح لنا، في الوقت ذاته، مدى السلطة التي كن يمارسها المراقبون على أتباعهم وقد أحادها هذا من كتاب سي محمد البوري

كان أحد الحشيشين (مدحجي الحشيش) في قسطنطينة يملك عدداً من العادل التي تُعزّد شكلي بأمر الألبان، فشعقت الشاب علي الذي طلبها من صاحبها، ولكن هذا الأخير رفض التخلي عنها مهما كان الثمن ولم تكن المحاولة الثانية ولا الثالثة أنجح من الأولى؛ فعصب الشاب عصياً شديداً،

1 نحن نعرف مدى حب الحشيشين (الحشيشية) للعادل، وهو بينهم صيد العادل ليلاً ولا يوجد في قسطنطينة مكان بالنس لإسكافي لا يُرى به بعض بصم واحداً أو أكثر من أماندة من العادل هؤلاء مع أن أولئك العمال المزماء لا يمكنهم ملاك هذا الطرف الشرقي إلا مقابل الثمن معتد سيب فالعادل جيد التدريب يمكن أن يصل سعره إلى ما بين 100 و150 ليرة

والع في إرعاج والده حتى تلقى من عوه تنارلاً وأمرأ بإعدام هذا الشخص
لعد ومن أجل الإفلات من هذا الحكم الجائر؛ لحأ الحشايشي الناس،
ومعه عصافيره التي كانت سبب مصيبتهم دون أن يرتكب أي ذنب؛ إلى تارة
قصد بيت شيخ الرووي، وروى له سبب هروبه. وبعد سماع القصة أمره
سبعين أفضاه على أشجار حديقته، واستضافه في بيته ليكون له ملجأ مبعأ
بعد بضعة أيام خرج ابن الساي مصحوباً بخدمته في رحلة صيد في تلك
المنطقة، فأبى لمروء من هناك دون أن يزور الرجل الصالح وبرؤيته من
بعيد، هم هذا الأخير بالدخول إلى برجه (بيته الربيعي)، وقرر عدم الخروج
إلا بعد أن يتأكد خدمه من حسن نوايا الرائر السامي. كان لاستقباله فناء،
وبكم كان لائقاً؛ حيث قُدمت الكسرة* واللس، فناولها الشاب الذي فتح

سيرة شهيته، بهم وتواضع كبيرين وعندها خاطبه سي الرووي

- يا ابن الساي كيف تحرق أنت وأهلك على كل هذا لظلم؟

- أي ظلم؟ استفسر علي متعاجلاً.

رد عليه شيخ بصوت علط - هناك رجل يمسك عصافير يحبسها أكثر
من أي شيء؛ أردت أن نأخذها منه عوة، ولما لم يستجب لروتكها؛ خكمت
عليه بالإعدام ولكن الله الذي يحمي لصعيف ومظلوم لم يشأ أن يُعد هذا
الحكم انقبت، وما هو الرجل ينفق أسامك وكان احتياشي مكتاً على
حائط في تلك الحجرة

فدل عبي متعشاً ومتحججاً - ولكي عرصب عليه شراءه، فرفض

ثم هرب. هذا هو جرمي.

- لا تلاحقه إذاً من أجل رفضي هو حر فيه، وعليك أن تقسم لي ألا

يسقه أي أدى.

- لأحدث أقسم ولن أقول له شيئاً

طأطأ شيخ رأسه، فأوماً لشاب الحشايشي بأنه سيلقيه في قسطنطينة؛
معتقداً أن شيخ لا يراه وفي هذه اللحظة رفع الشيخ رأسه بسرعة متعجلاً

* الكسرة: نوع من الخبز التقليدي.

صبيعه وعلامة التهديد ما زالت مرسومة على وجهه، وصباح فيه قسم كذب
أهكذا تهي بيمينك؟ حس، سترى كيف أتصرف مع أمثالك

رفع يديه إلى السماء، ثم وضعهما على بطنه على عدة مرات، متمتعاً ببعض
لكلمات، ثم تصرف وسرعان ما انتفخ بطنه بطريقة عجيبة تشبه السحر،
ثم تبعت ذلك ألأم شديدة في الأمعاء، لدرجة أن الخدم الذين شهدوا هذا
الموقف أسرعوا إلى سد المكان باحبر حالة ابن البدي الذي يشرف على
الموت فصاح الشبح عاصباً - فليتب! ابن العرطاس* الذي يجعل معه
العساد والعوضى

وبكى أمام نوسلات الخدم وافق على وقف أثر عصه بعدل دخل إلى
الحجرة التي بها المحتصر، وقال له احمد الله وتب عما فعلت فوعده عبي بكل
ما طلب منه، ووضع المراتب بده الماركة من حديد على بطنه، فشمي من نوة
وبعد ذلك ركب الخشاشي، ومعه عصافيره، على بعدة من الباي دات
الشرح الخميل، بينما نعه صاحبها شيئاً على لأقدام ووصوها إلى أبواب
قسطية، لم يكتب على بإعداته مطية، بل اعتذر منه مرة ثانية متأثراً بعقوبة
انقاسية التي سبها عليه المراتب

لقد كان اسررس قاسياً في تحقيقه الامر، غير أن سانه كانت قصيرة
الأمم فأهواؤه المعبة التي لم تشجع سوى عجزه أب أعمرى، سرعان ما
طعت على عقبة هذا الأسرر العاسد واحبث فالنوصي والمصايفات التي
كان يحدتها وصلت إلى درجة إثارة الناس؛ حيث ارتفعت الشكاوى من كل
مكان حتى بلغت آذان الناشا وسر عرل الأب البدي لم يستطع وقف أخطاء
اسه، واستدعي إلى مدينة الخرائر بعد سنت منواب من الحكم ولم يتمكن من
الحفاظ على حياته سوى بفصل أصدقائه الكثر داخل الديور ولكنه لم يكن

* العرطاس: كلمة عديمة حرارية تعني الأقرع

في هذه القصة العجيبة لا يوجد ما يدعو للدهشة، فما تعتبره العامة، في الغالب، معجزة ليس
بالسبب لملاحظ سوى حيلة أو خدعة فمن لا يعرف خصائص بعض الأعشاب واستعمال
كثيرا من مفر؟ وهل يسكنها امراض، دون الشكك في سمها الرحل صابح، أن يكونا لبن
الطباقة مروجاً بمزارة العصب؟

يخس بالأمان في الحرائر؛ مما جعله يتقل بعد فترة قصيرة إلى تونس في بلاط حورده باشا؛ الأمر الذي كان أحد أسباب الحرب التي سرعان ما اندلعت بين لإيلتين، كما سوف نراه لاحقاً.

عصمان باي

1218 هـ مايو 1803 م

يحمل خاتمه: عصمان باي بن محمد، ١٢١٨

كان عصمان، منقب بالأعور، كرعلي المولد، ذ نية صحمة وأسعر اللون بدرحة أن يُعتقد بأنه رنجي أنوء هو محمد الكبير؛ لذي استرجع مدينة وهران من الأسبان في عهد حسن باشا، وبالتحديد في شهر مارس 1792 . وبخلافته بوالده؛ كان هو أيضاً حاكماً هذه المدينة لمدة خمس سنوات، قبل أن يُمنى إلى لسيدة لمدة عامين (من 1799 إلى 1802) ولما حصل على عفو باشا مصطفى أرسل باياً على قسنطينة.

نظراً لشخصيته الصارمة والمستقيمة؛ كان عصمان يعص الأتراك، لأنه كان عدواً للظلم؛ فكان يعاملهم بدون تحفظ خلال الأشهر الثلاثة الأولى من حكمه أظهر صرامة شديدة إزاء جميع محكوميه؛ فلم يكن أحد يستطيع التقرب منه خارج الوقت الذي يعصه في جلسات القضاء. ولكن سرعان ما ظهرت طيبته وعدالته اللتين لم تأخرا في جعله يكسب محبة الجميع، وكل الرجال انكلمين بتطبيق القانون كانوا مقربين إليه، وكان يحب التحدث معهم مطوّلاً ومتابعة إصدارهم للأحكام.

كان أهم موظفيه؛ الملياي في منصب الخليفة، ومن كوتشوك عبي باشا كاتب، والخاص أحمد بن لبيص فايد الدار، ومن شدرلي براهيم آغا الدائرة، وشين من بن ركري في مناصبي باش سيار وباش سايس.

^٢ انظر حول هذا الموضوع المعلومات التي قدمها «عور عوس» (Gurgus) في المحلة المغربية (Revue africaine n°5, 6, 7 et 8)

لم يبق سوى محملة واحدة كانت ضد الهامشة؛ القبيلة الحدودية التابعة لإمالة تونس، وأراد قيادتها شخصياً رغم بدائته المقرطة. لقد كانت قطعان الحل والإبل التي عظمها كبيرة لم يسبق لأي واحد أن شهد مثلها في عهد البايات السابقين.

ظل الإقليم هادئاً طيلة العام الأول من حكمه فلم تُقم أية ثورة تستدعي إخمادها حتى سنة 1804؛ حيث طهر في حال القنائل بالقرب من واد رهور الشريف المدعو الحاج محمد بن لحرش؛ وهو مرابط من أصل مغربي ينسب الطريقة الدرفاوية. كان قد أظهر تعصبه الشديد خلال العزو الفرنسي لمصر؛ حيث كان متواحداً ولعب دوراً كبيراً في مواجعتها ورحله مع مرافقيه في رحلة الحج على متن سبعة إحصائية؛ نزل في تونس أو في عبانة، ثم قضى بعض الوقت في قسطنطينية. ومنها انتقل إلى جيجل، وبدأ بالعمل لحساب الخاص في مبيد المدينة. وبعد أن كوّن لنفسه أتباعاً من بني والاد؛ رفع راية الثورة. وكثر فريقه بعدد معتبر من الموابين له والحمايلية (الجليلين) المعتنقين ببلاعة العيفة وسوء عود اللهجة التي أثارت طمعهم؛ فصار عوايلاً انصواء تحت رايته. وقدم نفسه إليهم على أنه المحرر المرسل من أسماء لطرد الأبرار، واسترجاع حكم سادة لبلاد انقضاء. وحاطتهم قنلاً أيهما المومنون الحفيقيون ورجاء اسلاح، اتعوي لأسير بكم إلى قسطنطينية فبعد ما أصبح سادة المدينة؛ سوف بيد أمهات، ومستوي على حشهم، وستقر داخل أسوارها ما عليكم سوى سير.

سار ستون ألف رجلي حتى وصلوا إلى أسوار المدينة وبرؤية هذه الحاصرة العنية، جعلهم حماسهم الأعمى يتحيلون اختيار الهوة التي

١. يطلق لقب الشريف على سلاله النبي محمد من خلال أمته فاطمة، وهي البنة الوحيدة المعروفة لها عند المسلمين. وهو اللقب الذي اتخذته الموحدين والكاشان الذين يريدون استغلال الأهواء المضطربة والطموحه لجهايز المستعبد. دوماً يحمل السلاح باسم النبي مرمرة وبريعة وتحريم عن عرصو احتلاله للخطر أكثر من مرمرة من 830، كانوا من هؤلاء المغرورين الذين تحولوا إلى شريعيين.

2. انظر حول هذه الطريقة مؤلف «خزان» لصاحبه الجنرال دوتوفو، ص 147.
Klouton, par le général de Neveu, p. 147.

نقصهم عما كانوا يتصورونه فريستهم، ويحاطون بذلك، شقتهم الساحة،
السكان الذين كانوا ينتظرون بشجاعة من على أسوارهم أولى طلقات
البحر «اعلموا أيها القسطنطيون، هذا الشريف الذي يتقدم بحوكم وبحر
وراءه كثيرون كحشرم البحر، ورهيبون كأكثر الحوش رهبة فافتحوا
بوابكم واستسلموا، ولن يصيبكم أي أذى، ولكن إن تجرأتم على مقاومة
غير محدية للقوة التي لا تقهر، فاعلموا مسبقاً بأن النصر لنا، وحينئذ فالويل
للمعزبين!»

رد سكان على هذا لنجح موقف صارم مشع بالاحتقار، وسرعان
م بدأ الهجوم حيث رحف الحلوون نحو الأسوار من كل جانب مطلقين
ممرجات متوحشة وفي حصص هيجانهم وصلوا إلى أبواب المدينة، وهناك
ارفعهم مدفع وصادق المحاصرس، الذين أخذوا فيهم بحربة رهبة على
مدى عدة أدم وحى الشريف أصب في ساقه بطلق ناري، وتم نقله إلى
الجبال لقد كان يتزعم مدينة قسنطينة، حينئذ، الشيخ سيدي محمد بن لفظون
بمعدة فايد الدار الحاج أحمد بن لبص، في عياب الباي الذي كان مشغولاً
في جمع الصربية عند ربيعة.

حول هذا الموضوع، نجد ما أن ملاحظ، مثلما سوف نراه في بقية هذه
العمل، أنه خلال مختلف الحصارات التي تعرضت لها قسنطينة، كانت
تدبير هذه المدينة دوماً في إنقاذها لشجاعة أهلها فقط، وليس لمادة قادتها؛
الذين كانوا عال عائين عنها في الوقت الذي يحتم عليهم الخطر أن يبقوا في
مركزهم، بها حقيقة تحب لصالح هؤلاء السكان الأوفياء لوطنهم، والتي
فشك من أمامها في مرة أولى، في حين أن النصر كان يتبع رايت أينما حدثا
ولا يتحلف القسطنطيون عن التذكير بهذا الماضي التليد، شيء من الصحر؛
كما أنير الحديث عن حروب الأزمان العارة

نقد كان الدواع مستميتاً ومطماً أقصى بعد نضجه أيام من الحصار غير
المجدي إلى فرار ذلك العدد الهائل من المحاصرس بشكل محمل؛ تاركين
لأرأهم آلاف يقتل والخرحى أما الذين بقوا على قيد الحياة؛ فقد انتشروا

في جميع الاتجاهات، وكما كان سريعاً ظهور هذا الحشد؛ كان القضاء عليه سريعاً أيضاً،

لقد حاول الكتاب المذكور في هامش أن يربط هذه الانتفاضة بالسياسة الخارجية للإيالة بإعطائها بعداً يبدو بالنسبة لنا محل جدال؛ وهو ما لم يُشر إليه أي واحد من الكتاب الذين نقلوا هذه الحادثة في كتاباتهم التي هي بين أيدينا. أما بالنسبة إلينا، فلا نرى في الحادثة سوى انتفاضة بسيطة لمعمورين

¹ وفيما يلي كيف نص وصف ساندور رانج هذه الأحداث

Sander Rang, l'abbau des établissements français annexés, 1840, p. 564

«لقد كانت عاصمة بنيه خراسر مصطرة بالثورات مثلها كان عليه الحال مدورة في أناسها مع مطيع السنة الماضية 1804، ظهر مرامط يدعى الحاج محمد بن خورش، المولود في المغرب، وهو شاب معتم بالسحاغة والحال المتأجج، ومدفع من طرف الإنجليز، وتكرر من إندره قبل جيل جيحلي بإعلان عنه مرسلاً من السياه»

«وبأول الأعيان التي نص عنها هذه التهمة الرئيسية كانت طبعة خلال مواجهة ضد السجيين - عبر أن الإنجليز، كما يقول المرامط، قد حرروا الأرض من ليدس عورده، وقد أمر الله بحسن معاملتهم - وفور تخير سفيه في جيحلي؛ توجه المرامط إليها على رأس ستين بقاء، وهاجم صبادي المرحان البوساه، قتل منهم عدة رجال، وأمسوا على الفم، وأسر أربعة وثلاثين فارساً وقادهم إلى أقالم. لقد جلب هذا الحاج لأوي محمد من يقابل حول هذا المرحال - حيث سعه من 60 إلى 80 ألف رجل إلى منطقة، وحرروا كل ما وجدوه في طريقهم. وحذر المرامط أندره طاك منها الإسلام، وأخذ السكان محبوسين من مصابقات لحماية التركة، تحدث عن فتح الأبواب كان الذي عاتق، ولكن فائدة ساهدا يدعى بن سيفر، صديق مبدي، بولي السلطة وودد حروجا، قتل من 700 و800 رجل، وأخرج المرامط؛ فعنت القوصي بن القليل من أن مسحوا إلى الجبال المجاورة، والنضى عدد كبير منهم بدي قسطنطين شخصاً على رأس بعض العربات؛ فكبتهم خصائر أخرى، ورفض هذه الهزيمة، لم يحسر المرامط جمع أسدعه، حيث جمع عدداً منهم وذهب يحدث اضطراب في بوجي (بجاية) لقد أحدثت هذه الانتفاضة انزعاجاً كبيراً في مدينة الجزائر؛ أراد أعداء فرنسا استغلالها، حيث دُعوا بأن يترسبون هم من كانوا وراء هذه الحركة، وقالوا حتى أن شقيق بالليون كان على رأس المرددين»

2 Les époques mal traitées de la grande Kabylie par M. Berbrugger, p. 17

De la domination turque par Wlasin Esterhazy, p. 204

L'univers pittoresque, tome 7, p. 254, etc.

in l'Annuaire 1814 par M. Berbrugger (Akhhaz, n° du 3 mai 1853) repris en par la

Revue africaine, tome 3, p. 209

• Feraud l'Étude el-Kebir et Calle, tome 3 de la Revue africaine, p. 203

بقيادة متعصب، مثلما نقلت لنا روايات هذه اللاد أمثلة مشابهة أخرى ومهي بكر، فإن عصيان كان على رأس حاميته مشعولاً بجمع الصرية في ساحة سطيف ومع بلوغة حمر محاولة الهجوم التي قام بها الشريف، مدرع بالعودة إلى قسطنطين، ولكنه عندما وصل إليها لم يجد العدو المفترض قتله؛ لقد كانت المدينة حرة وعلى كل حال؛ فقد رأى أنه من واجبه إخبار الباشا بهذا الهجوم، وبالطريقة التي صُدَّ بها المتحصنون ودُحروا.

ثم يتأخر الرد من مدينة الخرائير بعد بعض عبارات الهسه الموجهة للأهلي على الصرامة التي أظهروها في هذه الظروف؛ جاء في الرسالة إلى عصيان «لقد بضك بأن للإفقيس، ولقد طهر الشريف على أراضيتكم، وعليكم الرحمة شخصياً على هذا المتمردين ولا نندم منه لاحظه بلا هوادة حتى تقصو عليه أو نطرده من إقليمكم».

لم يكن لأمر حارم كهذا ليحصل أنه مماثلة أو تمهل فسارع عصيان في جمع ما استطاع من قوت وفرسان، وخرج للملاحقة المتمردين.

في هذه الأثناء كان من الحرش في وادي هور في وصية قوية جداً تحميته خلال كثرة الأشجار وأصوات أبي لا يمكن تجاوزها وبعد تروده في شق الهجوم في حطة معيه، لم يست لباي إلا لشجاعته وشداعته بالعودة لأكادنة التي أعطاها إياه بعض قادة القبائل بتسليمه الشريف شخصياً، وهو تقدم بعد قليل من الرجال، أنقى عند سفح الجبل جميع الفرسان وكامل لعدة، وتوغل على رأس المشاة متنوعاً بعض القطع في المناطق التي

1 ولكن يمكن هذه لرؤية أن تعبر مدشر عديد الوثائق لزميلنا «مير»، وسكان صدق بأن إنجلترا، كثيره الهيجان ضدنا، والمساءلة من معاهدة السلام التي أمضاها نصت «ادورا» «مير» مع ذوي الخرائير مؤجراً، قد دفعته شوره «مير» في انقضاء من حلفاء الخرائيريين ووجه القدر في العمل الهدم والمكامل حول هذه الشخصية الذي نشره «مير» في لجله الإمبريالية، عدد مايو 1869 (ص 211 وما بعدها)، وهو العمل الذي يُعبر، دون شك، الكفة الأخيرة حول هذه القضية التي شعلت عدداً من المؤرخين بسبب الذكريات الحية التي تركتها في البلاد من خلال نتائجها، غير أن الأسباب الأولى لقب بجمهوره لدى جمهور

2 حسب كتاب آخر، لم يتفق سوى الخواب السط «إمار أسك» وإمار رأس بن الحرش

مصدق فيها العدو في نادئ الأمر لم يجد أية مقاومة، ولكن بعدما توغل داخل المنطقة الحدية، انطلقت النيران من كل جانب، وامتلأت فمم الخيل بالقبائل، وحام الموت من كل جهة فوق هؤلاء المكويين الذين لم يكن هم أمر حتى في الاستحباب. لقد تم احتجاز جميع مجري المياه قبل إطلاقها، فجعل الميضان الناتج عن ذلك جميع الطرق على سفح الجبل غير سالكة هائياً. لقد قاتلوا يائسين، ولكنهم هُزموا بالعدد الكبير وبوعورة الأرض. فقصي معظمهم، وتم القبض على الباقي وقُطع رأسه بأمر من الشريف ثم ينح أي واحد من الأتراك الذين كانوا يشكلون الحامية التي قامت بهجوم من هذه المحررة، وفقط القوم الذين بقوا عند سفح الجبل تمكنوا من الهجاء، ومع ذلك تعرضوا لخسائر كبيرة لدى فرارهم.

نصيف إلى هذه التفاصيل ما أورده «إيسنر هاري» (Isenrhazy) «قام القبائل المهتدين بحشيش الباقي بإقامة سيد على واد رهور، وبعد امتلائه أعرفوه به السهل الذي استدرجوا إليه الجيش التركي يسمى هذا السهل، «مهراس»، لكونه محاطاً بتلال عالية. ولما أراد الأتراك والقوم بوبوح إلى ذلك المكان، توخَّطوا في العصار المصنَّع، وقام القبائل من الأعلى بإطلاق النار على كل من يحاول التقدم»¹.

عندما وصل حمر المأساة إلى قسطنطينة، عمَّ الدهول المدينة فكل واحد من أهلها كان يهرب أحداً من أقاربه وبالإصااف إلى الدموع وانتاسفات؛ سرعان ما حل الخوف بشكل حدي من هجوم جديد من طرف الشريف؛ فلم يكن هناك زعيم، وخيرة المقاتلين قد قصت وفي حضم هذا الخوف الشديد كان من الضروري جداً اتخاذ قرار سريع فاجتمعت الشخصيات الأكثر تأثيراً في المدينة، وهرروا مراسلة الشاشا فوراً لإبلاغه عن هذه المصيبة، ووصف الوضعة التي آلت إليها المدينة، بشكل دقيق، والمخاوف التي توحى للجميع بهجوم قادم.

* «مهراس» كلمة عامة حرائرية، وهو وعاء نحاسي يستعمل لطحن كل ما هو صلب من الطعام (الترجم).

لقد حاول أحمد حوكة الذي حلف مصطفى باشا؛ إعادة بناء سلطنة ترعرعت أساساتها باهزات التي كانت العاصمة مسرحاً لها كما أن شؤون السياسة الخارجية والاضطرابات التي يحدتها له الإيجير؛ لم تكن تشعنه عما حمته لرسالة الخطيرة التي تنفأها من أهالي قسطنطينة. فهذه الهزيمة الدموية التي تكسبها قوائمه أعصته إلى درجة أنه أراد في بادئ الأمر أن يسير شخصياً ضد المتمردين ولكن باستماعة مستشاريه؛ الذين نصحوه بأنه من واجبه عدم معارضة منصبه، وبأن يعهد لأحررين بمهمة الانتقام لتلك المواجعة؛ قرر تنصيب لتركبي عبد الله مع أمير بمطاردة الشريف دون تأخر وسنمه، في وقت نفسه، رسالتين واحدةً لنشيخ من يعقون، وأخرى لأعضاء المدحون وعادر عبد الله فوراً؛ ليصل إلى قسطنطينة بعد بضعة أيام.

لقد حكم عصيان باي الإقليم لمدة ثمانية عشر شهراً قبل أن يُقتل في ميدان الشرف.

عبد الله باي

1219هـ، نوفمبر 1804م

يحمل حاتم عبد الله باي بن إسماعيل، ١٢١٩، وأيضاً ١٢٢٠

تمت نحية الباي الجديد عن أنه محرراً؛ فجميع الأهالي خرجوا للملاقاة، وأرجع بحينه الفرح والامل من جديد كما أن رسائل باشا المنصمة تهتة وتشجيع لأهالي على الحرم والشجاعة للدين أظهر وهما في تلك الظروف؛ قد أدت مفعولها في إتمام تهتة المعوس ومنذ ذلك الحين أصبح كل شعور بالخوف غير مبرر؛ حيث أشعر حرّ حون تحلي أتناع الشريف عنه، وفراره من الإقليم بداعي الخجل باستناده الشخصي، أو بداعي الخشة من عمليات انتقام دموية، ولم يُسمع عنه أي شيء حتى شهر فبراير من عام 1806؛ حيث قدم بأثرة قبائل جمال بجاية لمحاصرة هذه المدينة، ولكن إجاره لم يكن أكثر من ذلك الذي حققه في قسطنطينة. وفي العام الموالي قضى في الربطة بالقرب من

سقط في معركة صد الأتراك وقواتهم المساعدة؛ وذلك في نفس اليوم الذي
 تولى فيه علي باشا بن محمد الحكم وهذا المعاصر الذي عرّض سيطره الأتراك في الإيالة
 وهذا انتهى دور " هذا المعاصر الذي عرّض سيطره الأتراك في الإيالة
 للحظر في لحظة ما، وكثرت قواتهم إحدى أنكر أهرانم التي ألحقها بهم انقباض
 لكن بدور الثورة التي ألحقها ظهور هذا الرجل داخل القبائل؛ كانت
 تتطلب قمعاً سريعاً إذا أريد نحت تفاقم الشر، ولم يتأخر ذلك.
 مشيراً إلى النصوص، يدعي محمد بن عبد الله، قائد مجموعة من التمرد
 وأراد إرادة أبي، فخرج الأحرار على رأس قواته التي حلتها معه من مدينة
 خرائر من أجل قتل من الخرش، وحارب الإقليم لمدة عشرة أشهر مدق
 لفائس الكثرة ومدعماً انقباض الحاصفة، وناشراً بذلك حشية واحترام
 سلطته وعدم تم تعميم اسلام في البلاد بشكل كلي، عاد إلى عاصمته
 في السنة الموالية، معرضاً الأتراك لبيع آخر من الامتحانات أكثر
 فتكا من الحرب، فقد اجتاحت المنظمة فحط شديد قبل كل أمل في احصاد
 ومن جهة أخرى، فإن كل التمردات كانت قد استهدفت مد أن يدخل
 اليهوديون يكرن ويوحناح في مساندة مصدر احواب ويظهر تأثيرهم
 الكبير على مصطفى باشا قام به، على طلب مبيى بار عدم ليدت على تسم
 جميع حركات الفصح لدى تحك منهم مدس السوريرين فقد حمت المجاعة
 والفصح بكن شاعتها، وامتد فمكها لعدة كامل مرات خرائر يقول أحد
 الرواة العرب، ومكتب مصديقه لما ساهدا به، أعيا سنة 1807، أن الناس
 صاروا يأكفون حشث إحوالهم وارتفع عدد الوفيات، ولم تتوقف الآفة عن
 التفاقم مدة عام كامل حتى ادن الله نهايتها فقد هطلت أمطار الخريف
 تروي الأرض لياسه، وكانت وفرة ذلك الموسم كسرة، فعوضت الفلاحين
 • استعمل الكاتب كلمه دور (role) لتعبر بها عن أعمال اسعيانه من طرف لإعطين
 خلق الاضطرابات في الخراب حسنه فرنسا (المترجم)
 1 لتأكيد السوء التي تعبر بأن الرجل الذي يوف حور البلاد من انممع لأحيى بحسن
 نفس اسم النبي، يسمى هؤلاء أنفسهم عمومًا محمد بن عبد الله، وبعضهم يحيون اسم
 (إشارة إلى اسم والده النبي)
 2 بعد لعب أحد أفراد هذا اليهودي دوراً دليلاً ما خلال السنوات الأولى من لاختلاف

في الواقع، كان أحمد باشا يتابع أولاً بأول رحف جيش توس على فلسطين، ولهزيمة التي تعرّض لها الباي حسين، ومحاصرة المدينة وفي حصص هذه الظروف الاستثنائية؛ قبل عرض السلام الذي قامت به قبائل فلسطين نفسها، فتمكن من استحداث جميع قواته بكل حريته وتم إرسال بيلّاخين عسكريين لنجدة المحاصرين: سلاح الفرسان بقيادة باشا أغا مدينة الحرائر؛ الذي كان عليه السير برأ، والذي انضم إليه القبائل أعداء الأوس، وسلاح المشاة؛ الذي ذهب سحراً إلى عصابة لقطع الطريق أمام انسحاب الوسيين وفي الوقت ذاته؛ أعلم الباي بالإحراجات التي اتخذها، وأمره بالانتحار مصحوباً بما تبقى معه من قوات بقية الجيش؛ الذي أوكلت قيادته لعامة باشا آغا.

وصلت قوات الوحدة بشكل سريع وسري لدرجة أن سليمان كباية لم يشعر بوصورها، لا عندما قام الجيش بالانتحار ونحتم عليه التحلي عن الحصار حتى يوجه جميع قواته ضد هذا العدو غير المنتظر وانتفى الجيش عن لسهول العبة التي يرونها يوم مرورهم، والتي أقيمت عليها اليوم مشقة الحكومة، وتواجهها طيلة ثلاثة أيام شرسة لا مثيل لها وفي الأخير كان انصر سجزائريين.

من أجل إبعاد ما تبقى من جيشه من إبادة جماعية؛ تحتم على لقائد توسي الفرار سريعاً تاركاً أرض المعركة مليئة بالقتلى، ومحملاً لهب لمنصرين مقتنيات معسكره وأمنعه وعتاد حرب صحم وقام حوالي خمسمئة إلى ستمئة توسي بالقاء السلاح قبل أن يتم إدماعهم في الجيش الحرائري وكدليل على الانتصار؛ تم إرسال رهاء أربعين بعلي محمّل بالأدوات إلى مدينة الحرائر ولقد كوّمت هذه العنائم المحزنة على أسوار باب عرون على وقع طبقات مدافع كل الحصون وبذلك انتهى هذا الحصار لصالح فلسطينيين، ويسمى الأجدد بالذكرى دون غيره من الحصارات التي عملوها.

يُروى أنه خلال هذا الحصار قام بعض جنود حمودة باشا برحلة قصيرة

باحه كدبه عي حتى وصلوا إلى حُجرة المراط الخليل سيدي سمين
المحدود وبها أنهم جاعوا به الهب فقد حاب أملهم؛ حيث أنهم لم يجدوا
سوى قدر كبرية كان الطلبة، الذين يتابعون دروسه، معتادين على إعداد
ملعابهم بها لكن طمع هؤلاء النهابين اكتمى بذلك؛ فأخذ أحدهم الماعون
في ليلة التي نبت الهزيمة، تقول الأسطورة التي لا تردد في إقحام
اسم في محريات الأحداث رغم أنه لم يعادر تونس، إنه رأى في ادمام طيف
المراط مائلاً على رأس سرير في صورة مرعية ومهددة. وفي الوقت نفسه
صاح صوت عظيم في أذنه يقول: "قدري! قدري! أرجع بي قدري".
واستمر هذا الكابوس المرعب جراً أم الليل، ولما استيقظ الشاه فرعاً ينادي
أكثر قاذته وسأله إن كان على علم بقدر كان قد سرقها رحاله من مراط في
صوحي قسطنطين وسرعان ما استعلم القائد عن الأمر، فوجدت القدر عند
سرقها الذي أمر في الحال بإرجاعها إلى صاحبها؛ وهو ما حدث فعلاً

ببما عادت بقايا الجيش التونسي مسرعة إلى حدود وحصنها كان الشاه أعاد
والتي متوغين بأكثر صايط الجيش بصدد الدحول لاحتفالي إلى قسطنطين
وسط تحيات الجماهير السعيدة وسرعان ما أرسلت الخطابات إلى أحمد شاه
لأخبره بهذا النصر المجيد وفي الوقت نفسه، طلب منه الشاه أعاد الإذن
بمواصلة النصر حتى أسوار تونس التي، حسبما أضاف، وبعد هزيمة التي
تعرضت لها لن تقوم كثيراً قبل السقوط تحت صربانهم

شاهر الذي، المقتون بمنح كهذا يجاور جميع نطلعانه، حماس قائد
جيشه. ولإثبات عرفانه له وللشاه؛ أرسل لها حيولاً ثمينة وبعض الهدايا
المعترة الأخرى وبالإضافة إلى ذلك، طلب منهم جمع أكبر عدد ممكن من
الرجال بأسرع وقت، واستدعاء جميع القوم، والرحيل دون تأخير على
تونس.

لقد كانت همة القائدين عالية لدرجة أنها جمعا الجيش في ظرف وجيز
وطلقوا المرسا والمشة في اليوم الموعد وصيحات الفرح تعلو في السماء
من حناجرهم ومن شدة حماسهم احترلوا من قطع مراحل السير، فوصلوا

بعد بضعة أيام في صفاق وادسرات قيل أن أول موقع محصن في تونس كان ملك في شهر يوليو 1807، وفيه توخى القتال؛ حيث أن قسماً من حش العدو قوامه 18000 رجل بقيادة يوسف صاحب الطبيع، كان قد قطع الطريق ورغم تفوقهم العددي؛ كان جهلهم للأرض، وخاصةً تسرعهم؛ السبب في هزيمتهم، كما أنه كان من بينهم حونة قمصطفى بن عاشور، فبعد هزيمة، كان يرسل باشا تونس سرياً مدونة وقد قصّ ثمن حياته مقلداً، وأدى بحسه عن الأمر إلى انسحاب معظم رجال الثورم

وصل من بقي من الجيش يقاتل دون حدود لعدة أيام قبل أن ينحتم الانسحاب أمام المقاومة لبوسه، ونعم الموصي داخل الصفوف، وأصبح كل واحد يريد الفرار بحده أما الدين كانوا أكثر شجاعة؛ فقد بقوا في ساحه المعركة، وثبتت المرمات في كل جانب، ولم يتمكن سوى عدد قليل من الأتراك من الرجوع إلى قسنطينة.

حتى تبعد عنه عصب الشد أحمد، الذي لم يكن ليعطل عنه باعتباره المعزّض الأول على هذه الحملة البحرية، سارع لباش آغا بربان خطاب به ليحتمل فيه دي فسطحة انور كنه ولم يتورع عن استعمال الخداع والكذب بيقع سيده بن كامل مسؤولية الكارثة تقع على حسين باي، الذي كان أوب من هرب، وبأمر بولا الانسحاب المتسرع لكان النصر حبيبتهم صدره لشد، ودوب أن يبحث عن معلومات أخرى أمر بقتل الذي هوور ونفى المسكين محوفاً، وبولي لشد عيادة لإفساد في بظار سمعة حاكم جديد

أي هذا حوارة دارب، ولا شك، معركة زاما (Zama) الشهيرة بين اسبون (Scipion) وجعلوني للأبحاث أثره سي قام به دورو والأمان لتجديد موقع زاما بحزن بان تعرفه كنه قد درست في صوحي المدة التي يحمل هذا الاسم نفسه، باعتبار من غير ب (بغداد حارة) أي الذي يأخذ اسم سرانه في جزء من بحره وبن موقع كان جعله لآخر من أقرب لمحصنة انظر

1. Algérie par Dureau de la Malle p. 111 et suivantes.
Recherches sur le champ de bataille de Zama, par M. le Capitaine Lewal p. 111 et suivantes.
revue africaine, p. 111

منه من المعاصيل هذه الحملة ليهذه؛ أوجه إلى رواية روسو في حوارة التوسيه (Annales tunisiennes) ص 292 وما بعدها

علي باي

1222هـ، أغسطس 1807م

يحمل خاتمه: علي باي بن يوسف، ١٢٢٢

إن من خَلَفَ حسين بن صالح كان تركياً من عناصر أوجاق مدينة الحرائر، والذي طالما تميَّز بشجاعته وبلا احترام الذي يصره على رملانه؛ واسمه علي، وكان ضمن الحامية المرسدة المتواجدة حينئذٍ داخل أسوار قسطنطينية.

تسميته باياً من طرف أبائه، فرض عليه شرطاً، وهو السير على تونس وغسل هزيمة سابقه بدماء أهلها

وعليه، سارع علي بالقيام بكافة التحصينات اللازمة لهذه الحملة الجديدة؛ فلم يهمل أي شيء؛ مما يمكن أن يضمن له نجاحاً تاماً فرؤد الرجال بوفرة من الدخيرة والمؤونة، كما جُست كامل المدفعية وعند الحصار وبعدما تم الاتفاق على إعطاء الأمر بتحريك الجيش، وعشية الانطلاق، وصل رسول حاصر بحير معاده أن ابنه أي حسين سيصل قداماً من مدينة الحرائر بتعريض وإمدادات معتبرة وبذلك أُعطي أمرٌ بحامته بتوقيف الانطلاق، وقد كان هذا التأخير غير المناسب سبباً في هزيمة الباي، وفشل هذه الحملة الجديدة

في هذه الفترة كان يعيش في قسطنطينية شاوش بوطرطورة سائق في دار باشا الحرائر؛ يدعى أحمد شاوش بحكم مهنته السابقة، كما أنه كان يُلقَّب بالقبايلي بسبب إقامته لطويته في جبال القبائل

في 1802، وبينما كان يشعر وطمعة شاوش، حكت مؤامرة، وتؤكد ذلك، من طرف الأميرال الإنجليزي «كيرث» (Kerth) ضد الباي مصطفى؛ الباي كان في نظر الإنجليزي مرتبطاً جداً بمرساة قيسية كان الأمير في المسحود مع وراثته وبعض أعيان البلاد؛ توجه منه وسنوي تركياً إلى مدخل القصر.

^١ كان لباش الحرائر اثنا عشر شاوشاً أو ضابطاً بحرس الخاص وكان يرئس هؤلاء الضباط عدة طوطة حصراء غير مُرتبة، ويضعون على رؤوسهم قبعة كبيرة مُقرنة ومائلة إلى الورا، يسمى طرطورة، وهي حذات المسماة شاوش بوطرطورة

وأمر السيدي بفتح الباب ودخل من المتأمرين عشرة فقط، واستولوا على الأسلحة وعمرن البارود وحجرات لباشا، وبعدما رفعوا الراية العثمانية حاولوا من أعلى القصر أن يؤلوا الجهير، ولكنهم تعرضوا للخيانة ولأثر ذلك الذين بقوا في الخارج أحسوا بالخوف الشديد مما تجرؤوا على فعله؛ فانتعدوا شيئاً فشيئاً متحدين عن مشروع قتل مصطفى خلال أدائه لصلاة وهم انقصاء على المتأمرين الذين استولوا على السلطة في لحظة ما، واكتفي بنفي مساعدتهم في هذه العملية التهورية.

من بين هؤلاء كان أحمد شاوش والسنة لشخص ذي طبيعة دينية وطماحة مثله؛ كان الذي ثماً قليلاً مقاس الحصاد على حبه، وبذلك ابتعد عن مدينة الخرائر حاملاً معه فكرة البحث في مكان آخر عن مجال يطلق فيه العنان لطبيعته المضطربة ورواته الخشعة وفي سياق هذه لية؛ زار نجدة وجبل والفيل تداً وعلى عرور رحلاته للعبدة المتعددة م يكن النجاح حليفه إلا نادراً؛ فوجه نظره إلى قسطنطينة بوصوله إلى هذه المدينة، استقر بالقرب من ثكنة لايكسارية في راحة لجمال.

هذه المصادفة التي تبدو عشية في الظاهر؛ كانت هي السبب الأول في ارتقائه مستقلاً واختياره هذا الحي كن على أساس نوايا مسفة إن لمحاظة اليومية بحكم الخبرة، وسهولة إيصال الأفكار دون استقرار المصالح العام؛ تساعدان كثيراً كل من يريد تكوين حزب لنفسه، وخاصة عندما يجد في محيطه اليومي جميع العناصر لضرورة نجاح مشروعه ولم يكن أحد شاوش رجلاً لا يهتم بالتفاصيل فتقديم بعض فاحين القهوة شكل عهوي لم كان يقول هم إنه رميل سائق هم في السلاح، وإسداء بعض الخدمات الصغيرة، والاستطراد في الحديث؛ كفل له ذلك كله ربح ثقة الجميع.

بعد أن حصر الأرضية؛ كان من السهل عليه سر الاستعدادات الداخلية هؤلاء الرجال الذين صدروا زملاءه أو أصدقائه، ولم يتأخر في الاقتناع بأنه

كان القصر محروس من طرف نوبة (أو حامية) بقيادة آغا حيث كان الرجال (البوارجية) ينفذون مهام باب القصر نهاراً، وبإغلاق الأبواب يدخلون ويسعرون أسفل الدار وفي الدخلة لبعض النبل

من أجل إقحام هذه المييشيا في مخططاته، وهي التي تسامى لديها الحاجة للثورة دون انقطاع؛ كان يكفي استفرار أهوانها واستعملت كل أنواع الكذب والوشاية لكسب مؤالين لقضية هدفها قتل الباي واعتصاب مصه، محسكت المؤامرة بشكل جيد، وتكنم المتآمرون على السر حتى لا يتسهم أي شيء إلى مسمع علي، وبقي تنظر الفرصة المواتية لمعحر المؤامرة؛ فلم تتأخر بوصول حمر قدوم الدش أعما من مدة احرائر على رأس قوات التمزيقات لشج حية حديدية على بوس؛ هم الباي لاستفدله، وانضم إلى في معسكر الفلسفة بالقرب من حل فريون بين بلاد السفينة والرمون ومن هناك انطلق القائدان باتجاه قسطنطينية، حيث قاما بالاستعدادات الأخيرة، وأقيا الحوش معسكرة خارج المدينة.

اعتقد أحمد شاوش بأن الوقت المناسب لإسقاط انقناع والمادة صراحة بالثورة قد حان فتفصل إلى معسكر ودي الرمال (على انصب الحوب الشرقي لكندية عتي)، حيث كان الجيشان متجمعين، وحاطب حشد شتت لللاع العبد لتي بؤثر دوماً على الجيش.

أيا الحدود، ماد بُرد بكم؟ هل فعلا نجمع هذا العدد نكير لعرو نوس؟ أعرف بأن شجعناكم تسمح بتحقيق هدف انصح بسهولة ولكن ألا نخشون اخيانة؟ ألا نعرفون بأنه عندما يكبر بعدو أمامكم؛ سيكون وراءكم حائون وحساء؟ إي أكاد أرى فرسان الرمانة هؤلاء، وغيرهم من القائل وهم يصحرون على صهيوت حيوتهم في مسافات العروبة، وحائفون وفي المعركة، هاربين كقطيع العرلان مع أول إطلاق ليران بعدو تاركين لكم وحدكم مهمة الانتقام لشرفكم ولعارهم ألا تذكرون السخرة الأخيرة حين اخترتم بيتهم السينة وشجعناهم الصعبة؛ حيث صحو على صماف واد سرات بإحو بكم في السلاح الدين إما دبحوا سيوف الخيوش لتوسبة المتصرة أو عرفو في أعماق سوادي؟ إياكم تأخرون إلى الموت، أما الحدود، وليس إلى النصر فليذهب هؤلاء الذين بقلهم قلب امرأه نلاصوا، حصصين تحت سوط الأعوات والبايات، أما أنتم رجال السلاح فتنبون؟

بأن أقداراً أخرى تنتظركم».

هذه الكلمات النارية الملقاة عبثاً وسط معسكر مسلح لم تكن إلا تجد صدى في نفوس المستمعين. وكان على المتواطئين مع أحمد إكبان الدقي؛ حيث أن العصيان انتقل من الأقرب والأقرب ونهباً للمعاسة الدية التي ستحصل؛ صارت الميليشيا التركية تشر كل يوم في الشوارع، بسب المحلات وتعرو الأسواق مستوبة على كل شيء. وبلغت الموصى رلاً اضطراب أوجهها.

أب القوم وقواب فتل السهول الذين تلقوا لأمر بالالتحاق بالحامية المرسنة، فقد كانوا يتدفقون من كل جهة في كل وقت لزيادة صفوف الجيش. فقد كنت حياهم تزد على مرمى البصر فوق التلال؛ فكان مظهرهم مدعماً لتجمع قوات الإقليم تحت أسوار قسطنطينة، وكان موعد انطلاق الرحف قريباً.

يوم الجمعة، عشية الموعد المحدد للانطلاق، توجه القائدان في منتصف النهار إلى مسجد سوق العرن لأداء الصلاة ولدعاء بنصر. وكانت تلك هي اللحظة التي احتارها أحمد ومعاونوه لتنفيذ مخططهم؛ فقد أعطي الأمر مد الأسس، ولم يتحلف المتآمرون عن الموعد.

عند ولح الناس أعاء والباي مع أتباعهم إلى داخل الجامع؛ حتى احت تحت رفقة من الأتراك المسلحين أبواب الرئيسي وبدأ الإمام بإلقاء الخطبة من فوق منبره. وفي لحظة معينة بلغت الموصى أوجها؛ حيث سارع كل واحد إلى الباب راحماً ومحتقاً وسط دجج البنادق، وسقط كثير من الضحايا في الشارع وحاول الناس أغا الخربج الرحف، ولكنه وقع في أيدي هؤلاء السحطين؛ فصرقوا رداءه ثم أعادوا إليه مرة أخرى ولحسن حظه؛ مكر عي باي، الذي أخطأه الرصاص، من إيجاد مهيد وسط الموعاء بسب الموصى العزيمة وبأسعمال يطعنه، وركض لاحقاً إلى دار سي العادي في

شارع غدير معطاس"، غير بعيد عن المسجد^١.

بلد في رواية منظمة من المطبخ، واعتقد للحظة أنه في مأمن، ولكن كان هناك من اطلق في ملاحقته في جميع الاتجاهات وكان أحدهم، ويدعى أحمد من طرش، أحسن حظاً منهم؛ حيث وجد ملجأه، وانقص عليه ساحاً إياه بقوة من عنقه، ثم ساقه إلى سيده الجديد. وبعد لحظات تدحرجت رأسه على الأرض معتقداً أن القارئ سيكون متأسفاً إذا أوصف إلى ما سبق الرواية السالبة المأخوذة عن مهدي بشير بونو حول الحكومة العائرة للمعتصم أحمد شوش^٢ وردت كرس روایت مختلف في بعض التفاصيل عن تلك المأخوذة عن مهدي الأستاذ؛ فدون ذلك يرجع للمصادر المختلفة التي اعتمدا عليها وبما أنه لم يكتب شيء أو تقريباً عن أحداث هذه الفترة الأخيرة؛ فعلى أنهم بالرّيح لمحيي أو يرجع إلى روایات المعاصرين الذين نادراً ما يكونون دقيقين في سردهم للأحداث؛ حيث أنهم يخطئون، دون أدنى اهتمام، أسماء الأماكن والشخصيات والتواريخ ولا يمكن اكتشاف الحقيقة إلا بمراقبة بعضهم بعضاً؛ وهذا تنمّر لاختلافات التي نجدها بين الروايات مع أن المصنوع يبقى معه

«اعتقد عبي ناي في مادي الأمر أنه صحية جديدة من الناس أعد نقص على أحد الشوش الخرائير النوافير على الباب الشرقي وقسه، وبكه عندما وجد الخوذة راصدين ومستعدين لإطلاق النار، طأطأ رأسه واحتتمى وسط الخشود حتى وجد تعرجاً، وهو باب الدروج (باب اندرج) ثم دخل إلى دار نعمون متوسلاً النساء والخدم بأن عنوه

غير أن أحمد انقبض لم يصيح الوقت فبسي احتاج افتواطون معه المسجد؛ استولى هو على دار الناي بسهولة والتحق به مصطفى حوجة؛ الذي أصبح لاحقاً معاً في مدسة الخرائير، فوجده جالساً على الدكانة؛ وهو

١. ورد اسم هذا الشارع خاطئاً عند غايبات، وأخذنا تصحيحه من مولود غايد. (المترجم)

Mouloud Gaïd. Op. Cit., p.61

يضم هذا الشارع حالياً القصر والبيات التي حوله. ولقد دارت هذه الأحداث في المكان الذي يُسمى به لاحقاً بيت السيدة أرملة «غاندة» (Guende)

2 انظر 1892, p.398, Revue orientale décembre

كرسي الشرف أو العرش، فقتل يديه بحرارة معرطة، وهنأ على حظه السعيد الجديد، كما أسرع بإخباره بقرار علي باي.

وسرعان ما اتحدت إحصاءات للقبض على شخص الأمر المسكين حيث انشر الأتراك حول دار وعمون وفي الشوارع المجاورة وفي الوقت نفسه، جاء مصطفى حوجة؛ العدو السري لعلي باي، بصحبه بالخروج من بيت صهره (كان مصطفى متزوجاً من إحدى بنات عمون).

ما إن وطأت قدم علي باي مدخل السقيفة حتى انقض عليه الرجال، وورعهم كونه مجروحاً؛ كان له حظ الوصول إلى فرن الخار مسعود وبقوة دراعه؛ استطاع أن يبعد المعتدين عنه، ويجد الوقت الكافي لتعلمص بالانسحاب على طول الحدار داخل المرل ويكن رجلاً أكثر أذكى وقد تسلفوا الحدار وصولاً إلى السقف، وقام أحدهم؛ وهو فتلي من روية يدعى أحمد بن لطرش كان قد انضم إلى الميليشيا التركية؛ بخلع بعض القرميدات، وفهر على علي باي الذي تكسك تحت السقف المهاراً لم تكن حربته لتعبده؛ حيث فقد نصره لاحقاً، وقضى بقية أيام حياته في قسطنطينة معدماً يعيش على صدقات المارة

أحمد شاوش، المدعو القبائلي

1223 هـ، سبتمبر 1808م

دام حكمه خمسة عشر يوماً

موت علي باي؛ امتطى المعتصب صهوة فرس ضحيته وتوَّجه معلماً نصره في دار الباي التي استولى عليها لتوه. وبينما كان رعاع المداهين والمتملفين يسارعون لتهنئته وتحيته؛ كان العسكر الذين رفعوه إلى المجد لا يتفكرون إلا القتل والنهب منتشرين كسيل مدمر في كافة شوارع المدينة، مطلقين لتهديدات رهبة، وموقعين المارة المتأخرين، وسارقين للمحلات ومع بطلاق أول صبيحه إندار؛ كان الأهالي يتحصنون داخل بيوتهم لتفنى الشوارع والأسواق مهجورة. فكل كان يرتعد خوفاً على حياته وأملاكه

وسط هذا الملع العام؛ كان بعض أعضاء المخزن الساعين بتأويه في عيابه زبرات سجن القصبة، واستعلالاً للموصى السائدة؛ كسروا قبودهم واسترحموا حريتهم. ومن بين هؤلاء كان مصطفى بن عاشور وسي محمد بن القرية

لقد كان الأخير قائد عريب القر، وسُجن لأنه قام ببيع عجول تابعة للأيك حسابه الخاص. أما مصطفى بن عاشور، وبعد خيائه لقضية حسين باي في معركة وادسرات، كما رأينا سابقاً، كان قد هرب إلى قيادته في مرجوبة بالقلاب من عموة الحونة وهناك كان في حالة عداء صريح لمدة عام تقريباً، ولكنه أراد أن يباي عمو الباي الذي حلف حسين، واستعمل مرور الباش أع بمصطفه في طريقه للانضمام بحامية فلسطين؛ ليعلن حصوعه بين يديه ويطلب الأمن دار الحديث بينهما في قصر الطبر؛ حيث تأثر الباش أع وعفا عن لثائب، ووعده بالتدخل لدى الباي حتى يصحح عه

لم يتردد بن عاشور، المعتمد أكثر من اللارم على هذه الحماية السامية، في لثون أمام الباي؛ الذي أمر بتوقيفه وإلقائه في السجن فوراً. ولما رفق الباش أع احتجاجاً على الطريقة التي تم التعامل بها به، هذا الرجل الذي أعصه لأمر، رد عليه علي «هذا الرجل الذي نجّره حاشاً معتداً، لا يتردد عن انتهاز أول فرصة تباح إليه ليتحالف مع اعدو، ويكرر لعب الدور الذي قدم به في الحملة السابقة لا تنق بوعوده؛ فوعده لا يستحق أي تصديق» فعد لباش أع بن صوابه، وترك له مستحبره وفي الوقت نفسه؛ كتب علي باي بلشاً ليحبره بالإجراءات التي اتخذها بحصوص بن عاشور وأحمد حوجة وفي رسالة مكتوبة بأسلوب المدح والإطراء؛ دغم تصرفه بشكل كلي، وهذا نصها

«الحمد لله»

إلى الذي تنمو جدوره وأغصانه دون توقف، الذي بقي أصله نقياً عبر الأزمان، الذي بلغ كرمه أوجه، إلى الذي ارتوى بماء العلم، السلطة الرائعة والمهيرة، الكنز الثمين الذي لا مثيل له؛ إلى ابننا البار، صديقنا العالي والمحبوب، إلى سي علي باي قسطنطينة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد تلقينا كتابكم الذي أحببنا دقته وظرافته. كان الله في عونكم لبلوغ مقاصدكم، وأطال أيدم حكمكم وحاراكم خيراً عن سبكم لهذا الخائن الفاسد المسمى مصطفى بن عاشور؛ الذي نشر الاضطراب في الإقليم، وأثار الحرب لأهلية، وأشعل نار ثورة بكل المآسي التي تجرّها معها. فمئذ أن وضعتم الحديد في قدميه استرجع الإقليم، كما تقولون، هدوء ه المعتاد. جازاكم الله خيراً وأعدكم على أعمالكم.

لا تسوء، انني العرير، أنتم الرجل الكريم، الصادق، الخدوم والمتحمس؛ بأنكم قائد الإقليم، وبيدكم حياة ناسكم، وليس لأحد أن يخرج عن قيادتكم أو يعترض عما ترويه لائقاً. وتذكروا أيضاً أننا إذ أعطيناكم هذه السلطة الرفيعة؛ ليس، لا لتستعملوها لنشر الهدوء التام في البلاد. فإذا وضعنا على رؤسكم جميع أمور الدولة، وإذا سمحنا لكم بالقيام بالإصلاحات التي يملها عليكم ضميركم؛ فإننا بدورنا نرجو ألا تحوّلوا أبداً الثقة التي نضعها في حكمتكم وصواب قراراتكم. اعلّموا أيضاً، أيها السيد البارز والابن المحبوب، بأن ما نريده منكم، وما نصعكم به خاصة، بعد الدعاء بعون الله ربنا ورب العالمين، أن تسيروا دون تأخير بغزو هذه البلاد (برس) أشعلوا بحماسكم شجاعة جيوشكم. وأن يحرك الحماس المقدس كافة جنودكم.

عيشوا سائمين مع أحيكم حسين آغا، وكونوا روجين في جسد واحد، وتشاوروا في كل ما تقومان به. تقبلا في مجالسكما الرجال المعروفين بقدرتهم، وعلمهم، وصراحتهم، وحرارتهم وخبرتهم الطويلة للأمور. احرصا على ألا ينقص الجود والقوم والرجل أي شيء. كونوا حريصين على كل شيء، وبخاصة قادة الجود نعرف، فتبك الوسيلة لأكيدة لربطهم جيداً بكم.

إذا حققت آمالكم قريباً، وهزمت أعداءكم وهربوا في كل جانب؛ فذلك بجه سيدنا محمد الذي أنزل عليه القرآن العظيم، والسلام عليكم وعلى من جنسكم ورحمة الله وبركاته.

كتب بأمر العظيم الكريم الشريف، سي أحمد باشا، أنعم الله عليه بكل ما يريد^{*}. بدون تاريخ

* معنى برسانه ليس أصلياً، فهو مرجم من النسخة العرسية المعولة من الأصل

وبذلك أبقى على الأمر بتوقيف بن عاشور، وظل منذ ذلك الحين في الأغالل حتى جاءت الأحداث التي ساعدته على الهروب من سجنه وسوف نراه لاحقاً يهتد بدوره صحبةً بلحيائه وسعد إلى أحمد شاوش بعد أن تربع على العرش الذي وضع هو نفسه قاعدته؛ عمل المعتصب على إعادة هذوء بمدينة معص لأترك المتروحين، والذين كنت أسرهم في قسطنطينية، جاءوا ويقبلون إليه حالة الدعر التي سادت المدينة، قائلين: - 'علو! بأن نظام قد عاد، وأنه يمكن لكل واحد أن يخرج من بيته ويفتح محله دون خوف وفي الوقت نفسه، تحذير الخوذة بأن يوقفوا العداء، وبأن كل تصرف عيب سيواجهه عقاب شديد

أحد الناي هذه الصبيحة، وكلّف فوراً دراج بالخروج فقال الأخير: - ماذا أقول؟ فأجابه لبي - قل به بأمر من الله وبإرادة سيدنا أحمد شاه حدث كل هذا (فقد كان يجب أن يظن على نفسه لقب شاه)

بشيء كان الدراج يعد بالأهلي المدعورين نصيب سيدهم الجديد، كان المدفع يدوي من فوق الأسوار وتنفس المعتصب شحصباً إلى المكان الذي عسكرت فيه القوات الخرابية للاستحود على الكر الذي حمله الشاه آغا من مدينة الخرتر وبعد بقاءه هذا الخمس أشهر، دخل إلى قصره وسط دوي المدفعية متوعداً بحشد من الخوذة الذين يريدون، هم أيضاً، الحصول على حصتهم من الذهب وكسرت الصلبيق، وبعد لدوغد الذي قطعه هم؛ تحصل كل واحد على مئطري من الذهب وبنو عكس سعاده عند هذا الحد، فقد كان يسأل كل عربي يمثل أممه: - ماذا يُفعل في المدينة عن محبتي؟ وتعا للجواب عبر المتعبر لبرائر بن الجميع تعممه السعادة والفرح؛ تنهطل عليه عطف المحبوب وكان كل من يُستقبل في شأه حاص؛ يخرج محملاً بالذهب والفضة لئال، وللعص الآخر الخيول، وهذا بنو ساء، وودك أسلحة نقد كان يمنح كل شيء.

هذا الأسراف الذي لو استمر كان سيحمله يكسب، وبو شكك، مودة جميع تلك النفوس المرتفعة التي كانت تحيط، دون انقطاع، بدرجات عرشه

ويكن هذه الوثيقة، أي حرمة عامة بمكها أن نصمد أمام مثل هذا الشدائد 15
والأمول التي جمعها سابقه: كانت تتناقص يوماً عن يوم سه عه ثغرة،
وول للمعصب عندما تحين ساعة لا تحد فيها شيء لشدة عذره أن الشهاد
الطموح لدي دفعه للاستلاء على السلطة: لم يكن لشع بعد فرغم العيوض
لغة كمة يوماً بعد يوم قوي رأسه، والتي معه حويبه الأعمى من ونبها،
نطع أي الأربعة أكثر، وعزم حذباً على الذهاب إلى مدينة الجزائر بغير
نفسه باشا على هذه العاصمة ولكن قبل معادرتة، كان من الشد ورتي أن
شكل اسحر، فعين أحمد طومال في منصب خليفة مكان من اسماعيل،
واستبدل باشا كانت سي حمو من بعمون عباس من حلول، كما عين الشيخ
نادر اوراري منصب ليلكيه، ومصطفى من باشا بارري منصب للحمية
أو القاصير، تحديد، وكان سي أحمد من العلمي ليلالكيه، والشيخ فتح لله
للحمية لدي لم يدم طويلاً في منصبه، حيث أنه بعد أن أصبح المعصب
كلمات قدسية في حبيب دار بيته، بعد الاحير إلى عمارة، وإعماله في الطيق
إليه

م توقف احراء ب الباشا عند هذا الحد، قبل معاداة المدينة، فقام بتعيين
الأعضاء الذين سوف يشكون ديوانه في المستقبل، ووقع احرازه بتفصيل
على لأثر لادين حصاراً بعدة في عملته معين واحداً يسمى عنحو في
منصب باشا، كما عن حرباً حياً، باشا شاورش، وحتى، كنال للمخرج لدار
البحرية ونفت لموقعه عبر مراقبة الحامية التي اسندت في دها حركي
حاء يوم الاطلاق، ويكن قبل المعاداة كان حب سمك الدم وكان
مع الدائرة والباشا حمراء من المدوس، الصحيحين معين، فتنقطع رأسها
وعند لموكت.

في اليوم لأول، توقف الركب في بير الثغرات، وهو امكان اندي من
المصرح أن تجمع فيه دوائر وادب وصلاح، والسر اوي، والرشا، والصفة
أن محلي التلاعبة، وعند النور والرمول، للانصهار حبيب احمده نصيب
القيام، احد كل وخذ مكانه للراحة في هدوء

وعلى صعيد آخر، فإن خليفة علي باي كان قد قرّر يوم مقتل الأخير،
وتمكّن من الوصول سالماً إلى مدينة الجرائر؛ حيث أعلم الناباشا بما حدث،
دون أن يسي إحصاءه بأن جزءاً كبيراً من الميليشيا أصبح وياً لأحمد شاوش
وسمّاه هذه الأحبار؛ حشي الناباشا، وكانت خشيته في محلها، أن يرحف
لمغتصب على مدينة الجرائر، فأسرع بتسلح باب عرو، وأمر باي لتبهرى
باتوجه إلى أبواب الحديد لعلق الطريق أمام المتمردين وفي الوقت ذاته؛
بعث إلى قسطنطينة رسلاً على وجه السرعة يحملون كتاباً لأغا لوبة، وشيخ
البلاد، والعمياء، والميليشيا وأهم الدائرات وصل الرّس إلى معسكر
النفيرت خلال الليل، وسنّموا الكتب وسط أكر قدير ممكّن من السرية.
وفيها يلي محتوى الرسالة المكتوبة لأغا شعبان بن المعطي باختصار
«لقد نلّغنا بأن أحمد شاوش قد سعى إلى الخروج عن الطاعة، واستعمل
اسمنا بتصيب نفسه باباً، فلا تصدقوه إنه مغتصب ادّعى السلطة ليس إلا لروع
الفتنة في الأرض، ونشر الموت والخراب.

وعليه، فهذه أوامرها، وعيكم تنفيذها بصرامة فعلى كل واحد منكم البهوض
وتسلح للمعركة. طاردوا، في كل مكان ودون هو ده، هذا لكذاب ومواليه؛ دعاة
الفوضى والظلم. لا ترحموهم، وليحل عليهم الموت سريعاً، حتى يعم العدل.
إن من نصبه سلطاناً والذي ستعرفون به باباً، هو ابن المحترم أحمد
طوبال حمّاه الله!.

وبل جنود لأوحاف، أرسل التعليم نفسه، حيث قال لهم «إني
أسمحكم على تمردكم، لأي أعلم بأنكم بهذا الفعل لم تقوموا، لا بالاستجابة
للتحريضات الكاذبة لماكر لم يتورع عن استعمالكم لبلطحكم بدم لأغا والباي
علي. فهذا تنتظرون من رجل كهذا؟ إنه فاقد للصواب وخبيث فأسرعوا بالتحلي
عن هذا العار، واتعدوا عنه، وسلموه للعرب.

ولكن، إن أصررت على اتباع حرب هذا المتمرّد، فسأترككم دون رحمة لا انتقام
أعدائكم. وسوف لن تسلموا، مثله، من ضرباتهم؛ فسيفترسونكم دفعة واحدة.
فاقطعوا إذاً علاقتكم به مادام الوقت في صالحكم؛ فهذا، أضمن لكم».

فُرئت الرصانة في المعسكر ذاته، فراءت الريبة حتى في نفوس الأكثر حرماً. لقد أدركوا فداحة خطتهم، بالإضافة إلى حشيتهم من التهديدات، ودون شك، توقعهم لسعي أيضاً، كما أن الرصائل الأخرى، المسلمة في الوقت المناسب، قد فعلت مدعماً لها، عليه فقد خُبر الجميع، ما عدا الذي بثقته العيبة ومخططاته الخفية؛ كان يُجهل ما يجري.

مع طلوع النهار، بُدئ في قرع الطبول وفتح المرامي، وشرع في المسير وفي هذا الوقت، متلات المرمعات المحاورة بمرسان القوم والدواير؛ الذين جاءوا حاملين رادتهم لتحية الباني والاصحاب إلى الحامية، وبدأوا بتنفيذ استعراض للهرة سية وهم مدحجون بأسلحتهم. ثم نطق البارود، ووسط اندحان الكثيف والعماء؛ انطلقت أكثر من رصاصة لتحرق سمع أحمد.

— ماذا يعني هذا النوع من الاسعراص؟ حاطب الباني الأعامتسانلاً
— إنه تقليد قديم يقضي بأنه لدى مرور الباني بهذا الموقع يعبر القوم عن فرحتهم بإطلاق البارود، رد الأعامتجيباً.

لم تكن لأحاده ممتعة بالسنة للباني وعلى أية حال، ولما كان حريصاً، منذ بداية الحملة، على ألا يُظهر حشيتة؛ لم يطلب تفسيرات أخرى، وواصل طريقه.

في هذه الأثناء، كان صدامٌ وشكٌ يبعث على الخشية فاعرب الدين لم يكونوا يعلمون بان المشيشيا التركية قد صارت تنفق معهم في الرأي؛ بادروا بتقديم بحوها عار من على قنالحه، ولكن الأتراك تعظفوا لهذه الحركة وأسرعوا بإرسال وسيط صلح يطلب منهم العدول عن فكرة القتال، وبأنهم تلقوا هم أيضاً تعييت من مدينة الخرائنر، وقد قرروا التقييد به. وقال على لسانهم «لقد أقسمنا على طاعة السلطان؛ فلما مثلكم حدم الأوجاق قصبتنا واحدة، وعلياً أن نحمل راية واحدة سيروا من جهة، وسير من أجهه الأخرى، وحلف الكراهية الظاهرة سحفي صداقة صريحة وسرية»
بسماع هذا؛ عبر العرب ماورنهم، وتراجعوا إلى مؤخرة الحامية أما الباني الذي لم يتمطل لهذه الحركة؛ فقد بدأ بساوره شكٌ حول المؤامرة التي

تحكّم صده رغم ثقته المصروفة، وطرح استمساكاً لدى أتباعه.

ولابدّ أن فكرة حامية من جانبهم عن دهم، أحانه هؤلاء بأن تصرف ربحاً لقوم في هذه الظروف يبدو عريئاً، ويُحتمل حتى أن لديهم بواباً عادلة، وفي حالة موافقتهم بحشون أن يرموهم بكثرة عددهم وقرحوا عليه، إن رأى ذلك ماس، أن يعودوا معه إلى المدينة، وفيها يتحد الإحراءات التي براها باحثة كي يمع تكرار مثل تلك التجاورات.

استمع لدى هذا الرأي، فأعطى أمراً للجيش بالانسحاب إلى قسطنطينية وتمّ ما يشه لترحيل هذا دون إشكال، وتابع العرب حركة الحامية عن بُعد قبل أن يتوقفوا معها على صفاء وادي الرمال، في مكان المخصص بحله اشتاء. وسرعان ما تمّ بصب المعسكر، ودون شك؛ لم يتحرأ أحد أدعى اندحول إلى المدينة التي أغلقت أبوابها بعد معادرتها، فلجأ إلى حيمة مدجاً بينها شراع في تنظيم المعسكر، توجه الأعداء مصحوباً ببعض رجال القوم سريعاً إلى قسطنطينية لتحية الباي الجديد أحمد طوبال، وإحماره بالوصية الخرجة التي يوجد بها المعتصم.

كان أحمد طوبال يريد أن يتخلص من الأخير بسرعة، فأرسل إليه شواشاً مكتمين بالقصص عليه وكذليل رسمي على مهمتهم، أعطاهم فرمان تعيين لدى تلمّاه من مدينة الخرائر، لإظهاره حين الضرورة ولم يكن هذا الاحتياط غير ذي جدوى، فطراً للوضع الخاص الذي أوجده أحمد شاوش لنفسه؛ عارض الخوّد في بداية الأمر فكرة توقيعه في مدحته المبع الذي اختاره وبعد محادثات طويلة، وتلقّي أوامر الباشا الصريحة؛ تمّ التحي عن هذا التقليد، وسمح للصعوثين بالدحول إلى حيمة المدج (حجرة الخرج)،

¹ كان في عهد الأتراك تعدد عرساً نوعاً ما حيث أنه كلما تنقلب حامية وتوفقت للرجاء، يتم نصب حبيس منقطين، يسمى إحصاماً حمة الخراج، وهي حمة المدج التي ردّها إليها من كان محظوظاً فإنه يحو بجانه ولا يمكن المساس به. وتسمى الثانية حمة الباشا، وهي حمة الاعتلاء، رسمي، خط الذي يدخلها تلقى حمة لنوع. وبأنه لا توجد علامة خاصة تميز الحبيس عن بعضه، فبأنه من السهل الخلط بينهما، وبالتالي كان المدج يعتمد على الخط فكثيراً ما قد سيئو خط حياتهم باعتقادهم أنهم يربون من الموت إلى الطابع فقط هو الذي يقود الناس في هذا الاختيار.

بينهم حر هذا المائس، الذي طس نفسه في مأمس، خارج مدحته وقطعت رفقه فوراً لحلب رأسه إلى قسطنطين، ليُطاف بها في شوارعها وسط ارتجاج الأهالي وهذا انتهى هذا المعاصر الذي دام حكمه خمسة عشر يوماً، منزه السديد الكامل للحرية العامة، وسلسلة من التصرفات المعهودة وذو في مقرة البر راحي على المحذر الخنوب العربي لكده عبي، وصار الأهالي يلقونه في حكاباتهم بـ «باي راسو»، و«باي ذراعو»، و«باي روجو».

لم تُحب أحمد باشا سعادته بموت المتمرد، فوزع جوائز عديدة، يذكر من بين مدح مئة قرش منحها لأحد الأتراك الذي تساءل عن هذه القضية ستهي بداية سعيدة وفي الوقت نفسه لم يكن ليعتدل عن المحاملة غير لقوة التي تعامل بها القسطنطيون إزاء تعصّب المعص، فعانهم بشدة، يسر على مساعدته في تصرفاته، بل على الأقل على عدم فعل أي شيء لمنع مدحها حيث قال هم في رسالته: ﴿وَصَرَفَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَكَتْ، مَسَّةَ مَقْصِدَةً بِأَيِّهَا يَرْفَعُ رَعْدًا قِي كَلِّي مَكَارٍ وَكَثَرَتْ بِأَعْيُنِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ بِسَاسٍ الْخَوْفِ وَأَنْحَوْفَ بِمَا صَكَاوُوا بِضَعْفُونَ﴾.

وامم رسالته تسليط غرامة عليهم قدرها مئتي ألف سلطاني، بالإضافة إلى اربعمئة ألف سلطاني التي يجب عليهم دفعها كقيمة للديوش هذا اللوم والعتاب اللذان أحس كل واحد أنهما مستحقين؛ وخاصة العقوبة التي صحتنهما، أدخلوا الأهالي في حالة من الخوف والخرق وتوسط شيخ البلاد، سيدي محمد من لعقون، كسوا رسالة اعتذار وتوبة لباشا وسأله تنوسلاتهم؛ كظم أحمد عيطه، فرجع عنهم العرامة، وصمغ عنهم

* «راسو» بمعنى رأسه، و«ذراعو» بمعنى ذراعه، و«روجو» بمعنى روحه أو نفسه، وهي الصلة عامة جرائرية وقد أطلق عليه هذه الألقاب تعبيراً عن انانيته وجشعه (المترجم) سورة السجدة، الآية 112

أحمد طوبال

1223 هـ أكتوبر 1808 م

بجمل حاتم أحمد باي بن علي، ١٢٢٣

كان أحمد طوبال تركي المولد، وكان يقيم في قسطنطينة منذ فترة طوبال
فمن أن يصح فيه لاشا ثقته ويعينه على رأس الإقليم. لقد كانت الظروف
جيداً حرجية؛ فحملة عشر يوماً من حكم تغير بالفساد وتعدد الأمور
أحدث عجزاً كبيراً في المالية، كما أن المخزون كان سيء التشكيل، وحصل
إفلات في الانضباط العسكري، وأخيراً فإن أفكاراً بالتمرد كانت تنمو سرّاً
د. حل لقاش. واستطاع الباي الجديد بكائه ونشاطه وصرامته أن يصح
كل ذلك

ورغم أن الميليشيا وصفت نفسها تحت حد السيف رقة المعتصب الذي
كان السبب الأول لكل هذه الفوضى؛ فإنها لم تكن أقل رعة في الاستقلالية،
وكان يُخشى إذا لم تُتخذ إجراءات صارمة لقمع هذه أميول للثورة؛ فإنه سيبلع
مستويات جديدة ورغم العفو الشامل؛ فإن الباشا أعطى أمراً سرياً لأحمد
طوبال، وهو أمر لم يكن عرياً عنه كما تعتقد، بقتل عدد من الجنود المتبقين
في الإقليم؛ الذين كانوا أبرز مدبري المؤامرة وتم تنفيذ الأمر بسرعة، فكان
السبب في موت الباشا أحمد؛ الذي لم تغفر له الميليشيا الخرائطية قتل إخوانها
في السلاح، ولكن بحسب الاعتراف بأنه كان يمارس أحسن التأثير على مصير
الإقليم.

بعد أن ارتاح في هذا الحاسب؛ اهتم أحمد طوبال بإعادة تنظيم المحرور،
وذلك باستدال الموظفين الذين كانوا أكثر اعتدالاً خلال الأحداث الأخيرة.

١. بشرت خبر هذا الأمر هرج حمته عصر من ملشا مدينة الخرائط إلى العصر أمين
الوجه فتح لأبواب، واستروا مطلقين في جمع الطوائف صيحات تدور بالموت احتياً الداي
في دار روحته التي كانت مدحقة بضعف، وأراد الهروب من السطح ولكن أحد الجنود دفعه
وأطلق عنه طعنه أصابه في صدره وأسقطته ثم قطع رأسه، وألقي بجسده في الشارع حدث
هذا في 7 نوفمبر 808. وحلقة علي حوجة المارول، أو العمال، سنة لمهته القديمة

كما وجهه أنطوره أيضاً إلى الجانب المالي، فبفضل إدارة حكيمة ومراقبة فعالة طُبِّت على جميع الموظفين؛ امتلأت صناديق الخزينة بسرعة وفي 17 مايو 1810م (1225هـ) وصل حلفته إلى مدينة الجزائر محملاً بالدوش والكثير من الهدايا لكافة أعضاء الديوان.

كان الخلاف الذي أدى إلى حمل السلاح بين بلاطي الجزائر ونوس ما يزال قائماً، وسلسلة الانتصارات والهزائم التي تداولها الخصمان؛ لم تحقق لأي واحد منهما الهزيمة النهائية. ومع هذا فإن أيّاً منهما لم يكن مهتماً بحمل السلاح من جديد. وفتحت مفاوضات هذا الشأن؛ حيث أرسل باي تونس يطلب اسلام، واقترح دفع المستحقات كما في السابق أم أحمد باشا الذي كانت له تطبغات أكثر؛ فقد رشح للطروف، ووافق على ما طُلب منه؛ مرحباً أية حملة في وقت لاحق، ولكن الموت حال دون تحقيقه لهذا المشروع.

هذا هدأت، لبعض الوقت، حرب التافس هذه؛ ولتي بحلول فرنسا محل أحد الطرفين سوف تصع حداثاً هائلاً يوماً ما.

استمر أحمد طوبال في إدارة الإقليم بكثير من الحكمة، وبعد عامين ونصف نعام من الحكم جاء من مدينة الجزائر أمرٌ بإعدامه. بقدر رُود، فن فترة اليهودي داوود بكري ثلاث شحبات من القمح، والخاص عبي، حبة علي حوحة، كان من الدايات الأكثر حذراً والأكثر دموية لدين عرفتهم الإيالة. فبعد قطعه لرأس بكري هذا؛ حكم بعض المصير على جمع من كانت لهم علاقات بهذا اليهودي. وأحمد طوبال، ورغم الخدمات التي قدمها، لم ينج من هذه الإدانة الظالمة؛ وتم خنقه، وخدعه بعمان باي

نعمان باي

1226 هـ فبراير 1811م

بجمل حاتم محمد نعمان باي بن علي. ١٢٢٦

محمد نعمان، الخليفة السابق لعبد الله باي، وصهر رزق عيسو، استمر في السياسة لصارمة والعادلة التي اتبعها سابقه واستطاع، منه، أن يحافظ على هدوء الإقليم استعمل الهدوء الداخلي لدفع الديوان إلى المطالبة بالحقوق القديمة على إيالة تونس، ولم تتأخر العداءات المعلقة مؤقتاً بين البلدين في الظهور مجدداً، وكان حدث غير مستظير سبباً في تسريع وقوعها

الرايس حميدو^١ الذي يُعتبر من البحارة المشهورين بشجاعته ومهارته في أعمال القرصنة؛ كان قد دخل إلى ميساء الحرائر على رأس كتيبه، وقد رادت برفاقه ذات ثمانية وثلاثين مدفعاً أخذها من التونسيين ولقد أثارت هذه العملية حماس الحرائريين، وسارع الباشا بإعلان الحرب على تونس بعد أن قام بإشعار جميع القوى الصديقة في هذه الأثناء؛ وحصل «قباجي باشي»^٢ حجة من القسطنطينية بجمل أمراً بعدم إهمال أي شيء لإعادة الانسحاب بين الإيلتين وأصاب القبجي بأنه إذا لم تتم الاستجابة لإرادة ابصر لأعظم؛ فإنه سيعتد الحرائريين كمتمردين، ويعلق لهم موانئ الشرق تحت هذا التهديد؛ قرر الخاج علي إرسال شخص من الديوان إلى

تونس ليعرض على حمودة باشا مهنته. وطلب منه الاستمرار في دفع النفقة السابقة، وتحطيم قنعة الكاف، كما اشترط عليه أيضاً ألا تُرفع راية تونس إلا إلى نصف السارية كما في السابق. لكن الباي لم يوافق على هذه الشروط

١ كان حميدو من أصل موركي، وكان بجمل لقب أميرال تمت مهنته في 7 يونيو 1815، من طرف سفير أمركه كان يقوده «الكومودور ديكانور» (Commodore Decanure) وتنمى قديماً أردنه فتبلاً قلة «رأس غايت» (Gait)، ونم الاسيلاء على القرصنة ذات السنة والأربعين مدفعاً بكل طاقمها لقد سب مقل هذا الرايس حرباً عام في مدينة الحرائر أنظر سيرة هذا القرصان لـ «دوفولكس»

٢ قبجي باشي رئيس البوابين في القصر السلطاني، وكان بعد منصباً قديماً من مناصب القصر الهياوي. (المترجم)

المهمة، وانصرف القابجي دون أن يحصل على شيء واستمرت الحرب ففي شهر يوليو 1813؛ حرق لرايس محمدو على رأس أسطول عظيم لمحااصرة تونس من البحر، بينما استعدادت القوات البرية للدخول في الحملة ومن حربه، استعلن حمودة باشا غمرد باي وهران، وقدم بهجمة على إقليم قسنطينة، في حين أن بعض باي كان قد بدأ الرجف على رأس جيشه قبل أن يتنازل عن القيادة لعمر، أعامدية الحرائر، الذي لم يتأخر في لوصول مصحوباً بقواته.

لم تكن العمليات الأولى موفقة، فكتب القائد الحرائري لباي بحره بوحود الكثير من الفرنسيين بين التونسيين، وقد ساعدوهم بالسلاح والرجال. وبعد أن حاول إيجاد اتفاق مع الباشا الذي رأى بأن اقتراحه غير ممكن؛ فصل الأعما مواصلة الحرب وأراد مهاجمة الكاف لقد تم نصب معسكر مؤلف من مئة خيمة أمام الحصن للدفاع عنه، وهُزم الحرائريون وفقدوا الكثير من الرجال. وقد طلب أفراد الجيش وقدنهم الذين تطلعت عربتهم الرجوع إلى مدينة الحرائر. وسار لأغا نحو العاصمة، ولكنه باقتناعه بأن الهزيمة كانت بسبب خيانة بعض الشيوخ العرب؛ قدم بفتح عدد منهم مع 260 قبائلي أو عربي آخرين كانوا في انتظار مروره، وكان ثمرته منهم وانتهت بذلك هذه الحملة التي لم تُشرف لقوات الحرائرية

في العام الموالي، وتاريخ 15 سبتمبر 1814، توفي حمودة باشا تاركاً العرش لأخيه عصمان باي؛ والذي بعد ثلاثة أشهر من الحكم أريج من طرف ابن عمه محمود باشا هذا الأخير الراجع في إحلال السلام مع الحزائر؛ قام بإرسال مندوبين لمناقشة موضوع، ولكن الذي شرط تقديم الكاف، وطلب مرة أخرى بالأتُّرفع رايات تونس أعلى من نصف السارية لقد كان الباشا الجديد يريد فعلاً القبول بدفع صرية مالية، ولكنه رفض كسابقه هذه الشروط المهمة. واستمرت الحرب وبو شكلي صعب في 1816 وصل إلى مدينة الحرائر قاضي الصدر الأعظم قادماً من تونس؛ في مهمة لإحلال السلام بين الإيالتين، وسجع عليها فقد تحلى الذي عمر عمر

بوابه تهدم قلعه الكاف، ومن جانبه؛ قبل محمود باش مدفع صرية ريت سنوية كما في السابق⁷.

لقد استيقنا الأحداث ببعض السوات، ودلت لعرص الحروب التي كانت تدور رحاها بين الحرائر وتونس بشكل عام؛ وهي الحروب التي كان يتدخل فيها دوماً بايات قسطنطينة بأي شكل من الأشكال ولتعد إلى زمان باي

كدليل على ازدهار حكمه؛ قام بعمان في 15 شوال 1227هـ (6 مايو 1812م) بإرسال خديمته إلى الشاش عملاً بمجموعة من الهدايا كانت كالتالي: 200 قطعة محب، 125 بوحو، برنوسان، 2 جياك من بسكرة، حمولنا من، حمولنا كسكس، ففتان من الريثون، 15 خروف، بعل، قارورة عطر وديانة شاشيات.

ولقد عبّر له الشاش عن امتنانه في رسالة شكر طمأنه فيها أيضاً عن تطلعاته الطيبة تجاهه. واعتقد بعمان بأنه صار مدعماً في سلطته، ولكن كان داخل بلاط الحرائر عدو قوياً مستعداً دوماً لإزعاجه؛ هو عمر آغا

ذكر أنه في إحدى الحملات السابقة صد تونس توح على بعمان التبارك عن قيادة الجيش لصالح عمر آغا؛ باش آغا الحرائر ومن هـ ولد بين الشخصيتين تنافس سرعان ما تحول إلى عداوة صريح وكان تركي سحر من سمير، ويقيم منذ فترة طويلة في قسطنطينة؛ استغل استعدادات القاندين لصالح طموحه الشخصي، وتمكّن بالوشاية بعمان باي من استهواء رف الأعداء الذي وعده بأنه سوف لن يتجاهل أي شيء لدى الشاش من أجل تسميته باباً مكان غريمه. لكن بعمان كان يدير الإقليم بامتنان، ولم يكن من الوارد أبداً أن يوافق الداي على تحيينه دون أسباب واضحة الوشاية والمكر فقط من شاشها تسريع هذه الخطوة؛ فلم يدخر أيّ مهمل ونوال الشكاري، وتنازلت الكدسات والتفارير المربقة بشكل مستمر حتى انتهى أخاح عي، المنع من تكرار على مسامحة كل يوم الاحتجاجات بعمان بإصدار أمر

⁷ فريد من التماصيل حول هذا الشافس الطويل بين إبانتي الحرائر وتونس، انظر Annales tunisiennes, par A. Roussseau

تتوقف نعمان وتنصيب مكانه المفضل لدى عمر آغا، وكان هذا الفصل هو
 أحمد تشاكر

بإمرام من كون الأمر صدر عن الباشا؛ فإن تطبيقه يتطلب التصرف
 كثير من الحذر، لأنه كان يُخشى إن عُمم بسحب الثقة من الباي أن يتعصر
 الأهالي من أحله وتم تصور هذه الحيلة

في بداية العام 1229هـ (يناير 1814م) بدلت ثورة عبد أهالي بوسعادة
 وأولاد ماضي، الدين بعد أن أعاروا على أولاد سلامة والعدوارة؛ همروا
 حلال، باي المدينة، وهددوا بغزو إقليميهم. فكتب الباشا لنعمان باي يلزمه
 بالنتقل فوراً إلى مكان التمرد مهم كان عدد القوات التي يحورته؛ وأعد به
 بأن تعبر بيقودها الباشا أعد لن تتأخر في الوصول إليه من مدينة الخرائز.
 حرج نعمان، المستعد دوماً لأوامر مولاه، بسرعة من قسطنطينية عن رأس
 لقوات المتوفرة لديه، وتوخته بحث الخطى نحو المكان المتفق عليه وفي الطريق
 تلقى عدة رسائل من الباشا آغا يحبره فيها بأنه انطلق للالتحاق به وعدم
 لم يبق يعصل بينهما أكثر من مرحلة واحدة؛ أرسل نعمان الباشا سيار، الهدف
 من عبي، الذي كان والده آغا الدائرة؛ إلى القائد الخرائزي لنجته وتليجه
 بعض الهدايا. وفي منتصف الطريق تمت محاصرة الهدف من طرف عصبه من
 المتمردين، فقتلوه واستولوا على الهدايا ثمينة التي كانت معه

انزعج الباي كثيراً لدى سماعه هذا الخبر، ولكنه واصل سيره وفي يوم
 إموالي التقى الجيشان في بوسعادة وبعد تبادل الطرفين للتحبات وعبارات
 الصداقة التي كانت تبدو غير محدودة؛ استعد الجميع لمعافة المتمردين وتم
 تقسيم الجيش إلى قسمين: واحد ضد أولاد ماضي، والآخر يتولى مهمته
 أولاد سيدي إبراهيم؛ القبيلة المراتبية المتواحدة في المكان المسمى انديس،
 على بُعد نصح مراحل شمال بوسعادة ولكن، وبعد يومين من الهجمات عبر
 المجدية على أراضي هذه القبائل، ولأن الفصل كان مقدماً، وكان الباشا
 أغا متلهفاً لتجسيد مقاصده المحاذعة؛ تم إعطاء الأمر للمراتب بالدخول في
 بوسعادة.

هناك حاصرها الثلوج والرياح العاتية، وأرغمتها على المكوث مدة أربعة أيام ولما تحسن الطقس قليلاً؛ بدأت في السير نحو المدينة، حيث كان من المفترض الاتصال، ووصلت إلى هناك في المساء وفي صباح اليوم التالي، لستأهم بعمان بالخروج من حيثته؛ ثم توقيعه من طرف رجال عمر بعد لذين أخبروه بأنه سجينهم لقد فاجأه هذا الكلام أكثر من أي تصرف آخر وجده من عدوه حتى تلك اللحظة، ولكنه لم يكن يتصور أن هذا يمكن أن يهدد حياته.

لم يكن لوجهه، إن مارال، ليوم كثيراً؛ فقتل حتى أن يستمر عما يجري، نقص عليه الشواش وحقوه بعمامة.

بعد قراءة ثلاث سوابق من الحكم، هلك هذا الذي اندي بفيت ذكراه عاقلة في بذاكرة الشعبية يرقد جثمانه في المدينة، ولا يحمل فده إبه كتابة عكس ما درج عليه المسلمون عندما يتعلق الأمر بشخصية مرموقة أما حليفته، مصطفى حوحة، فقد تم سجنه هو أيضاً، ولكنه كان أوفر حظاً من سيده؛ حيث نجا بحياته، وأخذ الشاش أعما إلى مدينة الخرائر، يصبح لاحقاً أعاً فيها

أحمد تشاكر باي

1229هـ، مارس 1814م

ويحمل حاتم: محمد باي بن عبد الله، ١٢٢٩

ما إن قصي بعمان باي بالخفة القاندة حتى ظهر الفرح على محياً شاكر بعد أن أحياه نفاقاً فاعتباره عنصراً من الحامية برتبة صابط؛ كان له نافع بعين الخشع كل مجريات المأساة المحزنة التي سوف تعصي قريباً إلى مسحة انقياده. وفي الأخير تم إرضاء طموحه؛ لتصبح السلطة في يديه سلاخاً رهياً يستعمله دون رحمة ودون ندم.

لقد كان حاميه وشريكه عمر أعما عدو وعده فقل أن يفصل عن

تشاركر، أراد أن يُنسى قسطنطين التولية بنفسه، وتجنب المراسم سرحة من لأبيه التي سمح بها لمراد المحدودة لمدينة صغيرة مثل المسيلة أما لميليشيا تركية انتهجة كمعادته بالواجدين الحدد؛ فقد تحملت معظم لمصاريفه، واستمرت الاحتفالات ثلاثة أيام، ليتم الوداع بعدها توجّه لشى أعاد مع رجائه بل مدينة الخزن، وهرع تشاركر باي مسرعاً ليسلم عقابيه حكم عاصمته الجديدة؛ التي سبق وأن بعث إليها عدة رسل ليحبر سكانها بقدمه القريب وكمهيد بحكم تميز كل يوم فيه بالظلم والقتل، كتب في الوقت نفسه ليوسف انسي كان قايد الدار:

«بمجرد وصول أوامري؛ أوقفوا نائبكم، سي أحمد من السايح، وأخاه الطبيب، قايد عرب البقر، وأختهم عالشة وجميع أقاربهم؛ باعتبارهم كانوا حدماء لعمار باي»
بالإضافة إلى هذه الأوامر؛ أصدر تعليمات بمصادرة ممتلكاتهم بقوله وغير المستولة، وانتهى بتوصيته بالسهر على حراسة قصر لبيات ودار الخيمة السابق مصطفى خوجة.

لم يفجئ هذا لتصرف الجندر الأول الصادر عن تشاركر أي أحد، حيث أن حبر تسميته برل كالصاعقة على الأهالي لقد كان الجميع يدرك الكرامة التي يكسبها للعرب، ولم يكن لأحد أن يتذكر نصر بجاته معاً عندما كان فبدأ لعمر الشرافة دون أن يرتعش؛ حيث كان يردد «إذا كتب باي؛ سأعرف كيف أنتقم من العرب كنت سأقتل كل يوم ما يرصني الله» ولأخرى كان يقصد أنه سوف يقتل بالقدر الذي يرصيه

هذه الأقوال وأخرى أكثر تهديداً؛ التي كانت تتردد من الأعوام، وتُملأ عليها بالخوف؛ لم تكن توحى بالثقة في السيد الجديد وكانت تلك الخشية في محلها أكثر مما كان متوقعا.

بعد معادته المسيلة؛ ختم تشاركر باي في «بر سرديات» في اليوم الأول، وفي اليوم الثاني في حمام قصر الطير، ومكث في سطيف في اليوم الثالث ومن هناك واصل سيره، دون توقف، حتى قسطنطينة وكان دحرج وسط موكب رسمي كبير، كما حتمت الظروف ذلك، ولكن دون شهرة ولا حماس

والعوس كان مشغولاً بالمشغل العامص الذي يهدد وجودهم أكثر من اهتمامها بمرحلة عابرة. ولقد كانت مسيرته من أسهل كندية عتي إلى دار الباي أشبه بموكب حشوي منها بانتصار؛ حيث حيم هدوء حرس حتى على صغوف الحاشية، وكان صوت المدفع المندوي على فترات يرن في آذان الجميع كصوت للموت؛ لأن كل واحد لاحظ النظرة الخبيثة للمستبد الباحث عن أصحابا من حوله في انتظار أن يُعْطَهم بإشارة من أصغعه لعاس الحلال.

سلفاً للاستقبال الأكثر من بارد الذي لقيه من الأهالي، وتأكيداً للمخاوف التي أحدثها ذكر اسمه، قام في ذلك اليوم نفسه بانتراع عبي اندعوس هي؛ لباش سايس، ثم أمر بإلقائه من أعلى القصر ليقع في لقاء، ويتفرق عنه على الأرضية الرحامية ويموت من فوره وبعد عشرة أيام، تحطفت بن عرور، نائب آغا رواوة، من وسط أسرته (حيث كان له نهاية أباء صغار)، ونم شقه من فوق أسوار باب الواد.

كان هذان الحادثان أبرز ما ميّر بداية حكم هذا الوحش ولكن قبل نصفي في مواصلة سرد هذه السلسلة من الجرائم ولانتهاكات في حق لإسبانية، لمحاول التعرف هذه الشخصية نفسها

أحمد نساكر، كما سبق وأن ذكرنا، ينحدر من سميرن وبعد التحاقه لمكر باندليشيا التركية، استطاع بشجاعته وبعض المواهب الطبيعية أن يكسب بسرعة خطوة قاذية، ما مكّنه من الوصول في وقت قصير إلى المراتب الأولى في السلم العسكري. ومثرائه على حساب مروضيه؛ تفاعد واستقر في فلسطين؛ حيث تحالف مع إحدى أكبر الأسر بها فقد عدة ماصب في المحرن، وبدأ يطلق العنان لعراتره الوضيعة والقاسية. مدفوعاً بكرهه لشديد للشعب المهروم، وجشعه المبالغ فيه، لم يستعمل سلطته إلا لهدف ممتلكات محكومية، ولتغريهم دون مرور، ولتشكيل هم بمئة طريقة مختلفة في انتظار أن يسلبهم حياتهم يوماً ما وكثيراً ما كان يتفوّه بالهديدات الأكثر ترهيباً، وسمع أكثر من مرة يردد أميته الكفرية إذا ما صار نايماً؛ فإنه من يوم يوم أن يقطع خمسة عشر أو عشرين رقعة

إن مظهر هذا الرجل كان بعكس بدقة صورته لفسية فقد كان بديعاً ومربوحاً لهامة، وبوصفه بدقة؛ فإنه اكتسب مع السنوات بدايةً طاهره فكان رأسه ملتصقاً بكتفيه برفق قصير وعظيمة، وكان يغطي وجهه شعرٌ طويل وأحمرش. كان يتعاطى التمتع بكثرة لدرحة أنه كان يلطخ شواربه ارمادية ولحيته المنيضة؛ مما يضفي عليه مظهراً مقررراً وتحت حاجبيه السوداوين العذبيين شديدي لتقويس، والمفصين عن بعضهما بهراع سيطر؛ تختفي عياناً كإمدتان محمرتان يطلق منهما ريقٌ مرعب لقد كان يوحى تعبير وجهه هذا بقسوة باردة تُترجمها ضحكة استهوائية وحادة لكن بعض نوبات الحق المتدفقة من القلب إلى الرأس؛ كانت تحمر وجنتيه عديحتي اللون في لعادة، فيفقد إسنابته ويستحيل بهراً أصابته رصاصة صياد متهور مهيئته ويطلق شرر من عينيه، ويستمتع مخاراه، ويرعو فمه، ولا تفتح شفتاه الملتصقتان إلا للتموه بعبارات الموت.

لقد كان يحمل هدامه إهمالاً تاماً. فملايسه لخدمة من أقمشة خشة؛ كانت مصمحةً بالأوساح، ما يجعله أكثر قبحاً كان متطيراً لحداد بلعة؛ مثل الأشخاص الذين تقتضي ممارسة القتل لديهم ذلك للنهرب من صبيحات صمير لم يُحمد ثاماً. وسحروحه عن تعليم الدين؛ كان يحمل معه الكثير من احرور، كما كانت لا تفارق يده مسحة ذات حبات كبيرة

لقد كان يتجاوز الستين من عمره عندما وصل إلى الحكم، ولم تترك الأهواء، التي عشت شبابه قبل أن تذهب عنه بمرور لسنوات، في قلبه الفاسد؛ سوى الاهتمام بالقتل والشهية الدموية لموحش الصاري.

بعد أن استهل فترة حكمه بالإعدامات؛ ماشر في تشكين محرمه الحديد يمكن أن يتصور بأنه في جهار استبدادي تكون لمصاص قليلة الرعة فيها، ولكن لأنه توجد دوماً وفي كل مكان نفوس مستعدة لبيع نفسها، أو لا يعرف بأنها لا تستطيع أن تقاوم إرادة أسياد مثله دون أن تتعرض لعقبات؛ كان من السهل عليه إيجاد أعضاء، وكان أهمهم: عصمان خوجة؛ خليفه، يوسف، المعتوق السابق لصالح باي؛ فايد لدار، الطاهر بن عون؛ آغا الديرة، معمر

من خرش، باش صراح، محمد بن الساسي، باش كاسب، سليمان بن دالي، فايد الزمالة، وأحمد بن زكري، باش سيار.

بعد الانتهاء من هذه الإجراءات الإدارية، استأنفت وحدة جديدة سير الأعمال من موقعه في لحظة ما، ولكن استدادت بحاور هذه المرة المجال الصيق بقسطنطين؛ لسبب كسار حرم على كامل الإقليم فقد أحصى معاشره أكثر من مرة عذره شهد خلال الأربع سنوات التي استغرقها حكمه، وبكسار يذكر الأهم حتى لا يبالغ في سرد التفاصيل التي لا تترسوى الرعب والاضطرار، ورغم هذا، فسنشر إلى الطريقة التي يتعامل بها في حملاته سوف تكون صفة أخرى تصاف إلى هذه الشخصية الملتصقة بالخيالة والدعاء التي تدعى تشاكر. كان المسد كلها حرج من أسوار عاصمه مع قتلته لمحاربة رعباه؛ يُجَنَّب في كل لحظة رجلا معوجاً كذكرى عن مروره بمستخدم مكين؛ كان اشاوش شى، بشكل متقاطع، بطن المسكن الذي تختاره وحشية السبد، وبينما تقع أحشاه على الأرض يستمتع الباقي بمناجاة هذا المشهد المروع، وهو يرم مسحة بين يديه ثم تترك الصحبة التي لا تهلك غالباً إلا بعد بضعة أيام من الآلام انقاسية، والتي تصاف إليها عذابات الخروع وبعطش ونصح الحنة طعاماً لاءاً أوى والحوارج، دالم تفرسها إحدى الوحوش الصارية.

لقد كتب جميع حركات شاكر معلمة بمحطاب دموية، وقد حدث وأن بقي سيب، الخلال، اشاوش سليمان السكري، في عمنه يوماً واحداً يقول له.

- يا سليمان، ألم يُعطر مكبك اليوم؟ ثم يلتفت إلى شاوش الأول

- ويطعاندك أيضاً لم يُعطر يا إسما عيل؟

هيجيان: - أنت تعرف ذلك جيداً يا سلطان.

- أجل، أعرف. وأنا سلطانكما وأموكما، لن أترك هذا النهار يمر دون أن أطعم أديكما الخاضعين بالموت، وسكون اللحم العربي طعامهما ويجيان مع بعضهما: - حفظك الله!

إن العلم، في جميعه الأوسر، يأنى أن يحيط هذه اعظاءات المرتكية بمرودة
 دون أي مرور سوى التلدد بمقطع بركات مبرمة السيادة ذلك التلدد الذي
 كان وعده عمة في تلك العرة، ويسكن القول أنه صدر حالة نظام؛ لأنه لا يحب
 بجهز أن الأتراك بحقه من الحدود (سنة عشر أو ثمانية عشر رجل على أكثر
 تقدير) سطاغوا، لأكثر من ثلاثمئة سنة، السيطرة على الأهالي، الذين صاقوا
 برى من استعد الإحسي، ليس، لا دترهيب الذي يوحى به السيف المسلط
 دون عديمه صحح أن حكام الكثيرين الذين تعافوا على مدينة الجزائر وفي
 زديم بشكل سريع ندرحه أن اندريج بالكاد سجل أساءهم؛ لم يستعملوا
 جميعهم انصوه، منهم فعل بشاكر لدرحة البحث عن متعنيهم في أحشاء
 صغارهم، ولكن يجب أن نعرف بأن جميعهم، من الثالث وحتى الديات،
 اعبروا التبع والاستناد الأساس الأصغر، وتقريبا الأوحده، لسلطنتهم
 الحكومية

الحملة الأولى التي شنها تشاكر في الإقليم كانت ضد أولاد بورنان
 وأولاد مفران سادة مجانة. حيث انطلق من قسطنطينة مع حملة الشتاء، وحين
 في اليوم الأول في بير البقيرات على طريق سطيف وفي صباح اليوم الموالي
 تقرب بطر وجلي، وواصل سيره وفي المساء توقف في ذراع الطبال؛ حيث
 فُرقت سحبة أخرى، وتركت مثل الأولى وفي يوم ثالث، نصب جبهه
 في قرب على مساب النهر الذي يحمل الاسم نفسه، وأحد رحلين من أولاد
 عبد النور، فشق بطر أحدهم، وصرب عنق الآخر وفي المعسكر لقي ثمان
 من أولاد سعيد بن سلامة المصير نفسه. حتى تلك اللحظة لم تطل صراوته
 سوى الأترياء، وفي سطيف خالت من كان يستحقها، لقد كان المدعو لحضر
 بن سعدون من أولاد نانت، وهو بص وقاطع طرق حطير، حيث نُفرت
 بطنه، فكان العتاب هذه المرة عادلاً.

من سطيف انتقل الباي إلى قاعروت، حيث قصى يومين، وفيها ربط
 علاقته مع أولاد مفران الذين كان يخطط لحياة صدهم ولاستدراجهم إلى
 الفتح؛ كتب لهم يدعوههم إلى تحييمه مناقشة بعض القضايا الإدارية المتعلقة

بالبلاد. ودون تحرر؛ قُبل هؤلاء الدعوة، وأرسلوا اثني عشر من الذواودة مصحوبين بجمع خدمهم وما إن ترجلوا لتحية الساي؛ حتى صدر الأمر بمحاصرتهم ثم تم سجنهم قبل أن تُقطع رؤوسهم أمام حيمة تشاكر كان واحداً فقط من أولاد مفران مخطوطاً، حيث ركب حصاناً وفر من المجرة، فيما أرسلت رؤوس إخوانه إلى قسطنطينية، حيث طُيِّف بها على الخراب في الشوارع، بينما كان الراح يتقدم المركب الدموي مُطعماً العامة، المتعطشة دوماً لمثل هذه العروض، على قصة هذه التذكارات المرعبة وبعد إرضاء الفصول العام؛ تم تثبيتها على الأسوار لتأكل منها الطيور الخارجة وعلى إثر هذا الكمب الذي كان الخشع الحافر الوحيد له؛ ركب الباي حصانه وانطلق ليهب دواوير الصحاب، ولكن الإمداد كان قد أُطلق في لقبائل لدى وصوله، فقرر كل واحد الانتقام للحياة والمقتل أب أو أخ، وندفاع بساية عن حياته. لقد استُقبل جنود المستد بطلقات نارية، وبما كان الرجال يجدون صعوبة في الدود عن أرضهم؛ تمكنت النساء والأطفال من هروب إلى الحبال ومعهم ماشيتهم وحياتهم دون أن يتعرضوا لأية خسائر.

هكذا انتهت الحملة على أولاد مفران، التي أشع فيها الباي شععه الدموي دون أن يجد ما يرصيه حشعه ورجع إلى قسطنطينية حالي لروص عازماً على البحث عن هدف آخر.

لا يمكن أن نتبع جميع خروجاته لتجيب الفارئ تفاصيل الكثير من القصصات للأسف لم يكن حكم هذا الرجل سوى بقعة دم كبيرة؛ فحينما ولّينا نظراً لا نجد حوساً غير الخيانة والقتل والتهب ولقد وجد في انتقاماته التعسفية والمقودة عوياً من طرف الفتلة المحططين به، وحتى داخل أسرته وَجَدَ لدعم المستمر لصرواته فقد اقتدى به منه، حيث أن لتاريخ النصف يحسن العار نفسه لذكرى كليهما فلتعرف على هذا لاس عُمَيَّ محمود بن تشاكر قائداً للعواسي من طرف وادده؛ وهو المص

الأهم في قبيلة الحراكتة الكبيرة، دعم منه الصغيرة التي كان من المروص أن

تمه بعداً عن السلطه وبما أنه تقلد القيادة وهو ما يزال فتياً (كان عمره نهاية
عشر عاماً)؛ فإنه لم يستعمل سلطته إلا لإيجاد دوران أهوائه ولعدم أكثرته
بمخالفة تعاليم السي؛ كان يدمس الخمر، ولما كان السكر يمكن من عمله م
يكر بقدس أية حرمة؛ لا الأملاك، ولا الأشخاص، ولا الشرف، وكانت
حياة محكوميه تخضع لسلطة برواتة وعصه ولتعدد رعاته الامسدية؛
كان يخطط به مجموعة من الأتراك استعودين على الرديلة، فكانوا يتركوه
مترانه وفوقه ومن بين تلك المجموعة برز خادمه العفون، وهو من أصل
متو صغ، ويحذر من قلبه السفلة؛ الذي صار لاحقاً ناش حربي
هكذا كان اس تشاكر وهذه السمحة القصيرة يمكن أن تلاحظ أنه أهل
ببافس أباه في عدة محالات، ودام تكن غريزة القسوة تظهر جلياً في شخصيته
شكلي محسوس، فلأنه كان مهتماً في تلك الفترة بإشباع أهواء أخرى، وكأس
المدت، بالنسبة إليه، لم تكن قد مدت بعد، والخمر والباه لم يتركوه
وقتاً طويلاً للراحة ومن جهة أخرى؛ فإن القسوة الباردة تكتسب مع تقدم
العمر، وبقيّة هذه الرواية سنبين لنا بأنه على هذا الصعيد أيضاً لم يكن أقل من
أبيه. ولكن، لنعد إلى هذا الأخير.

في شهر مايو من عام 1816، قام عمر ناش، الحاكم حينئذ في مدينة الجرانثر،
بشتم اللورد إيكسموث (Lord Exmouth) ممثل لإسبانيا، واعتقد أنه لا
ساس من الحرب معها؛ فكلّف دي فسطية بتوقيف الإنجليز المتواجدين في
مؤسسات عباده وتشاكر، كما يعتقد جيداً، سارع بتنفيذ الأوامر التي تسمح
له بممارسة قسوته على الأحباب وحسب بعض الوثائق؛ فقد قُتل مئة عامل
مرحان إنجليز، وخرّج مثلهم تقريباً، وأسر ثمانمائة، وُهيب المؤسسات
أدى هذا الأعداء المحالفة لحقوق الإنسان إلى قصف مدينة الجرانثر من
طرف اللورد إيكسموث نفسه، وإب يعرف كم عاب المدينة من الخسائر
التي أحدثتها مدافع الأسطول الإنجليزي

بعدما نعت من الإغارة، ابروي تشاكر باي في قصره ولأنه يجب أن يجد
«بعضي به بعضه العالمة والعبيد؛ فكر بأنه لا يمكن شغل وقت فراغه إلا

يسط يده العنائة على أعضاء المحزون.

بعد كتاب الصحة الأولى التي احارها بمثله في شخص عمار بن
احملاوتي، قائد حادري لعرانة فكان له يوما

- قائد عمار، ان سك انتدمه وخدمائك معددة تجعلك عاليا في أعين
ملك ادم اقدم خادم بمحزون لماذا لا تأتي، مع زملائك الاعلى من، نفسي
السهراب عدينا؟ فهكذا، يحسن لكن واحد أن يستعد من مصانحك وحرثك
اعبر السح عن صمته وعمله التي لا تسمح له باخروج من، ولكن،
بما أن رعة كهده كانت بمثابة أمر، أدرك بأنه يجب سعيها ومع اقتراب
الليل، تنقل إلى القصر مكث على خادم له، وهناك وجد زملاءه مجتمعين
كانوا يتحدثون، ويدحون، ويرتشقون بعض المهور، وكان الذي يعرض
مدعوية بلطافة كبيرة وفي منتصف السهرة اقرب من التبايد فابلا به فزيد
عمار، بن العباس يأخذك ذهب ليرتاح في سنك، ولنصحك السلامة

هصر الشيخ وحيا سيده، ثم خرج وبعد صبح دقائق، سمع ما يشه
صبيحة تبعها حشرة محتقة، ولكن لم يسته أحد من الموجودين في الدعة لا
يمكن أن وقع وسرت رعة ردة في أحد الأعضاء الحاضرين، صاحبها
شعوب شديد على وجوههم، فصحك تشكر مفتحها

بعد إلقاء الباب وراءه، وجد الشيخ عمار نفسه وحدها لوحده مع فريد
المصبة، ذلك لعون حبيب المكيف بالإعدامات البلية وبمسكة من
حرامه، أطلق صبيحة كثر صدها حسنة مدعويين، ثم انفض عن يهوديين
وخنقاء في صمت وفي بعد أطل من الموائد المشكة لذلك السبب انظم
وجه تقطبه ضحكة شيطانية عند رؤية خنة المعددة على أرض الراوية لمحتقة
بالعصر لقد كان تشاكر يتأمل صحبته

بعد اقتراف الخريجة مباشرة، توجه فايد القصصه وقائد الدار بن ست
الهالك وشمعا أوانيه، ووضعها حمرا عند المدخل من أن برخا جميع طرية
في السحر وفي تلك الأثناء كان يتم هب اندواوير انداعة لسلطه، حيث
أخذت ماشيته وتلك التي يملكها محكوموه، فكانت عروة شاملة ومع

صنوع بهار اليوم الموالي كان كل شيء قد انتهى.

لقد كانت هذه المحاولة الأولى ناجحة بالنسبة لهذا الوحش؛ فلم يكن هناك داعٍ للمحاولة مجدداً. أما عائلته اس السديج لفابعة منذ ستين في السجن؛ فقد صودرت جميع ممتلكاتها هي أيضاً، ولم يُطلق سراح كبيرها أحمد إلا لسبوت بعد فترة قصيرة من حراء. لعذابات الرهينة التي كابدها خلال فترة سجنه

بقي بش كاتب سي محمد المكي نفس مصير الفيد عمار بعد خروجه من سيرة قصاه عبد الساي، تم حقه في الظلام ألقى أسوء في السجن، ولم يُطلق سراحهم إلا بعد دفع عرامة ضخمة. لقد كان اس الساسي هذا رجلاً طاعناً في السن، وكان صديقاً في الإفتاء، وموقراً من طرف معاصريه. ولكن مرأياه وسمعته لم تنجيه وحشية المستبد، فهلك بالعقاب المحض للمجرمين.

كما تم أيضاً اعتقال الشيخ أحمد العثي؛ القاضي الحفي وعلى عرار سامه؛ فقد هلك حقيقاً، وتمت مصدرة أملاكه، ووجد أسوء أنفسهم مرغمين على الحرب للنجاة من السجن.

هكذا كان تشاكر يملأ اوقات فراغه لني تتيحها له فترات لراحة بين الحملات المتعددة باستمرار وفي بعض الأحيان كان يتظاهر بعمل الخير سواء بداعي الدم أو بداعي التطير فكان يسطر يده دوماً للمرطين والعراقين والرحال الصالحين؛ حيث كان يمسحهم كل ما يظنون من عدل وحيون ومال وبذلك كان، بلا شك، يأمل أن يتمتع به عصب لسماء الذي سوف لن يحطنه يوماً ما. ولكنه، بصيف المؤرخ العربي الذي نقل عنه معظم هذه القصة، كان محطناً؛ لأن الله لا يرصى أن يُعصب مال أحدهم يُسمح لأحر حتى ولو كان من أوليائه، ولا يمكن أن يرصى بالتكفير عن جريمة بطنهم. إن استيقاظ هذا الصمير الملى بالأردن؛ لم يكن إلا عابراً،

1 كان ماراً بالقرب من سيدي علي العجل، امرابط الشهير الذي يوقد جثمانه في المسجد الذي يحمل اسمه، والذي كان يقع بجانب من الآخر في المكان المسمى المنار بين مارو وبنات الجانية مارو أحدهم أحياناً، ولكن المسجد لم يبق منه إلا الأطلال

وسرعان ما عادت غريرة الرذيلة إلى الواجهة

وفي الواقع؛ ما كادت ضحاياها تهلك حتى يبدأ يفكر في حياتيات جديدة فاشيخ مصطفى بن عاشور، الذي رأياه آنفاً يمر من السحر في اليوم الذي دفع فيه علي باي وأعا مدينة الجزائر رأسيهما ثمناً لبروة معتوه؛ كان منذ ذلك الحين في حالة تمرّد صريح في جبال مريحية وفي الأخير، بعدما تعب من الصراع الذي سيحسره دون شك عاجلاً أم آجلاً، وتقدم تشاكراً قرر الاستسلام وطلب الأمان. وكان ذلك عن طريق صهر الباي نفسه؛ سي عصمان بن شاوش وافق تشاكراً على ذلك فوراً بإعطائه الأمان قتلاً به. «بمكك المحمي، إلي، فقد سُويّت قصيتك».

كان من شأن جواب مقتضب ومهم كهذا أن يفتح عيني بن عاشور، ويجعله يستشف المصير المشؤوم الذي ينتظره، ولكن مهما فعل الإنسان في هذه الحياة؛ فيه لا يأخذ إلا ما كُتب له ولا يجب أن نسي أيضاً بأن بن عاشور كان قد حان وطبه عندما كان مال الأجنبي قوياً بالقدر الذي بقي السيف داخل عمده بدل أن يُرفع ليصرف، وللحياة أن تلقى عقابها عاجلاً أو آجلاً؛ حتى في هذه الدنيا.

عادر مصطفى بن عاشور، إداً، نحو قسطنطينة وبوصوله إلى المكان المسمى سيدي محمد العراب (حان صالح باي حالياً) وجد صهر الباي في انتظاره. فبدأ كان قد أحس بعض الرينة في نفسه خلال الطريق؛ فإن هذا بقاء قد أرهاغاً تماماً ومد تلك اللحظة ذهب كل تردد، وسرعة قطع الإنسان معاً لمسافة القصيرة التي كانت تفصلهما عن قسطنطينة وبعد بضع دقائق أديهما الحراس إلى دار الباي، وفي تلك اللحظة برر تشاكراً ولما تقدم مصطفى بن عاشور لتحيته، صاح مادباً: «يا فايد لقصة، اقصوا على هذا الحاش، واحقوه في الساحة العامة على مرأى جميع أعضاء المحرر هذا الصباح على الساعة الثامنة»، وتم تنفيذ الحكم فوراً ونعوت مصطفى؛ سُج برنوس فرجيوه لأخيه مفودة بن عاشور، الذي هلك لاحقاً مقولاً هو أيضاً.

⁷ شيخ مريحية السابق، الخاج أحمد بوعكار من عاشور، هو ابن مصطفى نفسه ونحن

في نهاية حياته؛ دارت ادواته على شاكر فالحاح لذي كلن تقريباً،
حتى ذلك الوقت، جميع حملاته وحتى الأكثر شاعراً منها؛ كان قد بدأ بحومه
قد بدأت معظم عرواته الأخيرة بالعشل، حيث أنه بذل العائمه التي كان
يريد؛ لم يحزن سوى عدد اهريمه، وعيظ حيه آماله كان ذلك حانه مع أولاد
بورمان ليسي عحاب؛ الذين همزوا عاشيتهم، و ستولوا على حياهه وأمنعته
وبعاله، وتلك التابعة لجيشه.

وبعد ذلك؛ كانت هريمه أخرى أقل فداحة في استطاره عبد الهامشه،
وقد كانت يد الله ظاهرة فيها فبعد أن ذهب بقتال قاتل مركز فح طرد؛ لم
يجد هناك لا عدواً لمحاربته، ولا حياً ما سبها؛ لقد هرب الجميع لدى اقترابه.
وحول عبثاً ملاحقه هؤلاء الحسين في أماكن تمركرهم؛ فلم يدركهم. وبما
أنه لم يكن يريد أن يرجع حاي الوفاص، وبعورره على أراضي أولاد سيدي
عبد؛ ولم يصب حملهم ومواشيهم، وواصل طريقه عبر مكرث بلحساتر
التي ألحقها هؤلاء المساكين.

بحلول المساء؛ تم نصب معسكر على سهل ليرتاح الرجال والماشية
في هدوء وفي منتصف ليل هبت عاصفة هوجاء؛ حيث كان شهر فبراير
من السنة، ونهطلت الثلوج، وسقطت الأمطار والبرد، وهبت رياح شمالية
شديدة لدرجة أنها أسقطت الكثير من الخيول، واقتنعت معظم خيام تركة
الرجال الذين كانوا بداخلها في العراء؛ مما جعلهم ينتشرون في كل اتجاه بحثاً
عن مأوى لهم أما الذين كانوا تحت الخيام التي صمدت؛ فلم يكونوا أوفر
حظاً، حيث تراكمت الثلوج حولها مكونة حداراً لا يمكن احتراقه. وبذلك
بقي شاكر باي محبوساً هناك خلال اليومين، الذين استعرفتهما بعاصفة وفي
اليوم الثالث، وعندما صفت السماء وسقطت الشمس على ساحة سكارثة؛

عرب الصرامة التي حكم بها لمدة تزيد عن ثلاثين سنة هذه البلاد التي كانت بقناعة أجداده
روحاً من الرمن، ويعرف أيضاً بدعم الذي طمأ قدمه لجوش كتي ذهب لدعم في المعائن
الصعق.

يعكس أن يعرف أن رسائل المارشال «سانت آرنو» (Lettres du maréchal Saint-Arnaud) ما
من هذا الرعيم لأهل القائد الأعلى السابق لمقاطعة فلسطينية

لم يجد الباي حوله سوى بعض الأتراك وخدمه الأكثر وفاة، فقد بعثت العاصمة كل شيء.

أمام هذه النكسة؛ لم يستطع أن ينكر تمعات العصب السهاوي المسط غيه بسبب ما فعله بأولاد سيدي عبيد؛ انقبيلة المراتية وأحدًا بصائح سي الطاهر بن عون آغا الدائرة؛ سارع بإعادة جميع لقطعات التي سلبها. وعلاوة على ذلك؛ منح رايةً لشيخهم، وأعطاهم مالا ليسوا مراراً على صريح جدهم، ثم عاد إلى قسنطينة.

وفي الأخير، كانت لأولاد دراح الفرصة لإلحاق به آخر عرٍ يمكن أن يتعرض له قائد عسكري؛ حيث لم يسُح من الموت إلا ليحصى للشروط التي يملئها عليه المتصرف.

في شهر فبراير من عام 1817؛ كان الباي معسكرًا في درع لقبور بين «تارة» و«لارانة» والتحق به سي أحمد بن الشريف، قائد لرمالة، مصحوبًا بكافة رجاله، وشكلاً جيشاً كبيراً. ولقد نقلت العيون المرشدة بأن أولاد دراح قد نصبوا خيامهم في المكان المسمى «لتكوك» التابع لإقليمهم. لقد كان الوقت موافقاً لمآلتهم يساهمهم آمون، ولأن عدداً كبيراً من القوات كان سيقت الانشغال؛ قرر الباي ألا يأخذ معه إلا قومه ورفقة صغيرة من محلة الشتاء.

مع حلول الليل؛ انطلق مع رجاله بحثون الخطى وبعد مسيرة اثني عشرة ساعة؛ وصلوا مع طلوع نهار إلى المكان الذي يجيم فيه أولاد دراح وبرزية كل تلك الخيام مترصة على شكل دائرة، وقطعان ماشية تخرج من وسطها للرعي؛ تهيئ طمع فرسان القوم، فإطلقوا على خيولهم باتجاه وسط الدوار كالسيل الحارث دون أن يسمعهم شيء. ولكن لعدو كان في انتظارهم، فإ وصل آخر رجل إلى وسط الدور؛ حتى خرج من وراء كل حصة رجال مسلحون سادق وسيف ومعاون وعصي وبنات لمحاربت؛ فطرقوهم بشكل لا يمكنهم من الفرار، ولا حتى من الدفاع عن أنفسهم. لقد قتل منهم من قتل، وأسر الباقي وكان من بينهم أعضاء من المحرقة.

وهم مصطفى بن الحرش، ومحمد بن الرموري، ومحمادي بن عون شفيق، الأعاد، والحمصي بن عون. أما الذين تأخروا في الوصول إلى الدوار، فقد نجوا من الكمين، وعادوا لإحار الناي بالمصيبة التي حلت بطلان قوائمه وما كدوا يكملون تحريرهم، حتى وحد تشاكر نفسه محاصراً من طرف أولاد دراج، انصربن على ملاحقة اهارين. كانت الطلقات قد بدأت بدوي على مسامعه، وصارت أية محاولة للدفاع مستحيلة، لأن حرسه كانوا أصعب من أن يحموه أو حتى يدافعوا عن أنفسهم، فلم يحاولوا المنجى، لقد كانوا جميعاً مهددين بموت محقق إن أراد المنتصر أو عرف كيف يستغل تفوقه. ولكن أسرارهم بتحقيق نصر سهل، أو ما تبقى من احترام لشخص قائد رفيع المستوى؛ يكون قد جعل أولاد دراج يصعبون سلاحهم، ويدخلون في محادثات؛ حيث قالوا للناي: «عليك بإحلاء أراضينا فوراً، وإلا فإنك ستهلك ههنا أنت وأتباعك».

إن أمراً مستنداً صادراً بقطاعة كهذه؛ كان وقعه شديداً على الذي لم يتعود إلا على القيادة. ولكن بما أنه لم يترك له خياراً آخر غير الموت؛ رأى ناي أنه من الأحوط أن ينمده، يارك، بلا شك، لوقت آخر أمر الانتقام لهريسته. ولم يطلب سوى استرجاع الأسرى وحثامس الذين قُتلوا في المواجهة. ولم أظهر أولاد دراج بعض الصعوبات في الموافقة على هذه الشروط؛ تدخل مرابطوهم، وتمت الموافقة.

تم إطلاق سراح الأسرى، أما القتلى فقد قام المرابطون أنفسهم بقتل جثثهم إلى المعسكر؛ حيث دفنوا بطريقة محترمة. وبعد ذلك عاد تشاكر إلى دراج القصور؛ حيث كنت في انتظاره غالبية الجيش، وبمعه حريجة وقلبه بتمام، وقفل راجعاً إلى عاصمته خجلاً.

إن هذه السلسلة من الاسكاسات التي احتُمت بهذا المثل المدل؛ كان من شأنها أن تخلق لديه ردود فعل للتكفير عن ذنوبه. لقد اعتقد لويس العاشر الحديدي هدا؛ أنه يمكن أن يُكفر عن جرائم الماضي بالصدقات، وساء المؤسسات الدينية، كما أنه كان يوزع مبالغ مالية كبيرة على الفقراء والمكفوفين، وكنت تُدسح، المعجول في كذبة عتي على شرف الشيوخ الذين كانوا يعزلون

الديوان جاء فيه: «مالي حاجة إلى حبيبتيك ونجبتك، فهو لا يحظى لا بتقديرنا ولا بثقتنا وإنا بأمر معرته فوراً، وتعيين بكير حوجة مكنه». لقد كانت الأوامر دقيقة، ويجب الالتزام بها؛ فانطلق بكير في اليوم نفسه إلى مدينة الخرائر بصفته حليفة.

وبتداء من هذه اللحظة أصاب تشاكر اضطراباً عنيفاً. فبخذل كرمته في أفضيائه؛ أدرك من خلال لهجة أشديدة لهذه الرسالة بأن اسمه لم يعد مرغوباً فيه داخل الديوان. وإن بقي بعض انشك حول هذا الموضوع؛ فبه سرعان ما سيرون قراءة الرسالة الثانية التي كتبها له لبث الجديد، والتي يلزمه فيها بقتل عصي، وهو المقرب لديه ودراعه لا يصر بقدر هذا الحكم على الرجل الذي كان أكثر مساعدته في إدارته، بالنسبة إليه، بمثابة مدبر بالمصير المشؤوم الذي يتطرده، بلا شك، منذ ذلك اليوم؛ فوجد نفسه صائفاً.

لقد كانت تطرده مخوف الموت؛ فصار يقضي أيامه في الصلاة، وصاعف من الصدقات وأعمال الخير. ولما كان يحزن عليه البيل هو جسه المروعة؛ كانت ترى أمام عييه قافلة ضحايا جشعه وبربريته، فلم يكن يومه إلا أرقاً متعباً وأليماً. ولما تلقى خطباً من مدينة الخرائر؛ كان يعتقد بأنه سيفرأ حكم إعدامه، فيتحير في فكره، ويصيح كالمجنون ومع هذا لم يجد بالقرب منه صديقاً يحفف عنه ويسليه؛ بل كان الكل يهر منه، ولا يقرب منه، لا ليريد من الارتباك في نفسه. فلقد أتاه تركي يوماً، وأخبره بأن قارة مصطفى، قائد الحامية، يشيع بأنه سوف يُعين بانياً على قسطنطينية، فثارت ثورة تشكر مطلقاً تهليلات بحيفة؛ حيث أقسم أن يقضي على هذا المتعمر الذي تجرأ على قول شيء كهذا وعادر التركي راكصاً إلى قارة مصطفى (حيث كان في قسطنطينية في تلك الفترة)، وقال له: «اهضر، واهرب فإن لبائي قد قرر أن يقتلك»، فهُم قارة مصطفى بالمرار، ولحقاً عند «مول الشقفة»¹. أرسل تشاكر فرساناً

¹ لقد كان شريعاً يقيم في بلاد ليمبيل بالقرب من حجل، وكان يتهمل ملجأ مبعوثاً وفي عام 1839 قام «مريسيون» بقيادة الجنرال «غالوا» (Galba) بأسر أخيه وتم نقله إلى جرد «ساب» «مارغريت» (Sainte Marguerite) حيث مات بها.

بظار رده، وركبهم لم يلحقوا به؛ فلما وصلوا إلى جيجل، كان قد ركب البحر متجهاً نحو مدينة الجزائر.

بوصونه إلى هذه المدينة؛ روحه انهارت إلى النشأ معدماً له شكوى لا حصر لها ضد نساكر. ولما فرغ قال له:

- يا مولاي، إنه يرد اليوم على واپيين بديكم الآن لإيقاد رأسي من سيف هذا الروح حشر إلى خوائمه واعنصاماته جعلت مدب وأرياف حاوية على عروشها، وسيكون هذا حزن إقبيلكم انشرفي إذا لم تتدخل عدالتكم لإصلاح الأمر فسأده انشا - هل ترى نفسك قادراً على خلافته؟
فأجاب قاوة مصطفى: - نعم، أستطيع.

استناباً إلى هذا التاكيد انسط، مسحه انداي قفطان التوبة هوراً، مع رسائل اعتمايه لأعبي قسطنطين، وأمره بالالتحاق بمصه دون إبطاء

من جهة، لم يدحر نساكر أي حجة لإبطال مفعول الاتهامات التي روجها عدوه صده حيث كتب الرسائل تلر الرسائل للأعضاء لأكثر تأثيراً في انديوان، ولكن لم أن مؤرره كما وادركون جيداً بأن قصته مبدوس منها؛ لم يعبروه حتى شرف الرد وقام فقط بعض صباط المييشيا التركية القادمين من مدينة الجزائر بإحساره بأن قارة مصطفى قد عُيِّن بانياً مكره

رغم أن هذا الخبر لم يحمل ما يباحثه؛ إلا أنه ررع فيه الدعر وهي لحظة معينة تررد من الاحتاء أو المكون صامداً في مصه، كي أن القرار كان لا يوان محكاً وركر، إلى ابن سبلحاً أي باب مصاب يمكن أن تُمنح له؟ وربما تكون المقاومة أفضل، أفليس الموت شرف أفضل من الموت دلاءاً الحياة؟ وهل سيكون هذه الشجاعة حتى النهاية؟

لقد استدعى جميع جنود محلة الشتاء، وتحصن معهم في دار الباي، ثم أعطى تعليمات للقاده بعدم السماح لأي أحد بالخروج تحت أي مبرر وصار الطح يتم داخل القصر ومنذ ذلك الحين؛ أصبح الباي يتناول الطعام مع جنده لقد كانت المساواة التامة تسود بينه وبين مرؤوسيه؛ فيقدر ما كان يظهر بالأمن متكرراً ومعتداً؛ بقدر ما أصبح اليوم متواضعاً وودوداً مع الجميع

في هذه الأثناء، سلك غريمه طريقاً غير المعتادة لنلا بلغت الانتاء، حيث تقدم عبر بلاد رواوة والفائل العياء، حتى وصل إلى مصاب فرحوبة، وعرف نفسه صراحة. ومن أجل صعه من اسقدم حتى قسطينة؛ كلف تشاكر أبه محمود ليهاب مع جميع رحاله إلى مركز بير الفبرات، والكمن له وقيل له. إن قتل قرة مصطفى في الاشتباك؛ منقطع رأسه ويؤتى بها إلى وإن أمر، ودمت أقصر، فأنوب به حياً حتى أحمل منه عرة للأهل.

ملاحظ، من خلال هذه العبارات، أن تشاكر لم يكن يرى بعد بأن قصته كانت حاضرة، ولكن كل مصص أمر كن سيرون حلاً مع أول نداء قرة مصطفى؛ جاءت جميع تدابير وكافة القياد قومهم ناعاً للانصواء تحت رايته، مشكين نجمعاً صحياً رأى محمود أنه من الصعب الوقوف أمامه، ووجد أنه من الأحوط العودة إلى قسطينة، والارواء مع أبه في دار الباي هناك. في ما بينه الخصب، كن يمكن للمقاومة أن تكون طويلة إذا لم يقع الانشقاق وسط الجيش، ويصل حتى حراس لقصر. وفي هذه الساعات الأخيرة، حاول المد عنا حنار شعبية أكرها ماصيه كله؛ لتجنب لحظة الخطر، ونحن عنه كافة حدوده ليصلوا قصبتهم عن قصيته، وسارعوا بسجوه إلى القصبة.

ومن جهتهم؛ تجمع أهالي المدينة الذين أدركوا بأن ساعة خلاصهم قد حانت، ولحقوا بموالي الباي الجديد، وصبو نحو خارج الأسوار؛ واحد أعين عريه (مشتدة الحكومة حالياً)، على الصفة اليمى ليومرزوف، والثاني أعين ودي الرمال في معسكر الريتون. لم يسو مع تشاكر سوى خادم عجور يدعى عبد الله الصغير؛ الذي أراد أن يشارك سيده مصيره. ماذا يمكن فعله أمام هذا التحدي العام؟ لم يتو به إلا حل واحد، وهو طلب الرحمة الإلهية، والبحث عن حوار، بجاه الباي، لدى الشيخ بن بفقون، وكان ذلك ما فعل حيث أرسل خادمه إلى الشيخ سيدي محمد، رئيس تلك العائلة، يتوسله للاهتمام بمصيره، مدافعاً عن براءته ومؤكد له أنه في كافة تصرفاته لم تكن له أية سوى فعل الخير لمحكومييه فكانت احتجاجات باطنة، وبداية متأخرة لا

يمكنها أن تمجد أحداً.

لم يصدق سيدي محمد تلك الادعاءات، ومع ذلك أحاط المبعوث قائلاً: «قل لبيدك أبي سأويه في داري؛ فسيجد فيها ملجأً آمناً ولست ترك قصر البسات لصاحبه الجديد، وتبذل الله يتصرف في ملكه كما يشاء».

رغم الضمان الذي تلقاه؛ استغرق تشاكر أكثر من ساعة ليقرر الخروج من ذلك القصر الذي سوف لن يدخله أبداً، وأخيراً تعلب على تردده وهسهس، والدموع تنهمر من عيبيه، كما قال أحدهم مشوعاً لخدامه الوحيد؛ وصل إلى بيت الشبح ببطء شديد، ولكن من دون تحطى عتبة الباب؛ حتى قام بحيرة بإرسال مبعوث على وجه السرعة إلى قارة مصطفى بحره بأن عدوه أصبح بين يديه. ولقد فعل هذا معقداً، بلا شك، بأنه بإمكانه خداع من كان يحلف وعده دوماً وسرعان ما وصل الشواش، وقصصوا على الباي المائس رغم احتجاجاته، وساقوه مكللاً بالسلاسل إلى القصة؛ حيث توجد در الأعم التي سُجن بها وفي بوقت نفسه، وبعد أن بقوا في بيوتهم بداعي الخوف؛ حرق السكان واحتشدوا في مدينة من أجل الذهب للتعرف على الباي الجديد والترحيب به.

كانت مسيرة قارة مصطفى إلى دار الباي مائة بصر عظيم، وكان قراره الأول حكماً بالإعدام، وبعد بضع ساعات انتهى محمد تشاكر دي؛ حيث انقطع حمل جثته بين قبضي الخلال خمسين لقد كان حكماً عادلاً، ولكن جاء ما حراً للإساءة وخود منقطع بخرائمه.

لقد حكم لمدة أربع سنوات ودُفن في حلوة سيدي عبد القادر، بالقرب من مقبرة سيدي مسعود الضخيق ولقد استحو تشاكر ألا يُذكر بحيرة من طرف جميع الناس الخائرين.

قارة مصطفى باي

1233هـ، يناير 1818م

لم يدم حكمه سوى شهراً واحداً

بعد إسعاد المساعي الحثيثة التي قدم بها قديد لمينة لسبق في إسقاط
الدي، وما إن تسلم مقبيل الحكم؛ حتى استعمل سبطه ليس، لا لإشباع
أهوائه بل أقصى درجة فالوصف الذي قدمه شيرنوبو عن آخر أمراء
الإعالة ينطبق عليه تماماً «دون الاكتراث بشؤون الإقليم، ولا لمصالح
رعيته؛ نعمس في الملذات والخمر والمجون، وأحاط نفسه بالدماء والمعين
وبرجل لأكثر حقارة؛ الدين لم يكونوا يفارقوه ليلاً ولا نهاراً» .
لقد كانت جميع تصرفاته تنمير بالسماهة والعرانة وكان محطاً دوماً
مجموعة من اليهود؛ الدين كان قد استدان منهم مائة عدة مرات
وكان يبروي معهم في درالدي، وبصحة ساء من تلك الملة؛ كانوا يمارسون
هناك جميعهم الدعارة الأكثر شرة وإذا كان يترك أحياناً حياة المجور هذه
ليتهم بشؤون الحكم؛ فيس إلا لإصدار أحكام بالموت، أو لابتزاز أموال
محكوميه.

لقد برهن عدة تصيه مباشرة على طبعه الانقيمي فلم تسه عمرة
الانصر أنه عندما مر عبر أراضي بني عامر في طريقه من مدينة الخرثر،
وحاصرته الأمطار واشلوح؛ صرف أول باب وحدها أمامه لطلب الاستصفاة،
فرفض طلبه بقطاعة.

وفي الغد، وبعد أن كظم غيظه وأحفى شعوره بالإهانة، كتمى معرفة
اسم صاحب بيت الذي لم تكن هذه المقابلة في صالحه، ثم واصل طريقه
وبعد بضعة أيام، وأمام تلك الباب نفسه؛ وقف أربعة فرسان توجي هتتهم
بأسهم حاء، واشتد أو مر سيد نافذ ودون إعادة الأمر هذه المرة؛ فتحت باب
الكوخ المتواضع، وأحد للدبح، وهو اسم صاحبه، من بين روجه وأنياته
شكر عيب، قل أن يُقيد ويُساق إلى قسطنطينة

سبوره في حصرة لدي ذهب ذهوله عندما وجد في شخص انماضي
 من امسار ادي رفض استمائه بطريقة تخلو من بلطافه، والذي ينظر اليه
 الان بمي سر معد له انقصه على فريسه، قتلاً له بصوت محف
 - هل تعرف عي؟ هل تعرف بأي ذنك لرجل نفسه لدي رفضت استصافه
 قل بصعة أيام؟

حاول لمكين عث ان يشتم بعدد؛ وهو يرتجف، قل ان يصبح ادي
 - فتقطع رعيه، وسم تنيد لأمر فوراً

بعد بضعة أيام امر بتوقيف أولاد من العطار أعصه المحرن، وحضهم
 بطريقة موبت عربية وتبعه لأوامره أبصاً؛ قام بحار يصع اوتد بطول معنر،
 وعدم خهزت ادوات لتعذيب؛ قنيد السحباء إلى ساحة اسوق، وغت
 خورقنهم بحصور حشد كبير من مصوليين الدين شدتهم عرانة لمشهد
 ولقد هؤلاء المساكين انماهم الأخيرة تحت بعدات لأكثر فصدعة لم
 يستعمل أي ماي هذا النوع من تعذيب منذ عهد صالح باي، ولكن حكمه
 كان يشرف على الانتهاء.

قادمين من مدينة الخرائر، وصل في قسقية سي محمد بن مارك، صهر
 لبشاش، وباش آغا من أحسن معديه الوصية لدايه بني تركها، تشكر بعد
 وهدته، فوجدوا صديق الحرية خاوية بريد، لأن ابنه محمود قد بدد اجرة
 الاكثر منها، وبعد انقص عليه، بنقى صرب سرحا، عشت من أحسن اشراف
 اعرايت منه لقد أذكر في اسرته، ولكن من شدة الام، عرف بأن بحورته
 اثنتي عشر حرية مبينة بذهب وعصاة وتشجعهم بعد هذه المحادثة الموفقة،
 اعداد محاكموه لكراً، لأبم متنايه، واعيدوا على مؤشريت حديدية منه؛ ووجد
 في اسفل الوادي كساً مبيد بذهب واقصة أبصاً وأحيراً، وبعد أن أشعوا
 حسده من كل ألوان العذاب، وتأكدوا بأنه لن يأخذوا منه أي اعتراب حراً
 أطلقوا سراحه

لقد بقي لدى بعد تمام عن هذا التحقيق وظل قادراً في حربه عرانية إلا
 باشاش بروانه بوحشه، كم لو أنه أحسن بأن لموت سيصمعه حد عيا قريب

وفي الواقع، فإن معونتي الشاشا تأكدت بمسئولتهما بأن وجلا مثله ليس كعباً
لمصعب الذي زعم إليه؛ فكننا لسيدهما محمد بن علي جرى وفي رسالتهما عدداً
كل ما يجب تصرفه الباقى من صعب وديش، وعلى رأس ذلك كله،
والصداق الذي سدها للبهود الذين جعل منهم جماعة الواحدة
سرعين ما أصدر علي حجة علي عرلة وفي خطة مرور من الأتراك
بغير مكره مملوك من أصل انطالي يدعى أحمد؛ معقفاً على ذلك بأنه إذا لم يجب
بمرحس لمستطس فإنه سيعتق سودانياً أسوداً باب عليهم.
من ربيع حـ. عرل قارة مصطفى إلى قسطنطينة؛ حتى قام الخوذة جنياح
النصر، فوجدوا الباقى المملوك عصب في إحدى الروايا، فقتلوه دون شفقة
لم يدم حكمه سوى شهر واحد.

أحمد باي المملوك

1233 هـ، فبراير 1818 م

يحمل حناء، أحمد باي بن عبد الله، ١٢٣٣

قام معونتي بلاط مدينة أحمد باي بتقصي الباقى الخديعة، ومكث شهراً
لمساعدته في سطر سلطنة، ولاصلاح لتوصي التي انتشرت في الإدارة خلال
السنوات الماضية ثم عاد، لا تلتزم حناء من معها أموال الخيرية وسعة عشر
سنة يهودية أهله، لا لسيدهما علي حجة
يوم تسلّم أحمد المملوك غشياناً تنولية كان طريح الفراش بسبب كسر
في صافه جراء سقوطه من حجة أهله لقد كان رجلاً مثقفاً، مدهراً في تسيير
الأمر، متفهماً لإعادة العدالة، وحريصاً وسعيها في اتحاد القروا
كان المحزون في عهده بشكل كالآتي، أخاخ أحمد بن محمد الشريف؛
حينئذ، من العلمى؛ أعما الدائرة، بالقسمة من ركزي؛ ماش سراج، عبد الله

عادت هذه الغنيات لاحقاً معونتي من طرفه الشاشا حسين باي وفي عام 18٦8 كان عدد
شهر لا يزال على قيد الحياة

من ركري؟ ناصر سبار، مصطفى بن لبصر، فايد الدار، وإحاح عبد الرحمن بن معمور، باشا كاتب ولقد أراد أن يبقى جميع موظفيه مجاناً حتى ينتموا بواجباتهم بشكل جدي.

في هذه الأثناء، توفي ناصر الخرائير، علي حوجة، في المنح من مارس 1818 حيث هلك بالهطاعون الذي احتاح المدينة وقام حلقه، حسين داي، الذي تسبب في كارثة 1810، سراسلة الباي بأمره بتوقيف أولاد بن ركري من وطنهم، وإرغامهم على الذهاب فوراً لأداء فريضة الحج فعادوا المدينة سريعاً باتجاه عتبة بصلحة عبد الرحمن بن معمور، والشايح محمد بن بودرهم، الذي كرمه الباي بحمل إيرادات حموس الإقليم المخصصة لمكة والمدينة.

وتعد سياسة سبار، وسبب شكوك سبطة، قدم بإعدام محمد بورقة، وإبراهيم بن قواي، وسي محمد بوالقرنة وآخرين كما أدخل بعض استعيرات على تشكيكه للحر، فخر عمار بن عور آغا للدائرة، وعربي بن اعلمي باش سراج، وعلي المملوك فايد عريب الحمر، وخبوي فايد التلاعمة، وسبيح فايد عبد لور، وسي مصطفى بن كوتشوك علي، باشا كاتب، وإحاح عبد الكريم المملوك فايد الدار.

محلل فصل الصيف: حرج الباي عن رأس قور بتأديت سي عامر، ولكن ما إن شرع في المسير، حتى وصل إلى معسكره رسل يحملون حصاناً بالأعاب الذي يفود جيش الحملة لقد كان أمر بتوقيف الباي ممتأخر الأعدي تهيد، حيث تم تسليم أحمد المملوك مقبلاً إلى المعوثين الذين أحدهم معهم إلى مدينة الخرائير، ومنها تم نقله إلى ماردة، بقدوم حكمه ستة أشهر، ولكما سوف نره يتقلد قيادة الإقليم للمرة الثانية.

امحمد باي الميلي

1233هـ، نهاية أغسطس 1818م

يحمل خاتمه: امحمد باي بن داود

عُيِّنَ امحمد الميلي قائداً للعوامي، وقبل أن يلتحق بمصبه تمت تربيته على رأس إقليم قسطنطينية. لقد كان رجلاً فصلاً وحاملاً، وإدارياً سيئاً لا يستعمل إلا القوة الممجية والابتزاز، الذي كان التجار واليهود أكثر من غانوا منه. حيث أزهقهم بالإتاوات، وأرغمهم أكثر من مرة على سداد مودهم السبعة بقطع نقدية مقروصة عن الورق النقدي وعدم كون يتقدم العارمون لسداد صراحتهم؛ كان هو من يستلم المال شحصباً فكان بعده وينقص الخطأ، ويتطهر بعدم تحصيله على المبيع المطلوب ولم يكن ضحايا هذه حيلة الخسيسة امساكين يتحرّضون على لقول له بأنه قد أخطأ بعد، يجتازون التصرف الأسيم بالنسبة هم؛ وهو السكوت والدفع مرة ثانية.

كان موظفون في عهده هم: اخاح أحمد لشريف؛ حليفة، ويوسف؛ قايماً للدر، ومعمار بن حرش؛ آغا للدايرة، وعممة الله شقيق اسي؛ قايماً للعوامي، وسي بن مفاشم بن مرهود؛ باش سراج، وسي محمد بن الرواي بن جلول؛ باش كاتب، وسي علي بن مريحي؛ باش سبار.

مع نهاية فصل اصف؛ شحمة على سكن أورلال، وهي قرية في ارباب، الذين انتقصوا بإيعاز من مدعو دباح بن بوعقار لم يكن هجومه الأول موفقاً؛ فتعَيَّن عليه التراجع أمام قوات العدو الكبيرة، وانتظار التعزيزات قبل استئناف المعاداة. ثم نقص عليه بقوة فكان لصريحه، ولكنه تكبد خسائر كبيرة. لقد كان من بين القتلى معمر بن حرش آغا للدايرة، وتم دمه في طولقة، مكان الذي يرقد فيه حشون سيدي علي بن عمر.

مقتنعاً بهذا النجاح، وبعد تعريم انهرامين وإتلاف جزء كبير من جبلهم؛ سلط الباي طريقه نحو قسنطينة، وفيها قام بعمليات دموية.

في أوقات فراغه؛ تحيّل استعاضة ليطعان، وهو السلاح المدع في يدي

الشواش، بما يشبه الجُفول (الشطابيه) دا مشهور عريضة وحادة كان يُرْس مقهى الشواش؛ حيث كان يُعلق دوماً ليكون بمثابة فرائع للهمزة، وكان يُستعمل كما يلي

يوضع الرجل حاث، ويهال الحديد على عنقه مثلما يهال معول حمار القصور على اثواب، بشكل يوحى بأن هذه الأداة تحمر الرقاب، مثلما قيل على حد السيف أنه يحصدها وبسكارة لشجرة المقصنة هذه؛ أطلق على لاي الميني لقب «بوشطابة» الذي صار يُعرف به منذ

كان قائد الدرية مرحاض؛ ذلك الأسود انكشف بحرسة ساء حرم، وسي يظهر لرموري، نائب قائد الدار، أو من صحابا أداة لموت هذه؛ التي سقطت بها أيضاً رؤوس الناس سبار، وسديك من داي؛ اندي كان أع سدايرة وقائداً للرمالة في آن واحد، وعدد كثير من عرب الخراج

في ربيع السنة الموالية، 1819، تنقل إلى مدينة الخرائر ليدفع البصرية شخصياً، وقام بتقديم هدايا معبرة لأعضاء الديوان من أجل كسب دعمهم وبعد قضاء شهية أيام في المدينة، كما حرب بعدة، فقل رجلاً إلى قليعه، ونكر، وقل أن يهي المرحله الأولى من الطريق، تم توقيعه من طرف شواش الناس، واقتادوه إلى علبه أو ربما إلى شرميل؛ حيث بقي معتقلاً حتى قدم الفرنسيين؛ لقد دام حكمه عاماً واحداً.

1 عاد إلى قسطة بح حكم الخاج أحمد، ولم يعادها إلا بعد سقوط مد الذي في 837 هـ وأصبح فيها بعد وكتلاً بعد العادر وبصيف هذه الملاحظة المعروفة عن بربروعر «سعين الأمر بقية سيدي عبد العادر الجيلاني، الم رابط الشهر في مدينة الخرائر وبعد رات ادهوب الشهر بين يدي الناي الأسبق؛ الذي كان يظهره طواعية مع من الكريهه فقد كان مُرباً نقوش وكتابات مطعومة بالصحة، وكان المبلي يشرح طريقه استعماله بأعداد كبير»

براهم باي العربي

1234هـ يوليو 1819م

يحمل خاتمه: براهيم باي بن علي، ١٢٣٤

كان براهيم العربي باياً للمدينة، وكان متواحداً في مدينة الخرائر تزامناً مع تواجد بوشطايه فيها. وبمناسبة هذا الطرف عُيِّن باياً لقسطنطينة، وظل وجوده بالعاصمة صراً. وبعد توقيع بوشطايية؛ لحق بالمحنة المعدرة بين قسطنطينة لقضاء الصيف هناك وقد صاحب معه مئة كبيرة مؤنعة من مئتين حبة. وابتداءً من ربيعة؛ أخذ صرية الصب من جمع لقنن التي وحده عن طوب طريقه، الأمر الذي أطال رحله شكل معتر فلم يصل إلى قسطنطينة إلا بعد شهرين من معادرتة مدينة الخرائر، وحرص لاستقباله الأهالي المشوقون محتشدين لرؤية سيدهم الجديد.

لم تكن العييرات التي أحدثتها في تشكيلة المحرور كبيرة؛ حيث عُيِّن قريبه علي بربر فريداً للمعاشي، وسليمان سح لمحلوك فريداً للدار؛ فيما أبقى على الموظفين الآخرين في مناصبهم.

كان أبي الحديد دافعاً مراراً، ولم تكن يقفه كثيراً في لشؤون الإدارة، ولكنه كان يتمتع بروح عدل؛ فكان عدوً لظلم يعرف كيف يقضي موعده في إطار حدود روحه وكان يدر ما يذهب إلى لمحكمته؛ فكان يقضي أغلب أوقاته في ديوانه حيث كان يفضل راحته.

كان يشغل شخصه أكثر مما يشغل مصالح رعيته؛ فلم يكن يهتم سوى بتأكل لحيد والمساخ الحامل وكانت تنفع على عاتق الخليفة، حاج احمد، مهمة تسير جميع شؤون، وحتى لو لم يصح يوماً بعد شكر رسمي؛ لا انه كان كذلك فعلاً ولكن التأثير الذي كان يمارسه على الباي لم يكن ليتعلل على انماصات الحسودة التي أثارها صده سلطته المطلقة وللحاجة من أبواب الذي كان يهدده؛ تعيَّن على الفرار من قسطنطينة لئلا يمر بالمحدرات ابو عمرة سيف شارع الطاييه (حي البلدية حالياً)، ولحقاً إلى مدينة الخرائر وعيَّن محمود بن شاكر خليفة مكانه.

في مصر حديد: كان محمود كعادته طاماً وغامساً ومحتلاً ووجراً ومتعطراً، على الرغم من أن سوانحه كانت هي شأنها إبعاده عن السلطة هناك وبخاصة في سبيل صفت سيده وتأثير مصره كان بسلطه بعض هذه الشخصية، لأن واثق والصراف على العارفين، وبهذه الحرية، فيؤمن بذلك لنفسه مداحياً بقوى تلك التي تعود للناسي نفسه: لقد كان تسير ثمانية برمتها من يديه كما وصلت به حراته حتى إلى عزل أعضاء المحرر الذين كانوا يستقوبه، واستداهم برحاله. وعليه، قام بتوقيف فريد بدر الحديدي الذي حثت سبيل بيع، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن عزمه ثلاثة آلاف ريال، ثم خلفه بمقتضاه علي مملوك

استعراقه في لامبالاته المعتادة، ووهبه من ملذات الحريم: ظل يراهم بأي بعيداً عن جميع تصرفات حبيبته، وأحسن بأن يرادته كانت أصعب من أن توفف تعفنه ولكن شكوى كانت قد وصلت إلى بلاط الخزانة، وإذا كان مملوك ابن تشكو قد وصف هناك بالثقيف، فإن الناسي تعرض أيضاً للاستفاد من حبه هكذا تصرفات

في جانب أنسب لاستياء هذه. أصعب سبب آخر أكثر خطورة من حره لاحتلات سوميه التي كان يقوم بها محمود وأعوانه أصبحت الحرية شبه جارية مع وصول موعد ديوش أربع ورغم الإسراع بإدخال بعض تصرفات بأسر ف عارمين بقي لغير كبيراً كما أنه لا يمكن إرجاء تحقيق هذه في جانب الذي لا تساهل بحكومة التركية برءه أسا

بصفته حقة: عذر محمود حاملاً معه كل ما استطاع أن يجمعه نقداً وعيلاً وبوصوه إلى مدينة حرائر، ثم بإداره بأن أحصيلة لم تكن كافية، فأجاب بأن ذلك كان كل ما أعفاه الذي تار أساء، ولكن للأحر يفره باستكمال الحرية فوراً، ونفهمه بعد رب شديدة الدهشة بأنه لم يكن راضياً على تسيره لم يرسل إلى أي حواب، فقاه الديوان، الشاقد لصبره والمعروف بعدم قدره مثله على حكم، بعونه وتنصب مكره أحمد باي المملوك، الذي رأه يشغل هذا المصب قبل عامين، وكان مذكاً معيانياً في مارونه

أحمد باي المملوك

للمرة الثانية 1235 هـ، أغسطس 1820م

يحمل خانته أحمد باي بن عبد الله، ١٢٣٥

عندما عُيِّن أحمد مملوك باياً لفلسطين للمرة الثانية كان يورهم باي
مُسكراً مع حاميته على أراضي لفسطية وهناك اعتُقل بأمرٍ من الباشا، واعتُيد
إلى فلسطين ينتظر في سجون القصة المصرية الذي سحُصه له حلقه
وفي العد وصل الذي الحديد إلى أبواب المدسة؛ مُصّت له حيمة شرفية
بالقرب من المصلى عبر البعيد عن كدية عتي وحرحت سلطات المدينة،
وهيئة لعل،، اسي تشكل أعين الأهالي، لاستقباله وتقديم لتبّت له
بالقدوم لسعد وبحضور هذا، جمع تحت قراءه العرمان الذي يعينه الباشا
بموجبه عملاً له في لإقليم وردّ جمع الأهالي على هذه، بقراءة بنفقات لفرح،
وفي بوقت منه دوى صوت المدافع، وسط هذه الرشقات الدرية وذلك
خشد بعين، تم دخول أحمد باي لاحتفائي للمرة الثانية إلى فلسطين وبها
كان يستحوذ على مقصر لذي أقام فيه من قل؛ فتحت أبواب انقصه أمام
السواش، وتدرج حرت رأس اسي السابق على الأرض
بعد كات إشارة بتم، حيث أن الذين فرحوا بعزله قل عمن قد
أصروا في ممتدكهم أو شحوصهم هي بربر عي، قائد بعواسي، وصهره
أحمد بن برة، وجمع خدمهم رُخ هه في السجن، ولم أحرحوامه لاحقاً تم
بغيرهم بن اسيه، أما محمود بن تباكر فبعد غول، ووُضع مكانه أمين حوحة
وفي الوقت نفسه؛ أُدخل إصلاح كمل في تشكيلة المحرر
عُيِّن أحمد بن احملاوي على بلدايرة، وأمين حوچه حبيبة، وسي عبد الله
بن وكري باش سار، وعلى بن الخناح زايح باش مراح، والخناح عبد الرحمن
بن بعون باش كاتب، ومصطفى بن ليصق قائداً للدار، وبراهم الفريسي
قائداً للبعواسي، وفرحات بن سحون قائداً لفرمالة.
إن حب أحمد للحرب قد دفعه لشن حملات كثيرة؛ لم تكن العدالة دوماً

لمعتززون أول من أصابتهُم أسلحته المنتصرة ومن هُناك هُجِمَ ناعاً على أهلي ربيعة، وحدث ساحل النور، وأولاد تان، وأولاد سي أحمد الدين كانوا يقيمون في العنقة على أعالي ربيعة. وسي كان ساحح حليمة في كل حالاته؛ لم يكن قائد عبد النور سيدي سليمان، أقل حظاً منه ضد قبائل أولاد سلام، وأولاد علي بن صابر القنفدية لكن حصنة التي حقق فيها أكبر نجاح وانتصار كانت تلك التي شنّها ضد بلاد سوف؛ وهي مجموعة وحشية على حدود الصحراء.

وعتادهم على بعدهم وعن الرمال المتحركة المحيطة بواجباتهم؛ لم يكن سكان سوف يعترفون أبد سيطرة سايث إلا اسمياً، وبدلتهم يكرهوا يدفعون الصريبة إلا إذا أرغموا على ذلك بالقوة؛ فعزم أحمد باي على تأديبهم كما فعل صالح باي من قبل.

لم يكن صعوبات حملة بعيدة كهذه، ولا لمقاومة لباسة بعدو توقف شجاعته بحفلة؛ فدخل إلى عاصمة سوف منتصراً، وشيحت المدينة للهب بقد كرات العنان كسيرة؛ من ذهب وقصبة ونير (مسحوق الذهب)، وأمشة خريد وتشرت وسريش؛ حيث وقع كل شيء في يد الخند، ووجد الأهالي أساكين أنفسهم، حلال ساعد، محردين من كل ممتلكاتهم واستعمت حملهم بقل حولات تمر البعيدة لمسحرجة من الحار.

في طريق عودته، سقى الباي استسلام شيع نفرت البدي كان يحشى، دون شك، أن تتعرض مدينته نفس مصير سوف؛ فلم يكتف فقط بدفع انصرسة نفروسة عنه، بل أضاف إليها هدايا معترة تشكيت من أقمشة مخفية، ومسحوق ذهب، وريش البمام الأسود، وبفوداً نُقشت عليها صور نيت تونس. كما أحد اخنود معهم بعاماً وعراًلاً ووعولاً وحى صغار نطاووس كما لوحظ معهم حلال من سلالة البهاري على ظهرهم سرجان حاصان معطون بعباش أحر وقطيفة امتطى لبى أحدهما، وسوا الآخر

مبيد أولاد حسي بن طلال البوية؛ لبى عُثر قائد عدها سنة ١٨٠٦
 حواف حيا ثم هي نسبة هذه حروب في الصحراء وهم هو سريع بدمهم
 من قطع قطع من ١٨ إلى ١٩٠٠ م حربه في اليوم بوحده

على إحقاقه بها بأمر من الشاشا خلال فترة حكمه الأولى.

وقام معظم أفراد هاتين لعائلتين؛ المعتدتين بالخطوة التي أولاهما لهم سيدهم باستهارة الطرف لسلب ممتلكات تحكمهم، ولم يكن جشعهم يعرف حدوداً ماداموا يحظون بحماية سامية كهذه.

من بين جميع محطيه؛ كان الشاش مكاحي منصور السيلي أكثر من استعانة من أوصاله. ولقد ادهش هو نفسه من المكنة التي شغلها في نفس الباي؛ باعتد به من أرفع شأناً من أعضاء المحرن الآخرين. وإذا كان كبرياؤه يجعله مضحكاً؛ فإن استبداده قد جعله مقيتاً.

حد مصطفى من ركزي حدوده، ولكن الخاج عبد الرحمن من محمود لم يعمل ذلك. هوراء مطهره لتواضع؛ كان يوجد من في المشاعر يجده يرل عند الحاجة ليكون في خدمة الجميع، وتتحول صرامته وكبرياؤه مع نظرائه إلى رفق من هم أقل شأناً. وكان حديثه هادئاً بدرجة أنه كان يمكن التقرب منه دون خوف؛ لأنه كان طيباً ورؤوفاً للجميع، وكانت يده المبسوطة مستعدة دوماً للعطاء لفك كرب المحتاجين.

وكذلك كان حال عبد الله من ركزي أيضاً بدون تكبر، ورغم اسمه ومكانته الرفيعة؛ كان بهم سعادة محكومة، ولم يكن يستعمل تأثيره إلا لإنقاذ الأبرياء من أيدي بقصة «نقاسية» الذين غالباً ما يكونون قبيلي الراهة. وكان طموحه الأكبر هو تعميم العدالة بين الضعيف والقوي.

هناك شخصية أخرى معروفة لدى نقاري بحديث عنها في هذا الموضع إنه محمود، ابن شاكر باي الذي نجده حبيبة مرة أخرى رغم تزاراته المستمرة وبوارع حياته عبر لمصطفة، ولكن ساعة نزاع الثقة منه لم تكن بعيدة، وكان سبب ذلك ما يلي.

بينما كان الباي يقاتل في الجنوب؛ كان محمود في قسطنطينة مثلاً للسلطة، فقرر يوماً لخروج على رأس طابور مؤلف من معطوبين أتراك الحامية لشن عدوه ناحية الساحل. ولما كانت تدفعه روح أبيه الشيطانية؛ أحسّ فحاة شعشع حامي للقتل. ولأنه كان حياً بقدر قسوته؛ فدل أن يهاجم العدو

وجهاً لوجه فصل اللجوء إلى الغدور.

بحجة طلب قوايب مساعدة؛ استدعى إلى معسكره أولاد براهيم، وهم بطن من بطون قبيلة الوندايه الكبيرة التي كان يتزعمها قياداً تمتد سلطته حتى سي وسان وبعض انعاش العائلة فأبى أربعون منهم بأسلحتهم وحيوهم، واستقبلهم الخليفة بحفاوة كبيرة، ثم أطلعهم على بيه شش عذرة، اعتاراً من اليوم الموالي، على سكن الساحل وبما أنهم لم يحملوا حياً معهم؛ فقد آواهم في حيام حوده التي كان عددها عشرون ولقد قام بقصصهم عن بعضهم بتقسيمهم عليها شش شش، وفي الخارج كانت حيوهم ترعى في هدوء مع حيون فرسان المحرن وسرعان ما استسلم الجميع لليوم أو بظاهر بذلك، حيث أن الاستيفاط سيكون رهيباً بالنسبة لكثير منهم.

وفعلاً، ومع طلوع فجر العدد؛ أخرج من الحيام لعشرين رجلاً مقبدي الأيدي ولأرجل، بسحبهم الحدود، وكانهم منتصرون، أمام حيمة سيدهم المحترم. تم اصطاف هؤلاء الأربعين تعيساً، وفي حصرة من تشاكر، تم صرب أعناقهم بكل برودة من طرف سقاجه لم ترحم أي واحد من هؤلاء الأربعين ربنا أمام هذا الوحش، ولم يمكن أي واحد من هرب من هذا الكمين.

لم يكن لذلك العذر المرفق بالوحش أن يطل دون عقاب، فإذ بلغ بأ هذه المصاعه انقصة مسامح أحد، حتى استكبره بشدة، ببس بعدة حجة الخريجة في نظره، لأنه كان قد يعمل هو نفسه بهذا الأسلوب عند الشيش، بل لأن أولاد براهيم كانوا حدم محصين به يقومون بمراقبة شبيطه للطرق، وأن حصارهم ستصبح المحال واسعا لقطع الطرق ومن جهتهم، تقدم أعضاء المحرن في وعد شكواهم لديه؛ قائلين «معرفة حدم الخريجة التي فترقي الخليفة من مجراً منه على الصيام بمؤامرة كهده» ماناً أكد، لا أحد قبله ولكن، من يكون هو؟ وأنة سلطه يتمتع بها ألس، مثلاً جمعاً، حاد مك ومعد أو امرك؟ وإنه نحشى أبصا بأن نجحك بلاط الخرائر مسؤولية هذه التصرفات، ونقال بأن حدمك لم يقم إلا بتطبيق أوامر سيده فأسر عواء، إذاً،

يسبق لشكوك التي يمكن أن يحيط بكم؛ وتدعوا بالمُدد الذي سيحل به
العدو والعقاب، ولتظهر براءكم في اليوم المشرق.

أحد الذي بهذا الرأي الحكيم؛ فأرسل تقريراً مطولاً إلى ديون الخرائز
حول حريصة أولاد براهيم، وسرعان ما تلقى الأمر بعزل الخليفة لم يكن
العقاب أكثر من هذا، ومن الطبيعي أن يستدعي ذلك الدهشة، دام يكن
العامل بركيا ولصحابا عربا؛ فالطعين التركي قد أصبح مصرع أشد عد
هؤلاء. كي يهدل عددا، إن الدث لا تأكل بعضها وعين لفيد سبين
مكانه

خلال حكم أحد باي عدت لمدينة من بحاعة كبيرة قسم تكن مؤن
أسوق، ونقص انقمح والشعير في كل مكان. وتلقى لشواش، عث،
لأمر بالقيام بحملات لأحد الخبوت التي يجذوبها في المحارب ودياً أو عوة،
فكانت الكمبات اسي جمعوه غير كافيه، وعانى الكاب من جوع شديد
فقد كان لدس يسارعون إلى محيط السوق، كل صاح، يتدعون شره
بعض حولات انقمح بعادة من مهابت بعدة، ونحاً ما كنت تحدث
مباحرات دامية وسط العامة الخائفة، نبحر الشرطة على قصها ولقد كان
حسن الأخلاقي عالياً أيضاً في تلك السنة، 1822

مع نهاية فصل شتاء ذلك العام؛ شس الذي حلة على المعمره، لقبيله
ستقرة في حال الأوراس، ولكن الحاج لم يكن حلقه هذه المرة فمهرمته؛
متر عبه الترحيل جمع دون تحقيق آمه وما راد من مأساته أنه لدى عودته فقر
جوده وسقط معه، فكُترت ساق الساي وأهل إلى مسطيه وهو بعد من
الوهن واللم

اقترب فصل الصيف، واقترب معه موعد الدنوش. وكان من الضروري
هذه المرة أن يتصل الذي شخصياً إلى مدينة الخرائز لدفع الصربية. ورغم أنه
شُف تماماً من الإصابة، فإنه لم يتردد في السير، حيث قضى أسبلة الأولى في
برهيرات، وفي اليوم الموالي خيم في دراع الطبال، وفي اليوم الثالث نص
حياته بالقرب من قارب.

هالك، هتت عاصفه محمله بالترد، وكانت شديدة لدرجة أن معظم حيول ولعار التي تشكل القاطله صاعت وقد أوشك الرحال على الهلاك إن طالت لأبراء أكثر؛ لأن الرياح اقتلعت حيامهم، ولم تكن الأماكن القليلة التي لحزوا إبيها في تلك المصايب الخالية لتقيهم في مأى عن العاصفة لمدة طويلة ولكن الله كان رحيماً بهم؛ فالغيوم المتراكمة فوق رؤوسهم بدأت بالانقشع، وصفت السماء، وبدأ التمكنير في محاولة إصلاح ما تخرّب لقد كتبت الخبر كبيرة، حيث أن راذ الطريق وأمتعة السفر فسدت أو صاعت كلها تقريباً، ومعظم الدواب تاه أو قُتل، وأصحت جمع الخيم غير صالحة للاستعمال. كتب الدي لقائد الدار بأمره بأن يرسل له، على وجه السرعة، كل ما يحتاجه لمواصلة رحلته؛ فسارع فبهد الدار ثلثة طلته وفي الوقت نفسه أرسل يهوداً من أهل إصلاح الخيام الأقل نصرةً ولقد أبحرت الأشغال سخط مكثهم خلال بضعة أيام من إصلاح الأضرار؛ ليواصل المركب طريقه بعد وقت قصير.

بافترده من مجاعة؛ حرح أولاد مفران لشعبة الدي، حيث كانوا يركبون حيولاً مسرجة مسروح فاخرة ثم احتلظت صيحات فرحهم بدوي إطلاق النار، ومطم استعراض رائع للحيول؛ أراد الدي أن يعتر فيه عن سعادته بهذا الاستفاد الذي يشه احتمالاً بالانتصار، وقد انطلقت عرائره القتالية؛ حيث أراد المشركة في الاستعراض ليظهر قدرته وبراعته وسط مجموعات المتسابقين ومن مساوى الصدوف العربية أن رصاصاً عائشة انطلقت من سدفية أحد العرسان كان بجانبه، والذي كان الذي متزوجاً من أخته، فأصابت يده وهشمتها، وسقط أرضاً ممعاً عيه، وعقد للحظة أنه مات فرجل الجميع مسرعين إليه وحملوه، ولما استرجع وعيه؛ وصعوه على الميسان وهو ما يشه اليهودح المصنوع من الخيالك لجعل على ظهره - حتى أوصلوه إلى جيته ومع أن الإصابة لم تكن خطيرة؛ فإنها كانت تستدعي الراحة التامة لبضعة أيام، ولكن أحد لم تكن بود الانتظار، فأمر الحامية في اليوم الموالي بمواصلة المسير.

وأخيراً وصلوا إلى مدينة الخرائر، ودفع الباي المصرية في صاديح الخزينة العامة، كما أنه لم يسر تقديم الهدايا للشخصيات القاعية في البلاط. ورغم كل هذا، ولما كان يستعد في اليوم الثامن من وصوله للرحيل إلى عاصمته؛ وصل أمر من الباشا بعزله واحتجاره للمرة الثانية في مارونة. فمكث فيها حتى وافته المنيه
دامت فترة حكمه لكثيرة ستين اثنين، وحلعه براهيم باي

براهم باي القرينلي

1237هـ، شهر أوت 1822م

يحمل خاتمه: براهيم باي بن علي، ١٢٣٧

كان الباي، حديد، انفايد السابق للحراكنة، متواجداً في جبال النبال عند وصول إلى قسطنطينية حرمته وصرعان ما أرسلت إليه الخطابات الصريحة التي رُفع بموجبها إلى هذا المصب السامي؛ فانطلق مباشرة من مكان لذي كان متواجداً به إلى مدينة الخرائر لتلقي فغطان التولية من يدي الباشا وبعد الانتهاء من هذه المراسم؛ عادر المدينة لينسجم قبده الحديده وفي الطريق لتقوى بالمرفقة التي سنشكل حامية قسطنطينية؛ فانجدها موكباً وحرماً له بوصوله إلى قصر الطير، ساق معه إلى سجن قسطنطينية أبناء ركري وأبناء خدمهم الذين كانوا محظيين عند الباي السابق، والذين بعد برفقته إلى مدينة الخرائر، قسّموا معه ما لحق به فسجنوا.

تمهل في اسير قليلاً حتى يعرف قبائل العرب سيطرته، ولم يستأنف تقدمه نحو عاصمة الإقليم إلا بعد أن رار كل المراكز الأساسية المأهولة الموجودة في طريقه.

بعد تم استقاله بمرح شديد، ولم تكن مظاهر الخور والسرور التي تلقاها من طرف الأهالي تداعي المناسبة فلقد كان، في الواقع، واحد من ثلثاء سكان المدينة، ورغم أصله التركي؛ فإن العلاقات الطيبة التي كان تربطه دائماً بالعلماء وعامة الناس جعلته منذ فترة تكسب محبة الجميع.

لقد كان كريماً، شوشاً، صادقاً، محباً للخير برعيته، رقيقاً ورؤوفاً بالناس
الخيرين، وصارماً وعديم الشفقة مع المحرمين ومثيري الموصى بهم كدوا
ونجت حكمه لم يكن يحدث أن يقوم كبار القوم بتلك الممارسات التعسفية
التي تجعل سلطتهم ثقيلة ومفيتة. لقد قمع الاستبداد وانتعسف بشكل
صارم، وللاحتياط بحظوة سيدهم، تعين عليهم التقيد بحدود واجباتهم،
معاش الأهالي في هدوء وسعادة.

كانت تشكيلة عمره كما يلي: الأخ حبيب؛ حليفة، نوريان بن لعمي؛
أحمد البيرة، سي محمد الرواي بن جلول؛ باش كاتب، سي براهيم بن قارة
عبي، صهر، ساي؛ فايد الدار، أحمد بن الحملاوي؛ فايد بومنة، وحلاوي بن
معطي؛ باش سراح

العارفان المشهوران ابوحيدتان بنان حصلتا في عهد براهيم ناي
كانتا هدفاً لحصاع الثائرين فكانت الأولى ضد اسمائته الذين رفضوا
دفع البصرية، حيث هاجمهم الساي وقوته بهجوم ماض، وسلمهم سنين
ألف رأس ماشية، بيعت لاحقاً لأعضاء المحزون وللقائض، ما حقق للحرنة
إبراً ثماني ألف فرنك أما بعاره الثانية فكانت ضد العمارة وسي وجنه،
ساكني الأورس الذين كانوا يعيشون في ثورة دائمة، وقبل فترة صدروا
يقومون بنسج على أموال نعب وقطع لطرق فتعرضوا لعقاب شديد، ولم
تكن خسائرهم أقل من خسائر السامشة.

في هذه الأثناء كان منصب فايد العواسي شاعراً؛ فعين ساي في هذه
الوظيفة مهمة إسماعيل، ولكن لأنه كان فتياً جداً على أن يؤدي مهم
وطيفة نفسه كهذه على أكمل وجه؛ أُلحق به الشيخ سي أحمد المعالي كمعلم
ومستشار فقد كان رجل علم ونقى بادرين، وكان حبيراً في تسيير الأمور،
كما أنه أدى مهمته على أكمل وجه بالسمعة بالتلميذ انفتي؛ لذي أدرك أنه
قل القادة يحب تعلم الطاعة، وأنه على السيد ألا يسيء استعمال سلطته

¹ لا يزال هذه لاس على بعد الحياة، وهو اليوم ملازم أول، في مرتبة الصباحية الثالثة ويقيم
بقسطينة (1857).

وما يربى الخواكفة يهتمطون بذكرى طيبه عن تلك الأوقات السعيدة، ويكفي
كأن قصرة خلدًا

لم تكن كل مصروفات إبراهيم باي عادلة. فهي أحد الأيام كان يقوم بحولة
في حجة لمعدن، بالقرب من بلاد أولاد شليح، فلقى في حجته رياراً من
ابن المراتط سيدي إبراهيم بن أحمد بن السعيد الذي كان والده صاحب
كرامات وبعد حديث لم يكشف سره أبداً؛ صرت عفه، ولكنه دم على هذه
خربة فيما بعد

بعد أيام جاء للاقائه في عين ياقوت، من أم الأصايب وبنته، رخلان من
الصحراء؛ الرباطي ومو حصص وكان وجههما متعيرين، وذن صوتهما عن
بثره كبيرة. استمع الباي لشكاواهما هده في نادى الأمر، ونكس أحدهما
وهو الرباطي، ففعل بدرجة أنه وحده له عبارات مهية لم يتمكن الباي من
السيطرة على عصه، فثار وهال عليه لفتته ومن حسن حظ الرباطي أنه
نجب صرته، وتجا إلى حجة ابنه إسماعيل ركض الباي وراءه حاملاً
سبه، وما أدركه صرته فمضى عليه لقد كان الرباطي رجلاً قطاً سيء
السمعة، يروع برعب في ملاده سرقاته وقطعه للطرق، فم يلقى لا اعتقد
العادل عن جرائمه ووقاحته.

سرعان ما وقع حدث حليم كان له من السائح الوخيمة ما عشت على
هذا الحادث الصغير فقد رفض أولاد سي علي تهاجت دفع لصرية، وم
يربدوا، بأي حار من الأحوال، أن يعترفوا سلطنة أعضاء البحر فكتب
فايد ارمينة، أحمد بن الحملاوي، الذي كان يشرف عليهم، بطبع الذي
عن وصية لأمر. حتى أنه تعهد بتقديم استقالته في حالة ما رد رفض
الذي تأديت هؤلاء المتمردين، وأصاف بأنهم لم يكونوا كثيري العدد، ولكنه
من لصعب اللحاق بهم في الخيال التي يتخذونها مجاً لهم أحد برهم باي
شكوى مساعده بعين الاعتناء؛ فأرسل طابوراً لإحصاع المتمردين، وكان
على رأسه الخيفة الحاج حسين، وفايد الدار من قاره علي.
نوصوهم إلى أراضي أولاد سي علي؛ ترك القائد أعدية القوات في

الموخرة، واصططحها معهم القوم وقوة صغيرة، وانتشروا مند الصباح في
المطقة للاستيلاء على لاشية ولكن العدو الذي علم بقدمهم قام خلال
الليل بإحلاء السهل ولصعود إلى الخيال، فلم يجد جود القوم أمامهم
مقابلين محاربين، ولا عائم يأخذوها ورعم عددهم الصغير لم يترددوا
في اللحاق بأهاريين، ولكهم سرعان ما بدموا على محاربتهم هذه وحمل
توعلوا بين الخواشق الصيفة؛ برر من فوق رؤوسهم فحاة آلاف المسلمين
الدين استقلوهم بالسائق، وهاجموهم هجوماً ممثاً

في هذه اللحظة انفتت فرس الخليفة بصاحبها في أسفل الخاوية، واستعمل
الحليون حالة الفوضى الطرية التي عمت بين صفوف المحاصرين؛ فعادوا
المرتفعات التي كانوا محاصرين فيها، وانقصوا عليهم سحب شديد لدرجة
أهم لم يجدوا حتى الفرصة بفرار؛ فهلك معظمهم وهم يذاهقون عشاً عن
جبانهم أما الخليفة انصاب من حراء السفطة، فقد أمسك وقتل، وأما الناش
شوش إسماعيل ففطع أرساً، وأما فايد سدر وفيد الرماله اللدس فمك من
السحاة؛ فقد حمما من نحو من المخررة، وسارعو بالالتحق بنية الطيور
ليجتمع العريقان مساء ذلك اليوم وفي العد أحصر مرابط أولاد سي علي
إلى المعسكر خشان الخليفة وخامس بعض باده الأحرار الذين قصوا في
الصراع، فحملها فايد سدر بعديه، وأحدها معه محب نحو قسطنطينة بعد
حدث هذا في بداية عام 1823.

تأثر الذي هم حدث تأثر شديد، فقدم شرح في دار عدما وقف
بين يديه؛ حيث حمته مسؤوليه مقتر حشمه ورجال الدس كانوا معه
وحتى بلاط مديبه الخرازم يعف متحذلاً هذه بكارته، فكتب إلى براهيم
عز عن استيائه الشديد، مصيماً أنه من مشين أن يحدث تحت إدارته أن
بشتت حصه من العرب كسه من انقوب الطمسه وغول فايد السار وخيفه
براهم حوخته، وأسد مصيب الخليفة إلى بكر حوخته وبعد أيام عز أحمد

1 دعي حمله في جامع الثاني وهو المراد الذي لا سعد سر عز دتر ادي ايم به هرم
المراد داهم حوى، مريض به جابر يوم

حملاري أعما للدمايره حذفاً لموريات من العلوي؛ الذي تم عمله
ولكن عزة كان في انتظار مرهم ماي فيها كان لا يراى تحت تأثير ذلك
بمثل مريض الذي كثر بصره؛ مدعه بأن أحاه، مصطفى، الذي تركه صغيراً
في ركبته وصل إلى مدينة الحرائر، وأنه سوي أن يأتي إلى قسطنطينية بزيارته
بعد أن حل هذه الحزب العادة إلى بصره؛ فاسته الحزن الذي حل به بعد يوم
ورده على «يهود»، معزم منذ تلك اللحظة على تحصيل استقلال لبيعه
قريب من مائة أرفيع، وبمحنة التي يكفها للأح العائب منذ سنوت
هوال

بعد دعت ضرورة نواحب في هذه لفترة إلى قائل أولاد سلام القابلية؛
من تحت أوصى التلاعبة ولأن لمكان الذي ستجرى فيه لعمليات
ينح في الطريق، التي سيمر عندها أخوه؛ فقد سارع بالتنقل إليه على رأس قوة
كبيرة. وهناك التقى الأخوان.

بعد ما قضيا ثلاثة أيام معاً، وبأن الذي لم يكن يرغب في أن يدع مرة
حتى فائدة الحملات لأشخص الحزين؛ فقد ترك مصطفى يقدر وحده
في قسطنطينية في موكب مشرف، مدحاً به قصره الخاص ليقيم فيه، ومُنحاً
بأنه سستحق به عماً قريب. وبعد انتهاء العمليات، عاد مع حاميته وتفرغ
لأخيه، فطُمت خدلات، وتوسعت لترفيهاات وبعد قضاء شهر في هذه
مدية؛ عاد مصطفى مدعماً بالثريات ومعدقاً بالهدايا ولدى مروره،
وبفضل توسلاته؛ استطاع قديد أن ر المعرون وأساء من ركزى الحصول على
عفو الباي.

لقد كان فصل الصيف على وشك الانتهاء، وتوحد الاستعداد لدفع
دروس الحريف؛ فسارع أساي بتحصيل الصرب المتأخرة ولقد فعل ذلك

بعد مرورهم من السجن؛ لما هؤلاء عند مغوره من عاشور في مرجوة، حيث كانوا يعيشون
مذلت محب في حاله مررد ولقد وجدوا في وصور أح بيدهم مائة حبة للحصون على
عمر الذي قدسوا للآفاته في المكان المسمى بدرة العانة؛ حيث أحسوا ضيقه، وعرضوا
عليه موقفهم صراحة، ووعبتهم في العدول عنه. تأثر مصطفى بدمهم وحسن استقبالهم،
واعتهم بالوسط هم؛ فلم يكن وعده عبثاً، لأن الباي وافق على طلبهم

مهمة كبيرة مكّنه من إرسال حليفته حاملا الصريفة إلى مدينة الجزائر في الوقت المحدد وبعد أن أكمل الأخير مهمته عاد إلى قسنطينة، غير أن الدسائس قد فعلت فعلها في أثناء غيابها من خلال واحدة من التقلبات المعروفة في سياسة التركية؛ فوحد منصب الخليفة مشعولاً من طرف قائد الدار الذي أرغم على الاصطلاع بهذه الوظيفة ولم يأحر الساي أنصاً في احتدار تقلبات الدهر؛ حيث أن بلاط الجزائر لم يستطع أن يعمر له الهزيمة التي مي بها الأتراك على يد أولاد سي علي فمن خلال الاستعاب السارد الذي حظي به الخليفة في رحلته الأخيرة، أدرك بأن محمه قد أفل، وبأنه قد حانت لحظة التحلي عن القيادة التي كان يمارسها منذ عامين ونصف العام ولقد كان إحساسه في محله.

حدث هذا في أول شهر من شتاء 1824. وفي يوم جمعة، ومع ارتفاع صوت الأذان، برّحل رجلان عربان يظهر عليهما التكلم أمام قصر الذي، وتقدما إلى فايد الدار، الذي كان يتوصاً من أجل الذهاب للصلاة، وسألاه بشكل مهذب ومتحفظ عما إذا كان يراهم سي ما يراهم في حجرته من مظهرهم أدرك فايد الدار بأن المسافرين اللذين يقفان أمامه هما بالتأكيد شخصيتان ربيعنا المسرى وأحاسها بأن الذي قد ذهب تنوء إلى المسجد، وأمر بحمل أمتعتيهما إلى عرفة من عرف العصر، فل أن يتجه إلى جامع سوق العزل، حيث ينو احد الساي، حتى يحرم بقوم هذين العربيين، ويعتر له عن أوحى به كلامهما المتحفظ وهأنها لمرية

في هذه الأثناء، أسرع أحد المدرسين، وهو الحاج بوعلام، إلى أعاء النوبة، وسلمه كتاباً محتوماً بحتم باشا الجزائر لقد كان أمراً توقيف الساي وفوراً قام أعاء النوبة تسليح مجموعة من الخوود، وتقل معها إلى مدخل سوق العزل كان الساي، في هذه اللحظات، يستعد لمجروح؛ وقد أمر بتفريب فرسه إليه، عندما أمسكت بكتفيه أداً عيفة، وأحد مُقْبِدٌ إلى القصبة وفي هذه الأثناء؛ كلف الأعاء فايد الدار بالذهاب إلى بيت مساهي، وأن يأخذ له فرس الساي السابق لم يصدّق مساهي أدانه عندما سمعه يديه

بالبي؛ حيث لم يكن يتظر أنداً أن يحظى بشرف كهذا. ولما فتح فرمان الشاه وناكداً بأن عمه من تلك الحقيقة؛ لم يتهاون بمسه من المرح، وسارع بمعاذرة بي أحاده نحو إقامة الباب العجمي والخطيرة جداً
مكث الثريتي ثلاثة أيام أخرى في سجون القصة، فل أن يُساق إلى مدينة الحرائر وسها إلى المدينة وسوف يراه لاحقاً يدارع الحاج أحمد سلطته. لقد دام حكمه عامين ونصف العام.

امحمد باي منماني

1240هـ، ديسمبر 1824م

يحمل خاتمه: امحمد باي بن خان

لقد كان عجوراً هرمياً ذا نظرة صفة، مهك القوى وعديم الذكاء
وسى تقلده ماصب قديد حلاب العم، وقايد الشعير، وحتى مصب
الخليعة؛ شنهز بعدم كفاءته كان تركي المولد، ورغم استقراره في فلسطين
مدسوات طويبة؛ فإنه لم يكن يتكلم العربية إلا بصعوبة كبرة، الأمر الذي
جعله يحظى بقبول لدى أبناء جلده، ولكن ذلك لم يسهم في كس احترام
حكومه الحقيقيين

يسو أن هذه المنة غير المتطرة التي رُفع إليها، دون شك، عن طريق
بعض الدساتيس داخل اسلاط قد اثرت على قدراته العقلية وبأسهارة بهرح
التشرعات، كان يعيش بشوة مرأاة إرئها له المتمقون والمدحون من أفراد
حاشته، فترك هم وحدهم يسير شؤون الإقليم إن عيه، أو حتى يمكن
الفرج جونه؛ وصل به إلى درجة أنه في يوم تنصيه في دار الساي، ولما حصر
العلماء وأعيان المدينة وأعضاء المحرن للترحيب به وبحيته؛ هم بمصمهم
في صدره وحدثوا الأحر؛ وهو يقول هل عرفتموني على الأقل؟ هل
تعلمون أي مولاكم وسيدكم الساي مساي؟ فأجابوه: أجل، نحن نعلم
بأنك سيدنا ونحن خدمك ثم وقف في وصعيات السلطان بوصع يده

اسمى على مقصص سعة، وروح يتقي عليهم خطاً لا معنى لها؛ أثنت كل كلمة منها صعب نفسه، وحب ظهوره لاحق

كاتب تشكيلة المحرر الجديدة في عهده كما يلي

مكيير حوجة، حليقة، مصطفى بن لبيص؛ فايد لدار، عبد الله بن ركري؛
باش سراح، السهاري؛ باش مكاحلي، بوريان بن العلمي؛ آغا الدائرة، لحاح
عبد الرحمن بن نعمون؛ باش كانت، محمد سدراقي؛ شاوش، ومحمود بن
شاكر؛ فايد العواسي.

بعد أن نصب رحاله؛ تجهز الباي الجديد لتفتل خارج المدينة. وذهب
على رأس طابور إلى سدرنة لشرافة، بين قلعة وسوق اهراس، ولكنه لم
يتوقف حتى حتم، لدى عودته، على صفات سيوس في صواحي قلعة
وهناك قام بتوقيف أحمد بن الحمالوي؛ لدى أصبح لاحقاً حليقة للحاج
أحمد، كما صرب عنق من عامر؛ لدى كان واحداً من عناصر الحملة، ثم رجع
إلى قسطنطينية.

لقد كانت هذه حرجته الأولى، والأخيرة. ولكن العارات كانت متعددة
في عهده؛ والتي كانت من بين تلك التي شها صد أولاد دراج وأولاد بيل
في الصحراء؛ الذين حسروا حياتهم وأربعين ألف رأس عجم في مواجعة
واحدة حرث في وادي اللحم، لم يشارك فيها أي شخصاً

بعد فراره من حملته الأولى؛ وحده معه حصصاً خفيفة لم يسطع سائقوه
لتخلص منها، حيث عين في منصب الخبيرة محمود شاكر. وقد أصي به
التصرف إلى خسارة كل شيء.

محمود الذي لم يصبح لرمس ولا سكات منه شيئاً؛ لم يكن يقدم لبيد
سوى النصائح السيئة مستعلاله مرة أخرى لمكره الرقيق الذي لم يشره
أبداً بتحاورات؛ لم يكن يريد سوى إشباع جشعه بالاعراف من الحرية
العمية ولكن لأنه كان يتوق لنفسه رعياته جشعه وحه للمال؛ كان يقوم
بشئ اشكال الأسرار في حق الأهلي وكان بدعالة نفسها بعداً؛ فكانت
تسقط لعمامات على البريء والمُعاد على حبه سواء، وتعددت التوقيفات

العسفية، ولم يكن المساحين ليحصلوا على حريتهم إلا بدفع قديبات كبيرة
ولقد وصلت به المرأة حتى إلى استعمال سلطته الخاصة لاعتقال سي هو
من كوشوك علي؛ أحد أسرار شخصيات لمدينة وعش حاور أخوه، الذي
كان كاتباً، الاحتجاج على هذا الاعتقال، وعش لقي الباي يشرح له شكواه،
يربط منه بحقوق الحق حيث أجابه العجوز الضعيف - لا أملك شيئاً،
فمحمود هدهد محزون ماذا تريدني أن أفعل له؟

هذا فقط ما أحده هذا الأخ من الباي، وتنامت سلطة الخليفة مع عدم
نعرضه للعقاب.

تأثر أعضاء المحرر هدهد التهور الذي بصع أملاكهم وأرواحهم تحت
رحمة هدهد لأحق وتعلمهم على الخوف الذي كان يربط ألسنتهم حتى ذلك
لوقت؛ ذهبوا بدورهم إلى الباي يطعنون منه، صلاح كل ما أفسده انظم
الذي يحدث كل يوم باسمه ولكن كلامهم كان صراحة في واد، ولم يججوا
في مهمتهم.

وعليه، فقد قرروا أن يرفعوا شكواهم أعلى من ذلك، وتنقوا جميعاً إلى
مدينة حرث وفي مقابلة خاصة لدى بلاط باشا، عرسوا، بلهجة حادة
وشكل مطوب، شكواهم المتعددة ضد الخليفة، وفي الأخير طسوا عرله،
أصغى هم النقصة حدة، ووعدوهم بأن تتحقق العدالة التامة ومع ذلك،
في هيئة القصص لم تكن تريد، صدر رأي حكم قبل سماع الطرفين؛ فقررت
مراعاة الخليفة فوراً، واستدعائه للمثوب أمامها والدفاع عن قصته

إن هكذا إجراء، وهكذا إعطاء من طرف العدالة العشوائية قللة حرص
عادة على تجري الحقيقة، والسريعة في أحكامها؛ من شأنها أن يدعوا
للاستعرب إذا علمت بأن هذا قد حدث تحت حكم حسين داي؛ ذلك
الرجل الحثيث والمقدر الذي تم نجاته بإجماع كافة الأطراف، وهو ما كان
سدر الحوادث ومثلاً للبراهمة، وربما كان الوحيد في تاريخ الأيالة

عدة نعيه من طرف سنده المحتصر للخلافه، وبعد إنشاء الجميع
للموافقة على هذا الاختيار؛ شأن لم يثبت إن لم يكن احببه باسمها فيه

مستعداً للتدخل عن السلطة والرجوع إلى مرتبة السابقة.

إيه الداوي نفسه الذي أدت إهاتته لقصصها «دوفال» (Deval) إلى سقوطه،
الجرئ تحت عروبا ولكن إذا كانت مثل هذه الإهانة يمكن أن تجد لها عذراً
لدى قلوب الناس؛ فإنه يجب التذكير بأن حسين داوي لم ينفك يكرر بأن
الإهانة التي وجهها إلى القنصل لم تكن إلا بنية إهانة فرنسا.

ولكن، لنعد إلى الخليفة محمود.

تطبيقاً للأمر الصادر الصادر عن ملاط الخرائز؛ وصل إلى هذه المدينة
وهو مهيبٌ للدفاع عن نفسه. ومع ذلك، فإن كل ما استطاع قوله وفعله
ليحظى بالصالح عن تصرفاته، وكل المساعي التي حثها يهدئ نفوس
بقصة؛ ثم تكرر تصعيد الاتهامات الموجهة إليه، فتم عزله فوراً، وعُيِّن مكانه
لقايد سليمان وفي الوقت نفسه رُحِّمَ توبيع داس لإدارة الذي سباني؛ حيث
كتب به الشا «إنكم، لحد الآن، لم تشنوا سوى تكاسلكم وضعفكم. لقد عيَّناكم
ممثلًا في إقليم لشرق، ولقد حولنا لكم سلطة تصاهي سلطنتنا؛ فتنازتم عن
تلك السلطة، بطريقة حباية، لتضعوها بين يدي أحمقٍ مخالفٍ لواجبات لا
يصغي إلا لجشعه ونرواته، فيهب العزبة، ويحاكم ويدين ويلقي في السجن
من يريد كل هذا يجري تحت أعينكم، وتركتموه دون عقاب؛ بل سلوكاً كهذا من
طرفكم لا يُعتَقَر، ولا يمكن إلا أن يشبهه»

كان من شأن تلك التوبيخات أن تُرثب أساي، وتُرجع له ما تبقى له
من هادئة كانت ضرورية لمركز قيادة كهذا. ولكن ماذا يستطيع عجوزٌ عتيقٌ
لم نكله ضعف النفس إلا لخميد أهيكه الدهر والملاذ؟ ومد ذلك الخبير
رأس كل تقدير لشخصه، وتلاشى الشهود المرتبط بمصه، وصارت سلطته
غير معترف بها تماماً. تعددت السرقات والاعتقالات حول المدينة وحتى
داخلها، وأصبحت الخرائز تُرتكب في وضح النهار ووسط الشوارع وفي
كل يوم كانت توجد جثث مقطعة في سوق الحبوب، وفي المقبرة لليهود

1 انظر المذكره الموجهه الى الملك وعمرسي البرلن حول الاسباب الخفيه بسطيعه مع الخرائز،
ص 73، بصاحبها ادو لايمورده (Delaborde)

أوفي باب القنطرة واقتعد المسافرون الأمان، مما أن كانت الشمس تشرق على العروب؛ حتى تنتشر عصابات اللصوص في الصواحي لترصد الطرق المؤدية إلى قسطنطينة، فتسلب عماري السبيل، وغنائماً ما تركهم مقتولين هناك، وصار مركز بير بغيرات مقصداً لهُؤلاء الناهبين.

بعد عن الوقوف أمام هذه الموصي، لم يقيم أعضاء المحزن إلا تهييجها، وبك بسب كراهية الساي وخاصة مقصده محمود بن شاكر، الذي لم يتعد عنه رغم كل التحذيرات التي تلقاها، وأصبح موقف لباي موضوع انتقاد يوماً بعد يوم وبمكونه في قصره يدعي الخوف وحيلان مؤثقة ومقربة، وبسبب آراء وبصائح متصارعة؛ شعر بعقداب صوابه، وصار يبدي إشارات واضحة عن اختلال عقله.

فيما كان ذات يوم يعقد مجلسه في المحكمة؛ قام فجأة وألقى بطعنه المربوط في حرامه، وعاد إلى القاعة، واتجه حافي القدمين كالأحق إلى حجرة محكمة بوحدها من صدرت في حقهم أحكامه ولا رأوه يتحد مكانهم، اعصموا في مدى الأمر، أن ذلك كان واحدة من التقلبات المفاجئة التي عودتهم عليها لسبب الركية مد فترة ولكن من خلال حركاته وأقواله؛ أدركوا فوراً بأنه محور أسد عقله تكيداً وتمرد رعيته

حين به خادمه حاملاً به معه، ثم دخل إلى قاعة المحاكمة دون أن يقول شيئاً وبعد لخطب ذهب إلى حجرة رهاك جمع كافة «فقراء» المدينة، وأمرهم بالرفص أمامه مع ثوبه والفرع على البطولات، ثم جلب ملابسه وارتدى ملابساً ساتية، وبدأ بالرفص مع لرقصات مؤدياً عروضاً شديدة العراية

لم يتأخر حر هذا التصرف الخوي في الانتشار في كامل المدينة وإلى حد عدم الاحترام السائد بحاه شخصه؛ أصيب شعوراً عميقاً بالاحتقار وفي عمرة هذه الاشعالات؛ فاجأه موعد دنوش الرابع له 1826

٥. المصير: كلمة عامية جزائرية معرّده «فقيرة» ومن السود اللاتي يمين ويرقص في الأفراس (المرحم)

وكان عليه الذهاب إلى مدينتي الجزائر، ولكن صناديق الخزينة كانت فارغة قريباً، ما لم يجعله يتحرر على المثل شخصياً، فكسب رسائل اعتذار لديوان متحججاً فيها بعدم سماح وصعوبة الصحة، في تلك الفترة، تتحمل عباء سفير طويل كهذا، وبأنه يأمل بأن يؤديه في العام الموالي، ومن المؤسف أن تلك المرات لن تقل، وتنتهي أمراً بالتقدم شخصياً ودون تأخير

من جهة ثانية، وصلت خطابات استثنائية من طرف عدد من الشخصيات المرموقة في بلاط مدينة الجزائر تحمده بأنه في حالة عدم اكتفاء مبلغ المطلوب، فإسهم بثلثهم بدفع التسيقات اللازمة على أن يقوم بسدادها لاحقاً وعليه؛ فليس له أن يشعر بالمسألة المالية، ويستطيع أن يأتي مطمئناً

لم تكن تلك الوعود المعسولة سوى طعماً مغرياً لاستقدامه إلى مدينة الجزائر وقد تنقطة الباقي الصعيب، وعادر بقليل المال الذي كان موجوداً في صناديق الخزينة، ولكن بوصول إلى العاصمة؛ لم يجد من يرغب في استكمال المسعى المطلوب، ولتجمل فقط على ما تنعى في نفسه من وهم؛ تمت الموافقة على تقييد ما تبقى من الصريفة في سجل الديون العامة باسمه، شرط أن يقوم بتخليصه في الأيام الأولى من عودته إلى قسطة

وبكسر سرعان ما تم تخليصه من هذا خلق بعد قضاء الأيام النهائية النظامية في العاصمة، سلك طريق العودة، وبوصوله إلى حمزة على بعد ثلاثة أميال من مدينة الجزائر؛ ما توقفته وتقيده، وسيبقى تحت الحراسة إلى القليعة؛ التي أخرج على لإقامة بها مكث هناك حتى سقوط مدينة الجزائر على يد الفرنسيين، وبقي في لأخرة بعد عشر سنوات من الاحتلال دام حكمه عاماً وثمانية أشهر، من ديسمبر 1824 إلى نهاية يونيو 1826

١ منحور عن هذا الذي عهد مؤرخ في مداه شهر ديسمبر 1825 يصر على هبه لصالح المدعو عمر بن حاتم فتملكه لمسة «الدرار» ومغريته الواقعة في جبل القراسطة التابع للبابور الذي سخرج منه الحكومة التركية، حسب هذا العهد، لأحدث الزلزال به تصاعده مصر بعد أنباء أنه من أساس ذكر هذه لانه مرر أصافي بأن يكون ثروات الجزائر بعهده تحت تصرف بحريه يوماً ما، ويجب أن نأمل هذا العهد يصحح خطأ التي يحوي عنها شبهة النوع عبر طريق سلكه المعروف



الحاج أحمد باي

آخر بايات قسنطينة

دام حكمه من أغسطس 1826 إلى 13 أكتوبر 1837

بمصر حاكم الأول الحاج أحمد باي بن محمد الشريف، ١٧٤٢
وعلى حاكم الثاني صراً الحاج أحمد باشا بن محمد لشريف، ١٧٤٦

سقوط سباري وقع الإقليم فريسةً بسرعات والاضطرابات فكان
لأهلي بربرخون تحت يدي لأقوياء، وشيخ فشيناً صار الصمغ الذي يمارسه
الإتراك غير مقبول.

وسيطم القوصي وإعاده الهدوء إلى البلاد، توجب تعيين رجل حارم
وغير عن رأسه. وقد وضع حينئذ نظرته على الحاج أحمد الذي كان
مد شغل منصب أخليته تحت حكم إبراهيم العربي، ولدي مد فراره من
نفسه سنة 1819. كما ذكرنا سابقاً، صار يقيم في مدينة خرنوبارة، وتدرجاً
في سيدة التي كان بها حين صر بها ربرال 825. وخلال مكنونه الطويل في
العاصمة، استطاع أن يكسب احترام وحتى صدقة باشا الذي كان يحب
أن يدعوه سي، ولأنه لم يكن يعتمد مواليين مستعدين لخدمته، وقع لاحتبار
النهائي عليه

ويكنى فل لقيام تنصيبه، أريد حينئذ، إما شخصياً أو على الأقل
بواسطة أحد معاونيه، دراسة موارد واحتياجات الإقليم، والبحث عن
الوسائل المتاحة لإيجاد تلك اشورت غير لمقطعة التي تتحد منه بؤرة
دائمة بمصر عات والحروب ومن أجل هداك كنف لأعا محبي بمراقبة
ساي الخديف على رأس طابور ليحويو مختلف المراكز السكانية التي توجد
في طريقها.

فانظروا يد من مدينة الخرائر. وبعد أن قطع بلاد عفة عمال في وادي
الريثون، وصلوا إلى وبيعة أول مركز يقع في إقليم قسنطينة وهناك بدأت
مهمتها؛ حيث خصصت عدة أيام لمعاينة حالة البلاد، وللوقوف على

التجديرات التي يجب إصلاحها بشكل مستعجل، والتعديلات التي كان من
الأسب إدخالها وفي الوقت ذاته؛ شرع في تحصيل انصرايب. وبعد انقروع
من ذلك؛ واصل القائدان سيرهما، فرارا على السوالى بلدان رمورة وربة
وسطيف وأولاد عد النور وأولاد سلطان دون أن يلقب ما يعيقهما ولكن
عد وصولهما إلى بلرمة؛ توقعا بعمل معاومة أهلها لذين كانت تحركهم روح
الاستقلال، وكانت تحميمهم الحال المحيطة بهم نتي تكاد تكون مستحيه
الاجتير ورعم هذا؛ فإسهم أجروا على الاستسلام أمام بير الأتراك.
ورصوا بالسلام وفق الشروط التي أملاها عليهم المتصر
وباستعدة النظام، واصلوا حولنها النقيشية، حيث صعدا نحو الشان؛
فوصلا إلى عصابة دون عواتق.

نقد كانت مهمتها على وشك الانتهاء؛ حيث أسها جانا الإقليم عر
أكبر مسافة عرصاً وفي طريقهما جمعا شكاوى الناس ومطالب الأعيان
أما التجديرات المُرَنكة في السوات الأخيرة من طرف ايليشيا التركية؛
فقد قُمت بصرامة، وأما التحبيبات التي بذت لهما تسندعي تطبيقاً فورياً؛
فقد وُصعت حير لتفيد، كما وحدا أنه يس من الخطر إرجاء الإصلاحات
الأخرى التي نستوجب إدارة حكيمة ومختصة إلى الوقت المناسب. ثم توجه
نحو قسطنطينية التي كان الحاج أحمد يهدف للوصول إليها حتى يتسلم قبديتها
بشكل نهائي.

كان دعوته إلى عاصمة الشرق احتمايياً، ليس لأن الأهالي كانوا مجمعين
على الساي الجديد، حيث أنه سيجد معارضة شديدة دحل حرب الأتراك،
ولكنه كان من التهور إبداء مشاعر عدائفة في هكذا مامسه فأنجد كل واحد
إدقاعاً بتناسب مع هذا الظرف، واعتقد الحاج أحمد بأن لمرجه عومه
قصى أوى الأنام من نصيبه في درسه حانه الأهالي، واحبب حانهم،
وشكراهم، وأسباب الاضطرابات التي كان الإقليم مصرحاً لها مؤجراً،
والوسائل التي من شأنها مع مدها ولاحتثاث الشر من حدوده؛ كان من
الضروري تنفيذ بعض الإعدامات، فلم يتردد الحاج أحمد في ضرب أعناق

وزير الأسترن نورط في الأحداث الأخيرة، كما طال العقاب نفسه انعرت
الدين اجمع برأي العام على سوء تصرفاتهم، وتأمرهم وفسوقهم إصافة إلى
مد، نظم في كمل الاقليم صرصة العشور التي تمثل في عشر غنة الحبوب،
مست هذه الصرصة دون عتق يذكر مادام الباي عرف، مد وصوله، كيف
يوحي برهه مؤنه

بعد بعد هذه الإجراءات واستعادة الهدوء، استعد الأعا للرجوع
إلى العاصمة لقد كان اقتراب فصل الشتاء لا يسمح برياة باقي الإقليم،
وبذلك عاد إلى مدسه الخرائط وهو في تمام الرضا على ريارته التفشيشية، ولم يرد
التعبر المفصل الذي قدمه للناسا إلا في قاعة الأحر بحسن ظنه تجاه محطته
بعد هذا الخراج أحمد أهلاً بلنفة، وعلى هذا الأساس، وبعد بضع سنوات؛

من حسين باشا هذا، الذي صار أسير فرنسا، لدوبورمون (De Bourmon)
إن أحمد باي يستحق نعتكم بذا استسلم، وسيكون وقياً لكم وللأسف،
لأنه لم يستسلم، أو لم يعرف كيف يجعله يسلم وإن المقاومة ابشئة
التي قام بها صدياً لمدة سبع سنوات؛ قد كلفت حيوشاً دماً كثيرة، كما قاد
سلسلة من القطاعات عبر المعهولة التي مرت أواخر فترة حكمه

ما إن تسلم مقاعد الحكم؛ حتى أدار الإقليم بحرم واستقامة نذر
حدونها لدى سابقه لقد كان صارماً ولكن عادلاً في احكامه؛ فاستطاع
أن يصع حداً يسمع و سداد بعض العائلات دون أن يلقي عقاباً تحت حكم
سابقه الضعيف، وأرغم مشير و المعوصي والعب على الاحياء أو لمرار
دخبت تعديلات هامة في حياية الصرات بعد أن كانت البوصية
امالية مسة جداً، صارب الأموال تدخل سرعه سمحت لتحرية العامة أن
تقلق بإيراداتها

مع مطلع عام 1827، ومع أن موعد دنوش الربيع لم يكن قد حان بعد،
طلب الخراج أحمد الإذن من الباشا بالقدوم شخصياً إلى مدسة الخرائط حتى
يبيع الصرصة مسقاً وكما كان متوقعاً؛ فقد تمت الموافقة على ذلك دون حرج،
ووصل إلى ملاط الباشا مصحوباً بأمر شخصيات الإقليم، ومحملاً بأروع

المهديا لمولاه ووزرائه فأعرب له حسين مدهشاً عن سعادتة ورصده بأكثر
العمارات إطرأ، وحمد به التشيب الكامل لجميع سلطاته التي تتمتع بها
استعمل الخراج أحمد بطبعات سيده الطيبة تجده بطب يدب بمعاقبة بعض
العائلات المؤثرة في قسطنطينية التي عملت على إعاقة سير إدارته بمعارضتها
لمستمرة وبمساسسها السرية، ولكنه لم ينجح على تأديتها دون تلقي أمر من
سيده فافتتح ناشأ بدوافعه، ومنحه كامل الحرية في التصرف وسمح بذلك
الخير، أسأدن منه وعاد إلى قسطنطينية ويدها فارعن من الهدايا، ولكنها
مليئين بالانتقامات

بوصوله إلى قصره؛ كان متلهف لالتهاء من أعدائه الذين كانوا يعتقدون
أنهم كانوا في مأى من صرباته باعتد مولدهم وموقعهم وصدرت أوامر
بالتقص على ولدي بن ركري، مصطفى وعد الله، وأولاد بن معمون وبن
ليبص، حيث وُجدوا على أراضي الشيخ الرواوي، بالقرب من شطحة، التي
خزوا إليها، وقُصعت رؤوسهم، وتم سحق من أنوت سوى محمد عوي بن
معمون المتوفى سنة 1856 ولقد أحدث رؤوسهم بن قسطنطينية، حيث كانت
هر عاب لكل من يمكن أن تسؤل له نفسه تقيدهم

وبذلك سار كل شيء كما أراد؛ فقد قصي عن أعدائه، وصرح به الأترك،
وصدرت سلطته غير محدودة وخلال أربع سنوات؛ استطاع بفصل هذه
السياسة الحكيمة والحكمة، ودرس مشاكل، أن يحتفظ بالمصالح التي فشل
العديد من سابقيه في الاستمرار فيه وفي شهر رجب من عام 1213 هـ (يدير
1828م) كتب ساشايغور إلى سلاطه دة وحمد لله، ولكن في رسالة
أخرى مؤرخة في 8 ستمبر 1828م بعد أنه قام بعربات متتالية على أولاد
بورناد، وأولاد سلطان، وأولاد سلام.

خلال سنوات السلم والفرح العصرية هذه؛ استطاع أن شيد محلات
داره، ومصاريف كبيرة، ذلك القصر الذي يُعتبر لصرح الوحيد بسلطه
التركية بالجزائر الجدير باحتذاب أقطار أوروبا؛ حيث ينتشر الرخام بوفرة،

1 طالع حون هذا المراهب الشهير ما أوردها عنه أنفاً

وتذكر سنين الرتقال والليمون فيه بأحداث الساحرة لغداد مدينة الألف
اعجوبة واعجوبة فهناك، وبانتشائه بعق الحزم؛ كان بسى، في أحضان مئة
جارية، عاء شؤون الحكم الثقل، وكان يستلم، دون قيد، إلى هيجان
اهوائه الشهوانية ورعم هدا، فإن ملذات الحب المهيجة لم تكن أبداً تُصعب
هذه النفس العولادية فقد كان يقترب من النساء بمراج عيف؛ غير أنه
لم يكن يحسن ولا يحترمهم، ولم تكن حياتهم تعني له شيئاً، وكان قلبه لا
يحب أبداً ثوسلات ودموع عشقة فاحية قد جعله مزاجه أو بروتة بعدها
أو يقتلها¹.

تكن الأحداث الحسيمة التي كانت تتحصر وراء السحار؛ سرعان ما
كانت ستان بتعير مسار أفكاره، وتصرفه لفترة عن إصلاحاته الداخلية،
وتنتزعه من ملذات الحزم.

إن بأحد مرس على عاتقها قصة الإنسانية المغتصة والسُّهانة في ما لا
يبقي لمسار به، وهو حقوق الأمم، قد قررت معاقبة الخرائث؛ آخر معاقلة
الفرصة الحديثة للإهانة التي وجهها الداي لممثلي دوفال كانت بمثابة
الشرارة التي وصفت النار في البارود فقد تبع ذلك إعلان للحرب، وبعد
ثلاث سنوات تراءى إماريشال بورمون على سواحل مدينة الخرائث على رأس
أسطول امبرسي وفي 14 يوليو 1830 تم إمرال الجيوش في سيدي فرج
لقد كان الخطر داهماً؛ فأرسلت خطابات على وجه السرعة إلى بابات الأقاليم
الثلاث مع أمرٍ بالقُدوم بكل المجندين لصعد جيش الكفار.

ولكن رغم الجهود المتظاهرة للأتراك والعرب الذين جاءوا من كل
مناطق الإيالة؛ رُفرف العلم الفرنسي في يوم 5 يوليو من العام نفسه على قصة
خرائث، ليسير لأوروبا المتعاجنة مناهية القرصة البربرية، وللشعب المهروم
بقُدوم حضارة جديدة على هذه الأرض.

بعد أن قاتل الخاج أحمد مسالة على رأس فرقه، ولما وجد بأن كل مقاومة

¹ أنظر حول هذا القصر والمطابخ عبر المسوفة التي كان مسرحاً لها، العمل الكامل الذي
قام به ميرزا نجف علي. Monographie du palais de Constantin.

أصبحت عدسة الحدوى؛ سارع بالرجوع إلى إقليمه ولكن بأفق مديته
الحرارة كان قد سقته إلى عاصمته، ولأن الأثر أعصاء الحامية كانوا قد استعملوا
غيبته لرفع راية الثورة، وباتت عليهم لمحمود بن تشاركر الذي نصب نفسه قائداً
عليهم؛ حرقوا إلى رأس الحامية لقطع الطريق على البايع وقتله.

ومن جهة ثانية؛ اجتمع أعيان المدينة عبد شيوخ البلاد، سي محمد بن
لعشون، للتشاور عما يجب فعله في هذا الطرف، وباحتلاف الآراء؛ تقرر عدم
الاعتراف بالسيطرة العثمانية والاستمرار في طاعة الخاج أحمد، على أن يلتزم
بقبول الشروط التي يعرضونها عليه حال عودته.

بعد اتفاقهم حرق أعصاء الديوان المقدلة البايع، وأحد شيوخ البلاد
الكلمة قائلاً له السيد، مد أن حكمت ببلدنا استحقاقاً لإدراك الحكيم،
ولهذا نريد أن تبقى رعيمة كن بابك كما في السابق، ونحن ندورما بعدك
بالمساعدة والإخلاص والطاعة.

فرح البايع بهذه المبادرة المحمودة، ووجه لأعصاء هذه الوحدة أجراً
التشكرات، ودخل معهم إلى المدينة؛ حيث شكل فرقة رواوة من القنائل
الذين تبعوه، وسار نحو الأثر المتبردين وبعد قتال عيب؛ كان النصر
حليف البايع، وطلب المتبردون العموم، فوفق على ذلك بعد أن اشترط
عليهم أن يسموه أولئك الذين كانوا أول من أثار التمرد؛ فقتل من قتل،
وبقي من بقي.

دخل البايع إلى قسطنطينة، وهناك اهتم بتنظيم سلك الرواة الجديد
شكل جيد فلا يصطاد البصائر والمناورات المستمرة؛ جعلت منه حشاً من
المنحة يمكنه أن يحل محل الميليشيا التركية بجدارة لم يهمل البايع أي شيء
من شأنه أن يضع المدينة في مأوى عن الصربات؛ فرمعت الأسوار وزودت
بالمدافع، وأصبح بإمكان المدينة أن تواجه هجمات العدو.

ولكن إذا كانت قسطنطينة قد جعلت باباً رعيماً لها؛ فقد كانت سلطته
غير معترف بها في عديد المناطق من الإقليم فضائل صواحي سطيف
أرسلت وفدة إلى دي قسطنطينة الأسبق، براهيم القريني، الذي كان يقيم في

المدينة مدعوله، لتقدم له عروض الخصوع، وتطلب منه قيادتها. قبل الباي تلك العروض، وسارع بالمرور عند رعات الذين جاءوا بمحصى إرادتهم يقدمون له الوسيلة لاستعادة السلطة التي كان يمارسها في وقت مضى. وتم الاتفاق على موعد على أراضي من بلس؛ حيث وجد قبائل منطقة سطيف مجتمعة ومستعدة لاتباعه حيثما يقودها. وبعد أن تلقى مابيعها؛ انطلق معها نحو قبيلة أولاد عبد النور الكبيرة التي أصر أن يربطها بقصته، الأمر الذي لم يبله إلا بعد محادثات طويلة، وقدم لها وعوداً كبيرة لقد حدث هذا في نهاية خريف 1830.

من جابه، عندما علم الخاج أحمد هذا التمرد؛ لم يدخر جهداً لإفشال مؤامرة أعدائه فجمع، على وجه السرعة، قوة كبيرة من العرسان تشكبت في عيها من بدو الصحراء، ورحف بنفسه مع مشاته النظاميين لقتال المتمردين في بيار الحدود إلى الجنوب قليلاً من المشيرة. وبجذلان أولاد سحنون لبراهم باي؛ تكبد هزيمة نكراء، وأما الرجال الذين بقوا موالين له فقد شُتوا؛ وبذلك انعكس الحلف.

عاد الخاج أحمد إلى قسطنطينة متصراً، ومعه جث المزهومين والإصحاء مريد من البريق على اسمه؛ اتخذ، منذ ذلك اليوم، لقب باشا؛ حيث بقشه على حاتم بدل لقب الذي الذي كان يحمله. وعرمان ثبت له الباب العالي هذا للقب.

المتفرون من الميليشيا التركية الذين أعطاهم الباي الأمان، ورعم إصدهم بشكل كبير؛ إلا أنهم كانوا لا يزالون يحدثون له بعض المتاعب. وبتحصص منهم؛ صدر ممتلكاتهم، وورعهم على القبائل في مجموعات قبل القصص عليهم؛ فلم يُسمع عنهم شيء بعدها.

أما براهيم باي؛ ذلك المعمر الفاضل الباحث دوماً عن السلطة، فلم يدع القتل الأول بشرط عريته، وذهب إلى الصحراء متنوعاً بعض المجندين؛ حيث استطاع أن يكسب تحالف عدد من القبائل قبل أن يعاود الرحف نحو قسطنطينة لم يتطر الخاج أحمد وصوله؛ فسار محطى حثيئة للملافة عدوه،

وكان ذلك في عين رانة؛ حيث دارت واحدة من أكثر المعارك شراسة، وكان النصر حليفه مرة أخرى، وأرغم مناصبه على الفرار وترك مناصريه لعصب المنتصر بعد أن قطع الباي رؤوس كل الخشب؛ أرسلها إلى قسطنطينة كدليل علىه، وواصل سيره نحو الصحراء؛ حيث تلقى حصوع جميع أهالي الراب وبعد غياب دام أربعة أشهر؛ عاد إلى عاصمته محملاً بالعنائم ووثائق من سلطته أكثر من أي وقت مضى.

بانصره على أعدائه، وبرهته واحترامه من طرف رعيته؛ لم يكن يقص الحاج أحمد لإثبات لقب الباشا سوى سك العملة باسمه وذلك ما قام به؛ حيث تم في سنة 1831 إنشاء دار للقرود بجانب قصره سكنت فيها كمية من القطيع المصبة والحاسية التي صارت تُداول في كامل الإقليم. كما أنه اعتنى بالإدارة؛ فأحاط بمه برجال حكماء ومترسرين، وأردهرت قوانين العدل والإنصاف في فترة معينة من حكمه؛ غير أن هذا الحال لم يستمر طويلاً. فبانصره بسطته، وبانتشائه بمجده؛ سرعان ما أصبح قديراً ومستديراً، ولا يصح إلا لنزواته وغرائزه.

في هذه الأثناء، وبعد أن هام براهيم باي على وجهه بين القبائل دون أن يكون لنفسه حلفاء؛ تمكن فجأة من الاستيلاء على عصابة، واستقر بها متصرفاً؛ حيث أن سكانها كانوا قد طهبوا إحدى نخاطين إياه. لقد كنت في السابق باي قسطنطينة، وكانت عتبة تتع سطنتك، أما اليوم فقد زال حكم الأتراك، وحلت الحكومة الفرنسية محله. فلم يعطي اليوم دعماً؟ من سيكون حامياً وقائداً؟ فكل وسيلة اتصال بين وبين قسطنطينة أصبحت مستحيلة، وصارت المسالك مرصودة، وامتلات الطرق بالصوص فلتكن إذا رعيماً، وابق معاً؛ فخلاصاً بين يديك؛ قبل براهيم باي عرضهم، وصار سيد عصابة دون حياء.

عندما تنهى الخبر إلى مسامع الحاج أحمد؛ جمع قسماً من الجيش ورؤده بالسلاح والدخيرة وعدة من المدافع لمحاصرة المدينة، وعين على رأسه الحاج عمار بن رفوطة؛ وهو رجل مسن ودو حبرة كبيرة ومعرفية تامة بالبلاد

واقتراب هذا الطابور، غلّك الخوف سكان عباية، فاجتمعوا للتشاور حول موقف الذي عليهم اتخاذه وبعد مناقشة حادة تقرر الكتابة للنبي لطلب عونه، وكان كتابهم كالآتي

الحمد لله،

على مولانا وسيدنا الحاج أحمد باشا قسطنطينية السلام.

اسمحوا لنا أن نعرض لكم أسباب سلوكنا وتصرفاتنا، فلما كان الأتراك يحكمون بلادنا؛ كنا نخضع لهم، ولم نذكر أبداً سلطتهم علينا. أما اليوم فقد زالت سلطتهم، وصار الفرنضيون يحكمون مكانهم ونحن الضعفاء، ماذا يمكن أن نفعل؟ إننا لا نحسن استعمال السلاح والصراعات الدعوية في المعارك ومع رؤية الجيوش التي أرسلتموها؛ تمكك الذعر أبداً، وتفطرت قلوبنا وإذا كنتم تشبون الحرب عينا بسبب نراهم ناي؛ فاعلموا بأنه لتجأ إلى أسوارنا، وفرص نفسه علينا؛ ولكنه لا يملك لا سلاحاً ولا جنوداً لموجهتكم، وإن كانت حملتكم موجهة ضد الفرنضيين؛ فهم، في الحقيقة، سادة المدينة، ونحن نخضع لقانون المنتصر؛ ولكن هل كنا أقوياء بما يسمح لنا بمقاومتهم؟ وهل باستطاعتنا اليوم أن نتخلص من سيطرتهم؟ ومع ذلك، فإننا نصع قصيتنا بين أيديكم، ونجعلكم حكماً لمصالحنا. فلکم اتحاد لوسائل الناحية لإرساء الهدوء في مدينتنا*.

هذه الرسالة التي لم تكن في مستوى شجاعة وصرامة العباسي؛ كانت أحد من أن تهدي عصا الخاج أحمد، ولم ترد؛ إلا من سخطه ونم إرسال قوات إصفائية ومريد من قطع المدفعية على وجه السرعة، وأسندت القيادة إلى علي بن عيسى؛ الباشا حمة والمقرّب بخاج أحمد وكان تحت إمرته إلا عا أحمد من الحملاني. لقد حرج هذا الجيش الحديد من قسطنطينية مسوقاً بموسيقى الباشا، وقام في طريقه بعبارات لم يسبق أن قدم بها ناي قبله في هذه الأثناء، ألمّ بالخاج عمار بن رفوطة مرض خطير أجبره على التقليل من العمليات، فتلقى أمراً بالدخول إلى قسطنطينية بسبب مرضه وفي طريق عودته؛ التقى بن عيسى الذي قدم بتوقيعه بمحضر إرادته. هذا كان

* نص لرساله ليس أصلياً؛ فهو مترجم من النسخة بحسب المعونة من الأصل.

بين الرحلين حقق قديم يعود للأسباب التالية

في لعام 1249 هـ (1829 م)؛ كلف حسين باشا الباي الخاج أحمد باختيار، من بين أعيان قسطنطينية، رجل ثقة يستطيع أن يمثلته بجدارة لدى بلاط تونس فكر الباي، أولاً، في من عيسى؛ حادمه المحظوظ وصديقه ولكن أعصابه المبحر بهوه بأن تلك الشخصية لم تكن حيرة بالشؤون الإدارية، ولم تكن لها الخبرة المطلوبة للاصطلاح هذه الوظيفة على أكمل وجه وباقتناع الباي بطروحاتهم؛ عين من رفوطة وأرسله إلى مدينة الجزائر وبعد اللقاء الأول الذي جمعه مع هذا المعوث؛ أعجب الباي حسين بمراياه ومواقفه، وثبت اختيار الباي؛ فعنه ممثلاً له في بلاط تونس وبعد أن أعطاه التعيينات، أرسله إلى قسطنطينة حتى يسمح الباي القمطان الخاص بالوظيفة الجديدة حسب العادة المعمول بها

كان ذلك سبب الصعوبة بين من رفوطة ومن عيسى

عندما علم الخاج أحمد بتوقيف من رفوطة؛ فكر في إصدار أوامره بتحريره على الفور ولكن بتكبيره بأن من عيسى كان في ذلك الوقت على رأس قوات كبيرة، وإذا حرج عن طاعته فبه سبب له صاعب خطيرة، فيجب أن يحس معاملته، وترك إذا الأسير في مقعته حاول من رفوطة الخلاص بواسطة قريب الباي شيخ العرب محمد بن الخاج من فنه، ولكن محاولته باءت بالفشل؛ حيث وعده الباي ولم يفعل شيئاً

في تلك الفترة؛ وصل بأندلاع تمرد في الصحراء فشيخ العرب السابق، فرحات بن سعيد، قد قاد مجموعة من أنصاره وشن عدة غارات على القبائل المعترفه بسلطه حنعه، محمد بن الخاج من فنه فقد كان هذا لعصيان العسكري عصباً على الخاج أحمد باعتار علاقة العراية التي تربطه بمعظم القبائل المتمردة ومع ذلك، وبالنشاط الذي كان يظهره في جميع الظروف؛ قام بتجهيز جيش بسرعة. حيث أعطى لكل رجل مئلاً وانطلق على رأس قوة انمرسان المرتجبة هذه للقاء هذا العدو الجديد وبعد حث الخطى بلا

١ سعادته المعمول بها، كانت مصاريف تجهيز يمثل اخراته في تونس مع على عاتق باي قسطنطينة

رهار، وصل لطانور إلى الدبس بالقرب من الحنفية؛ حيث كان يعسكر
فوجات وسفاحه الأخير، بالكاد وجد الوقت للاستعداد للدهاء. وفي
أول مواجهته تم هزيمتهم، ولاد قائدهم بالفرار حفاظاً على حياته؛ تاركاً
بعض معسكره ومتاعه وساءه اللاتي أحدهم الخاج أحد تحت حمايته، ولم
يسلم معهم أي عصف وسارعت الفائل المتمردة بالخضوع له، ثم سلك
طريقه نحو إلى عاصيته؛ حيث كانت تنتظره متاعب جديدة

دافع الذي كان يسر أهالي قطية على مر العصور؛ ذهب
بعض أعضاء لمحارب لبق، من قاته، وقلوا له «كيف يمكن لك أنت شح
العرب؟ الذي سبب القمطان، ولم تكن تسير، على عرار الدباب، إلا على
دفع فرع الصوب، كيف يسمح أن تُحب منك هذه انشريفات التي هي
من مطلب مرتك، وسمح لس عيسى هذا الذي ليس له أي حق فيها
باصح؟» لقد انقلب هذه العاراب وأخرى منها البعيرة في نفس من قاته،
وسرعان ما لوحظ حدث كبرييه وبين الخاج أحمد وبعد فترة حدثت فتية
صريعة سني، حيث نحن من قاته عنه مصطحاً معه كل رمايته، ونسعه في هذا
عدد من ساداه مهمين

بأنه لاني بنسبه وقد تحمل عنه معظم مغربيه؛ فكر في لحظة معينة في
البحر مصيره من يدي فرنسا، ولكنه سيجبر الكثير إن هو صحتي ثلث
لاستغلايه اني كان ستمح ٢٠ حتى ذلك الحين، وانتي طالما دافع عنها فمرر
بأن تحاول مرة أخرى الاحتفاظ بهذه السلطة الرائلة؛ التي كانت نعمت
منه كلها اعتقد أنه امست برمامها. ومن أجل هذا كلف بوعزيز بن بولخرار
(الذي اصبح لاحقاً شيخاً للعرب) بالذهاب إلى أخيه من قاته حاملاً هذه
الكلمات «كيف يمكنك، يا ابن حالي، أن تتخلل صبي وتتحد قصة مشتركة
مع أعدائي؟ وتعمل أكثر من هذا، تريد أن تثير الناس، وتجري إلى ثورتك حتى
اعضاء لمحارب لاداً تفعل هذا؟» وأخاه من قاته «ما أؤاخذك عليه هو
أنك قلّمت من امبراتي، وحررت كبرياتي معحك لمعيري الشريعات التي
كانت بي وحدي وأيضاً، لأنك لم تعبد اعساراً لرجائي عندما طلعت منك

محرير من رقوطه ولذلك فإن أفضل قصيتي عن قصبتك
عصب الحاح أحمد كثيراً من هذه الإحانة؛ فقام فوراً بقتل من رقوطه،
وكتب رأس ليريء قدياً للمندان أما معظم أعضاء المحرور الدين تخلوا عن
الذي؛ فقد أدركوا بأن الصراع إذا اندلع فإنه لا يخدم في النهاية إلا فرنسا،
لأنها ستحس نتيجة تشتت قواهم، وعليه فإنهم اتحدوا تدبيراً للحصول
على عمود من قاعة رقص أي تقارب، ولكنه، بعد حوالي ستة
أشهر، أصبح لمخاضات أصدقائه ونوسلات أخيه بوغريز؛ فقرر الذهاب
إلى قسطنطينة فقد كانت القافلة التي جمعتها مع الباقي تبادلاً للاحتياجات
وخدمات، وعلى كل حال؛ فقد انتهى بالاتفاق ونهراً وكلاهما راض عن
الآخر في الظاهر وبعد أيام سلط شبح العرب طريقه إلى الصحراء حيث
إقامته المعتادة

بعد الرابطة؛ اعتمد الحاح أحمد أنه يستطيع إطلاق العنان لمشاعر
الانتقام التي كانت تعدي قلبه مدة فترة فقصص على جميع أعضاء المحرور
الدين تورطوا في مؤامرة من قاعة وقتلهم ولم يلبس عمود سوى شين هما أحمد
التوسي، فايد اندردي؛ لأنه كان عرب، واحمصي من عون؛ الذي أصبح
قديماً للسفينة لاحقاً، والذي رُح به بالقوة في حرب الحرب
بتلقيه خبر هذه الانتقامات؛ رفع بن قاعة رانة اثورة محدد وبعد تسعة
أشهر، عمد حاصر الحاح أحمد مع قوائه مدينة المسينة الصغيرة في الخصة،
جاء إليه لإعلان استسلامه، ولقد قام أخوه بوغريز بالوساطة مرة أخرى
فاستقبله الحاح أحمد بحفاوة كبيرة تعبيراً عن معادته؛ حيث أنه فقطن
الشرف، وأمر بفرع الطريق لدى مروره وبعد خمسة عشر يوماً عاد من قاعة
إلى قسطنطينة في إثر الذي، ثم مرض وأسلم روحه بعد خمسة أيام، ودُفن في
كديبة عبي على الجهة المقابلة للمدينة وقد ثارت صحة بأن قائد سسي شبح
العرب قد ارتشي من طرف الباقي ليدس السم في السع الذي بدحه سيده، أو
في المهوية التي يساؤها، حسب آخرين.

لقد كان الوقت للرجوع إلى من عيسى، الذي يركبه مع طابوره في

الطريق إلى عناية. فبما كان يستعد لمحاصرة هذه المدينة؛ ذهب أبرر أعيان قسطنطينة، وعلى رأسهم شبح البلاد سي محمد بن لطفون، للقاء الخاج أحمد في قصره، وعرضوا أمامه رؤاهم الصائفة حول الوضعية القائمة؛ حاثين إياه على العدول عن نواياه بخصوص عناية باعتبار أن المدينة صارت بيد الفرنسيين، وأن كل فكرة بعروها أصبحت مستحيلة وأضفوا بأن قسطنطينة نفسها تعيش في حالة حرب منذ عدة سنوات؛ ولوضع حيد هذه الحالة المزعجة لا يوجد أفضل حليلة إليه وإليهم من فتح مفاوضات سلام مع الفرنسيين وإذا سحج مسع في هذا الاتجاه؛ فإنه لا يخشى على سلطته من هذا الخس، بل إنها سوف تتعزز أكثر، وأنه يمكنه هذه بطريقة أن يستوي على عناية دون اللجوء إلى مناعب الحرب.

هذه ملاحظات، ورغم الحكمة التي ميرتها؛ لم تكن لتزعزع عناد الباي فقد استمر في مكبرته لأحد عناية، وأرسل أمراً إلى بن عيسى بإطلاق الحصار عليها فأجبت المنطقة من كل جانب، ولم تنوقف المدافع عن ذلك أسوارها بدرجة أن صدق الخاج بالمحاصرين، واحتاجوا للمؤونة؛ فقصروا الاستسلام على الموت جوعاً أو بأس العدو ودخل بن عيسى إلى المدينة منتصراً؛ حيث فتحت له الأبواب في بيته الخامس إلى السادس من مارس سنة 1832، ولكنه لم يتمكن من الاستلاء على القسبة؛ التي دأبت عنها خدمة التركية، والتي كان قد ولح إليها البقيان «أرماني» (Armandy)، ويوسف مع البحارة بسين وضعهم تحت تصرفهما «فريارت» (Fréart) قائد سفينة «بياربير» (Béarnaise) براسية في ميناء عناية حينها وسبب عيظه، أرغم كافة السكان على الخروج من المدينة، قبل أن يتيحها للنهب والسلب، ثم أصرم الدار بها؛ حيث أُرِد من خلال هذا ألا يترك للفرنسيين إلا الأطلال

لقد جلب فشل هذه الحملة إلى خاج أحمد شكاً وى رعيه، كما رد في إثارة مزاجه العنيف والكثير بطبيعته وصدراً مندداً، يرفض كل نصيحة غير مسسعة سوى لأهوله ورغم كسبه بتعاطف «ناس» فإنه لم يسحج في أية حملة من حملاته.

في سنة 1834 جمع كل ما استطاع من قوالب، وسار نحو أمسية، التي كان سكانها قد انسعوا في ثأره حيث سبهم وشتمهم بطريقة وحشية لم يسبق لها مثيل. وهناك الحق به أحمد بومرراف، ابن الباي الأسبق للتبطيني، الذي طرد نوره من المدينة، وجاء لطلب دعمه حتى يستر جمع إرث أبيه. اقتبس الحاج أحمد هذا المعنى؛ فتوجه إلى المدينة، ولما اقترب من أسوار المدينة حاذت وفادة عن الأهالي تسأله إن كانت بوابه عدائية أم سلبية فأجابهم بأن بوابه كلها سلبية، وأن ليس له رعة سوى مساعدتهم وحمائهم من العدو المشترك المتمثل في الفرنسيين. وباطمئنانهم هذه الإحانة، فتح له المدعوون أبواب مدينتهم، حيث استقبل بحفاوة كبيرة وسعادة عامرة. فقدمت له هدايا من لؤلؤ وحبول اللؤلؤ، ودهوا حتى إلى ترحبه لأن يجارهم بآيا يجتمع الأهالي تحت لوائه، ويكون في الوقت نفسه قائداً يستطيعون الاعتماد عليه. لقد أراد الحاج أحمد أن يرتقي فوق مستوى تطلعاتهم؛ لأنه وحده بأنه يصدد تمهيد مشاريع تفوق آماله، فاختار لهم ابن بومرراف بآيا عديهم ولكنه، وفي الوقت نفسه، قام بتسديد بوابه العاديه؛ حيث قبض بطريقة سرية على مئة من الشخصيات الأكثر تأثيراً في المدينة، ثم عادر الإقليم حفيّة مصطحباً معه أسراه ولدى وصوله إلى قسطنطينة قام بإعدامهم جميعاً.

لم يكن هذا إلا تمهيداً لسلسلة من عمليات القتل التي أعرفت ساحة الإعدام بالدماء، واستعمل العذر والوعود الكاذبة لاستدراج أصحاب عظمته اندموي إلى الفخ ليقعوا فريسة لسيف الجلاد. ففي أحد الأيام، هلك ستون فارس من قبيلة أولاد مطلة شجرة الشاوش. وفي اليوم التالي دفع مئة وعشرة أشخاص من أولاد عامر من منطقة عداورة رؤوسهم تحت لثقتهم الرائدة؛ حيث شق أربعون منهم، وقتل الباقي. ويحكى أنه عندما أمسك الشاوش بأحد هؤلاء ليضرب عنقه، طار من بين يديه دون أن يعرف أحد ما كان مصيره. وفي يوم آخر قضى ستون رجلاً من بني وحانة في صبيحة واحدة.

1 لا بعد تدمير هذا السلوك من طرف الحاج أحمد باي عبر أنه، في جميع الأحوال، طريقة مريضة تكسب مخرجين لفصبة التي كانت محسومة

في هذه السنة نفسها، 1835، اجتاح الطاعون قسطنطينة وعدة مناطق أخرى من لإقليم وخلال ثلاثة أيام؛ أحصت المدينة حوالي ألف وخمسة مئة ضحية ولأن المتطوعين لم يتمكنوا من دفع هذا العدد الهائل من الحث؛ نعين تشكيل اتحاد المكلين (قمارو الموي) بلغ عدد أعضائه ثمانين عضواً يقضون رواتبهم من لإدارة، حيث كلفوا بانتشال الحث من البيوت، ثم إبراها بالحل، حتى لا تتعرض للرصوص، في دهاير عصفية لأكثر من عشرين متر (هي بدون شت أحواس رومانية قديمة)، كانت تقع بين كدية عتي وديب الواد ونوحت تحديد هذا الاتحاد عدة مرات خلال استمرار الوباء

خلال هذه السنة نفسها، حرق الخاج أحمد مع طائوره لش عارية عن أولاد سعيد؛ وهي قبيلة في الأوراس فأخذ ماشيتهم وحياتهم، وقطع اليد اليمى لثير أسير قبل أن يطلق سراحهم، وأرسلت تلك الأيادي إلى قسطنطينة كدليل انتصار.

مع حلول سنة 1835؛ جمع كل ما استطاع من قواب وسار لمحاربة حمامية الفرنسية في مركز الدرغان فحيم، أولاً، في المكان المسمى عفة العشري بالقرب من محار عمار، ومكث هناك بضعة أيام متردداً حول القرار الذي كان عليه اتخاذه ثم تبع سيره حتى اختام بالقرب من قلعة، وأرسل إلى معسكر الدرغان طائور استطلاع لرصد تحركات العدو. ولما تراءى الرجال لمشكون بتلك انقوة من درغان؛ حرق الرائد يوسف الذي أصبح يحمل لقب بدي قسطنطينة، مع قواته وباعتهم بعقب حتى أحرقهم على القرار بعد أن حسروا عشرين منهم. ولم تحقق محاولة ثانية للاستيلاء على هذا الحصن النجاح المطلوب رغم قيادتها من طرف الخاج أحمد شخصياً؛ حيث عاد إلى قسطنطينة بعد ذلك.

ما إن سراح من متاعه، حتى علم بزحف قوة فرنسية للهجوم عليه في عاصمته وبسياسة مأكرة ومحتالة؛ قال للأهالي بأن شرفه لا يسمح له بانتظار العدو حتى يحاصر أبواب المدينة ليتواجه معه، وإنه سيخرج مع أحسن معانيه أما المارشال «كلوزال» (Clauzel) الذي لم يلق إلا مقاومة

بسيطة في طريقه، فسرعد ما وصل إلى مشرف قسطينه وفي اليوم لموالي،
22 نوفمبر، فتحت المدفعية النار عليها¹.

استمر القتال خلال ليلتين ويومين نفس الشدة بين الطرفين، وكانت
القلائف والقناصل تنقطع في الهواء قبل أن يقع عددٌ منها في الهاوية وفي
ليلة 23 إلى 24، كان الفرنسيون المنحشدون على جسر القنطرة على وشك
الدخول إلى المدينة وكانت البوابة الملعومة من طرف سلاح هندسة توشك
على التحطم بفعل الصربات، ولكن الحال انصيق الذي لا يسمح بمرور
أكثر من أربعة أو خمسة رجال دفعة واحدة؛ لم تمكنهم من الهجوم مجتمعين.
ولم تتوقف لبراز عن السقوط عليهم؛ حيث أحدثت القلائف ثغرات
كبيرة في صفوفهم وسرعد ما شككت جثث القتلى والمحتصرين حاجر
على الحرس لا يمكن اختياره؛ فكان ذلك عوناً للمحاصرين وإذا كان الموت
يحصده جودنا؛ فإن القنق كان في أوجه داخل المدينة، حيث كان يعمو من
كل جانب، «جهاد! جهاد! وشككت المدافع عند أسوة، وكُدست أكياس
الصوف فوق بعضها، ووُصعت العور حصى، وكان القتال في حيز من لباس
وعندما طلع النهار؛ تحمل المحاصرون عن هذه نقطة، ووجهوا
هجوماتهم ناحية باب الواد ولكن، هناك أيضاً، فشلت محاولاتهم أمام
المقاومة الشرسة للأهالي فقد كان لفصل شتاء، ولم يسمح البرد والثلج
واستحالة التموين بصرب حصار بالشكل المصنوب؛ وودي يمكن أن
يستمر أطول من المتوقع؛ فاستعد الجيش الفرنسي بالاستعداد؛ مرجحاً، لأحد
ناره إلى أوقات أفضل.

في هذه الأثناء؛ قدم أعيان الأهالي بتحرير خطاب إلى يوسف ليناقشوا
اسلام معه؛ كان مفاده: «اسوف يستسلم بشرط أن تحرم عنك تبا وساء»

1 للاطلاع على تفاصيل هذا الحزم من تاريخنا، والتي هي معروفة لدى الجميع، فقد عتمدت
على رواية صالح المصري في مؤلفه تاريخ قسطنطية، مع تصحيح بعض الأخطاء المتعلقة
بالتواريخ والأسماء التي ضمنها؛ فبالسنة 1807 قسطنطية؛ لأن القائد لأعلى بحمله لأولى
كان يومئذ، وأن الدريشال كنودال كان مجهولاً تماماً بالسنة بينهم وأما فيما يتعلق بحزم
القبلي؛ فقد احتصرناه قدر الإمكان باعتبار أن التاريخ معاصر حدثاً

وانسحاب، وإن تحافظ على الهدوء في البلاد وإذا لم يكن كذلك؛ فحس عازمون
على لسان حى الموت. وكان الموقعون على هذه الرسالة كل من سي محمد
بن لفقون، شبح البلاد، ومحمد بن لججوي؛ قائد الدار، والحاج المكي بن
رفوط، وعمر بن النقي، وعلي بن حجوج، وحسين بن سليمان، والمرابط
لعرب ومحمد بن العسري؛ الذي كتب بعضها ولكن هذه الرسالة لم تصل
إلى ابن وجهها وفي بعد كان كل الجيش العربي قد احتفى بخلفاء ورء
ودرة سر، من الصلي وعادا حرساً معبراً أما الحاج أحمد الذي كان قد اتعد
بجدر سائر الحصار؛ فقد عاد إلى قسطنطينة بعد بضعة أيام.

بن ورم مدم به هو شين المرابط العربي وسي الحسين بحجة تدو صهي
مع لعدو، ومحدثيهم سلمية المدينة عصب سيدي الشبح بن لفقون من
هذا حكم الحذر، وذهب للقاء الباي، وحاطه قائلاً

أيتها الحاج أحمد؛ أنت أميرنا، ويجدر بك أن تدافع عن بلدنا، وأن تدفع
شر الذي يمكن أن يصيب رعيتك. ولكن لما حل الخطر؛ تركت لقوتنا الخاصة،
فحتم عينا، بدورك حماية حياتنا وحياة أساننا وهكذا، ظهرت بابك ماض حقاً
للكنير من سابقك فلما اقرب الشرف من قسطنطينة، صد ثلاثين عاماً تقريباً،
يقود جيش من المايل؛ تعين علينا مقاومة هجوماته، وكثدناه حائر لا حصر
بها. ولم يكن معنا حسنها لا ناسا ولا حليفته. وكذلك عندما جاء دشت تونس، في
عهد حسين باي، لمحاصرة المدينة، وقام لمدة ثلاثين يوماً بإمطار بيوتنا بالقذائف
والقنابل؛ من كان يقودنا؟ لا أحد فلم يكن خلاصاً إلا بفصل شجاعتنا والسجدة
التي أرسلها إلينا باشا الجزائر.

أما اليوم، فإلى أية جهة نوجه أملنا؟ فمدينة الحرار؛ التي كانت عاصمة
البلاد ومقر باشواتنا، هي الآن تحت سيطرة الفرنسيين. فهل يمكننا أن نأمر في
الاستمرار طويلاً في مقاومة هجومات عدو قوي كهذا؟ ألا يحسن بنا وبعثلاتنا أن
نستسلم ونطلب الأمان؟ فكف إدأ، أيها الحاج أحمد، عن ظلمك وجرائمك؛ لأبنا
غزمتنا على مقاومة جبروتك.

لم تكن سوى الحصانة التي يجمع بها شخص شيخ الإسلام هي التي

منعت سيف المستند من قطع رأس هذا المنهور الذي نجراً على محاطته هذا الشكل. فأمام هذه الشخصية الوقورة، تحتم على الخاج أحمد كظم عيظه ومحكم عقله؛ أدرك بأنه إذا شئت ثورة في المدينة سيكون هو أول ضحاياه. فاطوى على نفسه في قصره، ولم يهتم بأي شيء لفترة من الوقت لكن معه القلقة لم تسمح له بالنعاء سكباً لمدة طويلة، فقرر إرسال جميع قواته لمهاجمة مركز قلعة، وطرده العريسين الموجودين فيه، وحرق حقول لقمع أتباعه لمسانئل الخاصعة ورغم الصائح التي قدّمت له؛ لم يترجم عن خطئه فخرجت إداً لقوات التي قادها الأعاس الحملاني وبوريان من العسك لمحاصرة قلعة؛ فاستطاعت أن تشر الموت والخرق في الأرباب المحيطة، ونكها كل قترت من المركز وحدث مقاومة أخقت بها حسائر فهي إحدى المخرجات التي قام بها المحاصرون؛ خرج بوريان خرواً بلعاً وبعد ثلاثين يوماً من المشل وفقدان الكثير من الرجال؛ رحعت القوات النظامية إلى قسطنطينة، وتم تريح القوم

في هذه الأثناء؛ كانت تنحصر حملة جديدة ضد قسطنطينة لقد كان حراً من جيش عظيم بقيادة الخرال «دامريمون» (Damrémont) ومعه دوق «نومور» (duc de Nemours) معسكراً في عانة مد شهر أغسطس، ثم نقل إلى محار عمر بينظر وصول العربرات حتى بدأ الرحف

ما إن علم الخاج أحمد هذا الخبر حتى جمع كل قوته النظامية، وخرج معها من المدينة معسكراً في فتح سيله في بلاد السفينة وهناك واهدأه جميع قناصل الإقليم لترسل مجديها وفي الوقت نفسه؛ أرسل معونين سرين وجواسيساً لمعاينة قوات العدو والطريق التي يسلكها، ولكنهم لم يتفق إلا تقريراً متصارفة فحسب العصب؛ كانت قوات العدو كثيرة الرجال والسلاح، وحسب أقوال العصب الآخر؛ لم تكن إلا قواتاً بسيطة يستطيع أن يعلب عليها بسهولة

بينما كان الخاج أحمد عارفاً في الخير والارتباك، تلقى رسالة من لقائد الأعلى للجيش لمرسي يحثه عليها على الاستسلام إن كان لا يريد أن يرى

قواته تُباد، وعاصمته تُنهب.

بعد سماعه الرسالة ابن موحاح، وهو ثري من مدينة الحرائر كان في خدمة فرنسا وبعد أن قرأ الرسالة، تحدث مع هذا المبعوث على انفراد، ثم سرحه دون أن يعطيه أية رسالته وحررت عدة مقالات من هذا النوع بعد ذلك، ولربح الوقت، لم يعط لأستلة الحرائر إلا إجابات عامضة فقد كان يريد، قبل كل شيء، أن يعرف العدد الحقيقي لقوات العدو. وعلى عرار ما جاء في كل التعرير التي كانت تُرفع له يومياً، فإن لم يتوصل إلى الحقيقة، فعزم عن تكليف كانه سي محمد بن العتري، وهو الرجل الدكي، بمهمة سرية بدراسة تشكيلة جيش العدو، وإخبار الحرائر والأمير بأنه مستعد للإبرام اسلام شرط أن يعاد الفرنسيون عانة وقالة، ويعترفوا به قائداً بالإقليم وحسب اعتقادنا؛ فقد رُفِضت هذه الشروط، ونقرر حصار قسطنطينة

عدد من التعرير يدقء سنده باقلاً له ما سمعه وما رآه بكل أمانة وفي الوقت نفسه؛ أشار عليه بالعدول عن أية فكرة للمقاومة، وأن يستسلم. فكيفه لباي بإخبار أعين المدينة بجواب الحرائر بعينه، وبأن يسألهم عن رأيهم، وأنهم على الاستسلام ما عدا من عسى الذي آيد حير المقاومة، ورغم أن من التعرير قد باع دمه للفرنسيين مقابل أن يقدم تقارير كاذبة حول قواتهم، وبأنه لا يجب تصديق كلامه ونار القوم على المبعوث، فتحتم عنه معاداة مدينته في ذلك اليوم ليتحقق ما حاح أحد ولكن ما إن وصل إلى المعسكر، حتى جاء موفدٌ من من عسى يحمل لباي كتاباً بمصيح من العتري ويصفه بالخائن استشاط الي عصاً، ودون أن يسأل عن معلومات أخرى، اوقف كانه الذي قصي بعد ثمانية أيام شرب فحارٍ من القهوة، قبل إبه كان مسموماً.

بعد صارت أية فكرة للمعارب مستحيلة، حيث غادر الفرنسيون معسكرهم في محار عمار، وفي 6 أكتوبر وصلوا أمام مسطبة دون أن يعيق الخرج أحمد سرهم بشكلي حدى أحد الجيش مواقعه على هضبة المنصورة

¹ هو والد صالح من العتري موفد كتاب ناربع مسطبة

وفي كدية عتي، وخلال اليومين الأولين؛ تعرض لتحرشات مستمرة من طرف مجموعات من المرساين والقبايل التي أرسلها الخناج أحمد من معسكره المقام حنف هصبة العيصور ما وراء وادي الرمال

وأخيراً تم تصيب بطاريات الحصار، وفتحت أسوار على المدينة. ومنذ ذلك الحين؛ لم تتوقف المدافع عن قصف الأسوار ليلاً ونهاراً حتى مساء 11 أكتوبر، حيث أحدثت ثغرة يمكن احتراقها، فأرسل القائد العام د. مريمون جدياً شاماً من الصليق التركي لينذر الأهالي بالاستسلام، واعداء إياهم مقابل هذا بالحفاظ على حياتهم واحترام بيوتهم وممتلكاتهم. ولما وصل هذا المبعوث المشاب أمام أسوار المدينة نحب وابل من النار، ثم رفعه بحبل إلى الأعلى، وسلم لبس عيسى وس لجاري الشروط التي كان يحملها وسرعان ما أعيد جميع الأهالي بذلك، وأصاف بأن ذلك لم يكن إلا حيلة للمحاصرين حتى يأخذوا المدينة دون قتال. وفكر من عيسى في أن يحتحر المبعوث حتى يتم إصلاح الثغرات، وبعد ذلك أطلقه وحمله هذا الحواب

«من أهالي قسطنطينية إلى الجنرال القائد الأعلى للجيش الفرنسي، رداً على رسالتكم نني قرأناها وفهمناها؛ نعلمكم بأنه ليس لنا اليوم أن يجري محادثات معكم. وإن كنتم تريدون التفاوض فافعلوا ذلك مع سيد البلاد، الباي الحاج أحمد، الذي ليس بعيداً عنكم. هذا كل ما لدينا بقوله لكم، والسلام»¹

واستمر الحصار وفي صباح اليوم الموالي، 12 أكتوبر، سقط الجنرال د. مريمون بقديفة حترقت جسده سماً كان يفتش أسطريبات في عين المكان، وحينها الجنرال «فولي» (Valcc) على رأس القيادة هذه الحادثة، التي لم تؤثر على شجاعة الحو، لم ترد إلا في إلهابها وخلال الليل، استطاع سلاح المدفعية أن ينصب بطرية بالقرب من مارة سدي بوقصة على بعد 160 متراً من المدينة، واستؤنف القصف بعنف؛ لدرجة أن الأسوار لم تصمد كثيراً فبس أن تنهار تحب الصربات المتكررة للمدائف والقبايل. لقد أصبحت الفتحة سهبة العيصور؛ ولكن الأهالي استمروا في المقاومة، وقرروا أن يُدهسوا تحت أطلال

¹ نص لرماله لسر أصلياً، فهو مترجم من النسخة الفرنسية المنقولة من الأصل

مدستهم دون أن يسلموا وتقرر الاقتحام في اليوم الموالي.

مع طلوع النهار، تمكّن طابور المشجوعين الأول بقيادة المقدم «دولامورسيار» (De Lamoricière) من احتياز الخنادق، ووصل بسرعة على خاتم سدي مرت العروسي، الذي يقع على بعد خطوات من لفتحة أمام هذا المشهد؛ تلك الخوف ولباس بعض المحاصرين، وتحتل بن عيسى عن موقعه هارباً إلى ناحية الطابية، ومعه حشد من أساس. أما من لحاوي فقد ظل مرابطاً وتجمع حوله الرجال المؤمنون، ولكن تقدر جهودهم بممكنهم من إيذاء انددع جيوش واشتد المحاصرون والمحصرون بأحسادهم متقاتلين بأسلوف والحراب، وفي تلك الأثناء انصجر لعم في المكان الذي كان به أكبر عدد من الرجال، فامتلات لأرض دحشث ولأطراف المتناثرة وأحيرة، وبعد مقاومة بطولية ومجيدة، سقطت قسطنطينية في أيديها، وفي ذلك اليوم نفسه، 13 أكتوبر، رفع العلم الفرنسي فوق قصر آياياتها.

لم يتطع الخاج أحد أن يحس دموعه أمام مشهد سقوط عاصمته في سلطة الفرنسيين، وظل لمدة ثلاثة أيام في صواحي قسطنطينية عبر مستقر على موقف محدد وباحده مصانع قريته، نوعير من فانه، جمع كل ماصربه واتجه نحو سكرة، فدخلها بعد أن طرد منها عدوه وعريمه، فراحات من سعيد وفي شهر مايو من السنة الموالية؛ طرد بدوره أيضاً من طرف الركابي، حديفة عند مفاد. ومنذ ذلك الحين بدأت بالسنة لساني اسانق حياة الرحال والأصطرب؛ التي سوف تدوم لعشر سنوات، ولم تكن سوى سلسلة من الماعب والخيبات. وستعرض باختصار لأهم الأحداث فيها في شهر مايو 1839 أثار اللاعبة؛ فهرمه الحبران «بغربي» (Negrier) الذي أرغمه على الفرار عند الحاشية وفي الشهر الموالي ذهب إلى آخر كفة، ومن هناك انسحب إلى جبال لأورس، ونجدد في حل آخر حدود، وهو

الموقع المربع، حيث اتخذ منه ملجأ له ولعائلته وكل ما استطاع أن يحمل من ثروات¹ وفي ربيع 1840؛ أشعل ثورة عند الحراكتة، الأمر الذي أوجب تجريد حمية صدهم قادها الخيال «غالوا» (Galbois) الذي سدهم ثمانين ألف رأس من المناشبة وفي شهر أغسطس من السنة الموالية؛ ظهر في الحصنة، حيث استقطب بعض الماصرين، وتمت هريمته على يد الخيال «سبيغ» (Sillegue) في عين الرمل جنوب سطيف.

يشعوره ببعض الإحباط جراء هرائمه المتتالية؛ لم يُسمع عنه أي شيء مدة عامين، حيث كان ينتمى بين الحصنة تارة وأولاد سلطان تارة أخرى، وفيها فقد والدته اخا حقة رقية، التي طالما كانت معه في السراء والنصراء، وكان يكنُّها حبا وحزنا كبيرا، وبما أنه لم يحقق آمانه، واستسلامه هرب كان متأحرا بعض الشيء، كان حربي به أن يستسلم حتى يتجنب الأسف الذي أحس به لاحقا، وكان بإمكانه أن يستفيد من رحمة المنتصر الذي طالما قدومه؛ ولكن طمعه القليل لم يسمح طويلاً بحياة الركود

في شهر فبراير 1844؛ حضر لاستعراض حتى يعين سير حمية دوق «دومان» (Duc d'Aumale)، ضد سكرة، قطارده بعقيد «بوتفوكو» (Buttafuoco) وفي شهر مايو الموالي؛ قاد دوق دومان شخصياً طابور إلى أولاد سلطان؛ حيث أراد مهاجمهم في حياهم وجاء الخاخ أحد سمجدهم مع تسعة رجل بين فرسان ومشاة، ودام القتال يومين وليلة دون هوادة وتمكنت قواته، لمدخرة في اليوم الأول، من الاستيلاء على جميع المواقع في النهاية، وحرمت كل شيء وحتى حيلة السي الساس، وكل ما يمتلكه وقع في يد المنتصر، ولم يتمكن هو من الفرار إلا بصعوبة؛ حيث كان مريضاً، وسحب إلى المانع، وهو نخصيص صغير في جبال الأوراس

في السنة الموالية، 1845، وفي شهر مايو اقتضت تحركاته في لأوراس تنظيم حمية جديدة بقيادة الخيال «بيدو» (Bedeau) وفي المواجعة الأولى مع

¹ هذا يخص الثروات؛ فإن الكاتب يشير ربما إلى الكور التي كانت موجودة في العصر لم اجنبت، على حد قول برون في بحثه حول قصر ماي فسطيه (مرحم) أنظر 877 Charles Féraud, Visite au palais de Constantin. Paris

قوات تحيى عنه روحه؛ فعاد وحيداً مع قومه إلى المانع؛ الذي سرعان ما غادره للاستقرار نهائياً في أحمر خدو.

وهناك، ومع حلول العام 1848، فُتحت محادثات بينه وبين حاكم مسكرة حول استسلامه لفرنسا وبعد ترددٍ وافق على ذلك؛ حيث وضع سيفه بين يدي الرائد «دوسان جيرمان» (De Saint Germain). وبعد بضعة أيام رأى عاصمته السابقة متأثر كبير؛ حيث تلقى فيها من أهاليها علامات الاحترام والحنينة التي ظلموا أحسوا بها زمن سيادته.

بعد قصائه ثلاثة أيام في قسطنطينية، تم اقتياده إلى فيليميل ليُحمل على متن سفينة تابعة لدولة نفقته إلى مدينة «خرانتر» حيث أعطته الحكومة مسحة فدرعاً 12000 فرنك إلى أن وافته المنية في 30 أغسطس 1850 وتم دفنه في جامع سيدي عبد الرحمن أعلى حديقة «ماريغو» (Marengo)، وقد دهر عمره الثلاثة والستين.

وموفاته انتهى آخر باب من قسطنطينية؛ الذي كان أيضاً آخر ممثل للسيطرة التركية في الجزائر.

الفهارس

فهرس الاصلام

أ

- الأب دان. 14، 86، 89
 إبراهيم باشا (1711). 20
 إبراهيم باشا (1735). 125
 إبراهيم باي العليج (إبراهيم بن عبد الله).
 114، 1.6، 190
 إبراهيم باي المدعو بوضيع 178، 179،
 180، 181، 182، 183، 186، 190
 إبراهيم (بي توبس). 115
 إبراهيم بن بوعزيز. 76
 إبراهيم بن تواتي. 258
 إبراهيم حربحي 127
 بن بوجحاح 303
 بن ديدر 92
 بن شرداد 104
 ابن عبد العزيز 10
 ابن هشام 70، 71
 ابو حسن عني باشا 81
 ابو الحسن علي بن يحيى البورازي. 72
 ابو الحسن علي العطار 70
 ابو الحسن مرواني. 72
 أبو زكرياء يحيى بن عمر الرواوي. 60
 أبو محمد جعفر باشا 79
 أبو الطيب السكري. 60
 أبو العباس أحمد، المدعو احميدة بن
 بديس. 71
 أبو العباس أحمد زروق. 61، 68
 أبو عبد الله أحمد. 78
 أبو عبد الله محمد بن أفونس. 71
 أبو عبد الله محمد العطار. 80
 أبو الفضل الغربي. 63
 أبو الفضل قاسم لطفون. 71
 أبو القاسم العطار 80
 أبو السعيم رضوان باشا. 90
 أحمد، احميدة، المسبح. 83
 أحمد بابا اتمبوكتي. 15، 70، 71، 81
 أحمد باشا 77
 أحمد باشا (1806). 223، 224، 233،
 239، 240
 أحمد باي (الحاج أحمد باي بن محمد
 الشريف). 10، 24، 34، 39،
 96، 143، 193، 257، 259،
 260، 261، 277، 285، 286،
 287، 288، 289، 290، 291،
 292، 293، 294، 295، 296،
 297، 298، 299، 301، 302،
 303، 304، 305، 306
 أحمد باي بن عني، المدعو انقلي. 143،
 144، 146، 149، 159، 163، 170،
 190
 أحمد باي بن فرحات. 114

- أحمد باي الملوك (أحمد باي بن عبد الله). 257، 258، 262، 263، 269، 266، 265
- أحمد بن نعمه. 72
- أحمد بن الحملاري. 263، 272، 273، 274، 263، 302
- أحمد بن زكري. 240
- أحمد بن السايح. 237
- أحمد بن الصعري. 84، 85، 87، 93
- أحمد بن عبد الكريم العقون. 79
- أحمد بن العلمي (القاضي). 225
- أحمد بن لقاضي. 45، 46، 47، 49، 53، 56
- أحمد بن طرش. 220، 221
- أحمد بن نوة. 263
- أحمد بن يحيى بن سليمان الأوراسي. 68
- أحمد بوعريز. 200
- أحمد بومزرق. 298
- أحمد التونسي. 296
- أحمد خوجة. 209، 222
- أحمد خوجة (باشا). 209
- أحمد زروق. 132
- أحمد رروق بن سيدي محمد بن يحيى. 106
- أحمد شاوش، المدعو القصاب. 216، 217، 218، 220، 221، 224، 226، 228
- أحمد طومال (أحمد باي بن علي). 199، 225، 226، 228، 230، 231
- إسماعيل (الشاوش). 240
- إسماعيل باشا. 106
- إسماعيل بن براهيم باي. 272، 273
- إسماعيل بن خليل باشا. 102
- إسماعيل باش شاوش. 274
- ألفار غوماز زاغال. 57
- ألفانش. 184
- ألفونس روسو. 18، 46، 80، 82، 110، 116، 124، 136، 137، 157
- أحمد باي منباني (أحمد باي بن خان). 276، 277، 280، 285
- أحمد باي المبلي (أحمد باي بن دورد). المدعو بوشطابية. 259، 260
- أحمد بن لعقون. 254
- أحمد تشاكر (أحمد باي بن عبد الله). 199، 235، 236، 237، 238، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 256، 261، 267
- أم هاتن. 121
- الأمير عبد القادر. 305
- أمين خوجة. 263
- أوريان. 18
- أوغليس أغا. 143
- ب**
- بابا حسن باشا. 181، 192، 197
- بابا عروج ببروس. 19، 44، 45، 46، 55

- بابا علي. 136
 باب محمد باشا. 196
 باش آغا باي (عمر بن عبد الرحمن باي، عمر باي). 106
 بيسونال. 38، 113، 119، 120، 121، 122، 124، 128، 129، 171، 188
 بدر الدين بن محمد بن لعقون. 114
 برهم باي، العربي (براهم باي بن علي) 261، 262، 263
 برهم دي الثربلي (براهم دي بن علي) 263، 272، 273، 274، 275
 بن القندوسي 225
 بن هي 238
 بوبلة 204
 بوجاج. 210
 بوحصص. 273
 بوربان بن زكري 176، 177
 بوربان بن العلمي 272، 275، 278، 282
 بوشطابة 260، 261
 بوعرب بن فانه (بوعرب بولخرا) 295
 بوعزيز بن ناصر (السلطان). 120، 121، 122، 123
 بوضياف. 264
 بومعزة. 204
 بونايارت. 199
 بيار داسيتي. 52
 بابا علي. 136
 باب محمد باشا. 196
 باش آغا باي (عمر بن عبد الرحمن باي، عمر باي). 106
 بيسونال. 38، 113، 119، 120، 121، 122، 124، 128، 129، 171، 188
 بدر الدين بن محمد بن لعقون. 114
 برهم باي، العربي (براهم باي بن علي) 261، 262، 263
 برهم دي الثربلي (براهم دي بن علي) 263، 272، 273، 274، 275
 بن القندوسي 225
 بن هي 238
 بوبلة 204
 بوجاج. 210
 بوحصص. 273
 بوربان بن زكري 176، 177
 بوربان بن العلمي 272، 275، 278، 282
 بوشطابة 260، 261
 بوعرب بن فانه (بوعرب بولخرا) 295
 بوعزيز بن ناصر (السلطان). 120، 121، 122، 123
 بوضياف. 264
 بومعزة. 204
 بونايارت. 199
 بيار داسيتي. 52
 بركات المسح. 73
 بركات بن سعيد. 69
 بركات بن عبد المؤمن. 83
 بركات بن محمود. 83
 البركاني. 305
 بريسني. 44، 48، 49، 77، 198
 البصري. 148
 بكير حوجة. 251، 274، 278
 بلقاسم بن زكري. 257

الحاج مصطفى إنجليز باي (الحاج
مصطفى باي بن حسين). 197،

198، 199، 200، 211

الحاج المكى بن زقوطة. 301

الحاجة رقية 306

حسن أعا. 52، 57، 58، 59، 60، 62

حسن الكبير. 157

حسن باشا (ابن بوحنك). 151، 182

حسن باشا (حسن بن حير الدين). 62، 64

حسن باشا (1792). 203

حسن باي. 82

حسن باي بن حسين، المدعو بوحنك.

11، 128، 129، 130، 131، 132،

133، 134، 151، 163، 190

حسن بن أبي القاسم بن باديس. 71

الحسن بن خلف الله بن باديس القيسي. 71

حسن بن عبد الحنان. 79

حسن بن عبد الكريم لعقون. 79

حومة بن حسين باي. 193، 194

حسين باشا (حسين داي). 12، 257،

258، 279، 280، 285، 287، 294

حسين باش أعا. 216، 218، 219،

220، 222، 224

حسين باي (تونس). 130

حسين باي، المدعو زرق عينو. 134،

136، 141، 142، 143، 149،

151

حسين باي بن حسن باي بوحنك.

181، 182، 191، 193

ج

جان دارك 121

جان بون سانت أندري. 197

جعفر بي. 52

جلال باي. 235

الحمرال دامريمون. 266، 274، 302، 304

الحمرال ديفر. 161

الحمرال مياح. 306

الحمرال عالموا. 251، 306

الحمرال عالي. 304

الحمرال نيغريي. 164، 305

ح

الحاج أحمد بن لبص. 192، 203، 205

الحاج أحمد بوعكاز بن عاشور. 246

الحاج بن فانة. 143

الحاج بوعلام. 276

الحاج حسين. 272، 273

الحاج عباس بن جلول. 123، 128،

129، 188، 225

الحاج عبد الرحمن بن نعمون. 258،

263، 278

الحاج عبد الكريم المملوك. 258

الحاج عمار بن زقوطة. 292، 293

الحاج مبارك بن أحمد بن علي. 264

الحاج محمد بن الحرش (الشريف).

204، 205، 206، 207، 208،

209

الحاج مصطفى. 102

حسين باي (حسين باي من صالح باي).

215, 212

حسين بن بلقاسم بن باديس. 71

حسين بن سليمان 201

حسين بن علي (باي تونس). 115،

116، 135، 136، 139

حسين بن الفاضي 47

حسين بن أحمد بن القاضي 56

حسين بن محرومة (الفاضي) 56

حسين، المدعو دنغزلي باي. 8، 117

حسين شاوش باي. 8، 117

الحفصي بن عون. 249، 296

هادي بن عون. 249

هلاوي بن معطي. 272

هو بن كوتشوك علي. 279

هو بن نعمون. 225

حمودة باشا. 157، 158، 159، 160،

203، 211، 213، 232، 233

حمودة باشا باي. 140

حمودة باي. 117

حمودة بن عبد العزيز. 126، 136

الحيوي. 285

خ

خليل باي. 111، 112

خليل بن عصيان. 103

خير الدين مبروس. 19، 44، 45،

46، 47، 50، 53

56، 57، 58، 60، 76

خير الدين باي. 114، 115

د

دالي باي (عبد الرحمن). 105، 106، 189

داوود بكري. 231

دايحة بنت حسن باي. 211

دحمان بن زكري 199

الدكتور شو. 119، 169، 172

دوبواتاغيل. 199، 207

دودوتاليي. 46

دوغرو دوسولور. 140

دوقال. 12، 13، 280، 289

دوفولكس. 18، 37، 38، 127، 168،

232

دوق أورليان. 151

دوق أومال. 306

دوق نومور. 302

دوم مارتس. 63

دوموريي. 197

دون بارثولوميو. 172

دون حوال. 67

دون خوان بشارد. 81

ديفوتان. 169، 171، 172

دس 43

دسودي فيرا 52

ذ

الذباح 255

ذباح بن بوعقار. 259

ز

زاملون 146

الرائد دو سان جبرمان 407

- الرائد يوسف 264، 297، 299، 300
الراسس حميدو. 232، 233
الرباطي 273
رحب باي 101، 102، 103، 104،
109، 114، 130، 189
رُقصة. 156
رمضان باشا 67
رمضان باي 52
رمضان بن تشولاق 65، 189
س
سالف 124
ساندر رابع 18، 43، 57، 206
ساندوغال. 45، 46
سانون 172
سليم (السلطان) 46
سليمان (نونس). 136
سليمان (القاضي) 73
سليمان المسكري 240
سليمان بن دال 240، 260
سليمان بيح المملوك. 261، 262
سليمان القانوني 56
سليمان كياهية. 212، 213
السهاري. 278
سان باشا. 67
سدي إبراهيم بن أحمد بن السعيد 273
سدي أبو عداقة محمد السامي 90، 92
سدي الحاج محمد داي 106
سدي الحسن الورتلاي 143
سدي خالد الشاوش 266
سدي سليمان المجدوب (الشيخ
سليمان المجدوب) 214، 250
سدي عبد القادر الحيلاني. 260
سدي عبد الله بوالكليب. 250
سدي عبد المؤمن. 71
سدي علي بن عمر. 259
سدي علي بن محمد الساسي 87
سدي علي بن مخلوف 250
سدي المكّي بن باديس 71
سدي يحيى بن سليمان الأوراسي 68، 69
سدي يحيى بن محمد بن لعقون. 53،
69، 77
السير بوليو، برياي. 81
سي أحمد بن الشريف 248
سي أحمد بن محمد العتري 154
سي سديرة. 123
سي عصمان بن شاوش 246
سي محمد بن مالك 256
سي محمد لمكي بن الساسي 240، 245
ش
شارل الخامس. 57، 58، 60، 62، 76، 153
شليل بن علي ششبين 103
شريط بن صاوله 85
شعبان باي 106، 107، 109، 90.
شعان بن حلول 134، 167
شعان بن المعطي (أعا). 223
الشيخ أحمد الرواوي 156، 174، 176،
193، 201
الشيخ أحمد العشي 245

ص

صالح باي بن مصطفى، 10، 12، 19،
21، 22، 23، 130، 147، 148،
149، 150، 151، 152، 154،
156، 157، 158، 159، 160،
161، 162، 163، 164، 165،
167، 169، 170، 172، 173،
174، 175، 176، 177، 178،
179، 180، 181، 182، 183،
184، 186، 188، 189، 190،
191، 198، 199، 212، 239،
256، 265

صالح العنزي، 18، 97، 98، 101،
102، 105، 109، 110، 116،
125، 128، 131، 132، 142،
154

صالح رابس ماشا 62، 160
صبة، 103

ط

الطاهر بن عون، 239، 248
الطاهر الرموري، 260
الطيب بن السايح، 237

ع

عائشة بنت حسين باي، 169
عائشة بنت السايح، 237
العباسي (الفيد)، 66
العباسي (القاضي)، 167
عبد الرحمن بن فرحات باي، 80، 117

الشيخ لأكرح 196

الشيخ السطحي 60

الشيخ بن علي 86

الشيخ حسوي بن بلقاسم 264

الشيخ خالد، 86

الشيخ برزقي 264

الشيخ سعيد بن أحمد المقرئ التلمساني، 187

الشيخ سي أحمد المعالي، 272

الشيخ سيدي حبيب بن سيدي عيسى

العريشاري، 67

الشيخ سيدي عيّد 176

الشيخ سيدي محمد بن حسن، 72

الشيخ الطاهر الوراقزي، 225

الشيخ عبد القادر الراشدي، 100، 167

الشيخ عبد الكريم لفقون، 15، 61،

64، 66، 69، 72، 73، 77، 78، 79،

80، 83، 95، 100، 101، 102

الشيخ فتح الله 225

شيخ محمد لكهاد، 70

الشيخ مصطفى بن جلول، 18، 30،

128، 183

شيخ عمر الوزان أبو حفص، 58،

60، 61، 68، 70، 72، 78

الشيخ يوسف 200

شيربوتو، 15، 17، 18، 26، 60، 75،

77، 110، 111، 113، 128،

129، 133، 134، 148، 162،

165، 174، 183، 185، 190،

192، 220، 255

- عبد الرحمن بن كريمة. 99
عبد الرحمن بن لعقون. 184
عبد الرحمن بن مولاي محمد. 54
عبد العزيز (رعيم بن عباس). 62
عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم
لعقون. 83
عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن
يحيى بن محمد لعقون. (90 100)
101, 102, 186, 187
عبد الكريم بن محمد لعقون. 69
عبد الكريم بن يحيى بن محمد لعقون
(أبو محمد). 61, 64, 66, 69
72, 73, 77, 78, 79, 80
عبد النظيف المسبح. 64, 66, 72, 83
عبد الله باي (عبد الله باي بن إسماعيل).
192, 209, 211, 221, 242
عبد الله بن زكري. 257, 263, 267, 278
عبد الله بن العباس. 83
عبد الله الصعير. 253
عبد الله محمد بن عبد الكريم لعقون. 79
عدي باشا. 129
عبود. 99
العربي بن العلمي. 298
عرفة القيرواني. 60
عزيزة باي. 101, 103, 104
عشي حسين. 138
عصيان باي (عصيان باي بن محمد).
192, 203, 207, 209
عصيان (باي تونس). 233
عصيان حوجة. 239, 250
العقيد بوتاهيو كو. 306
لعقون. 243
علجية نسب بو عريز بن ماهر. 121, 123
علي باشا. 84, 89, 85
علي (باشا تونس). 124, 125, 126
127, 130, 135, 137, 138, 139
علي باشا بن محمد. 210
علي (باي تونس). 126, 130, 131
136, 137, 139, 140, 157
علي باي (علي باي بن يوسف). 216
2, 220, 221, 222, 226, 246
علي بربار. 261
علي بن إنجلير باي. 200, 201, 202
علي بن الخاخ رابع. 263
علي بن حجوح. 301
علي بن هودة باي. 116
علي بن صايح باي. 118, 119
علي بن عيسى. 24, 293, 294, 299
296, 297, 303, 304, 309
علي بن فراح (أبو الحسن) (علي بن
ماراكس). 91, 93, 94, 95, 96
علي بن محمد التسي. 87
علي بن مرعي. 299
علي حوجة باش (لعروق أو العسال)
230, 241, 250, 257, 258
علي خوجة باي. 109, 110, 111
114, 190
علي لعاصمي. 99

84، 90، 118، 155، 156، 168،

179، 207، 289، 306

فيليب الثاني. 67

ق

قارة بن علي باشا. 109

قارة حسن. 47، 48، 49، 53

قرة مصطفى باي. 199، 251، 252،

253، 254، 256، 257

قاسم بن فراح (أبو الفصل) 96

قاسم بن يحيى لفنون. 70

القائيد أحمد بن رمضان. 103

القائيد رجب بن حسين. 81، 83

لقائيد رضوان خوجة. 191، 192،

195، 199

القائيد سليمان. 258، 265، 269، 280

القائيد شريف بن منصور. 143

القائيد شعبان. 85، 94

القائيد شمس الدين. 73

لقائيد عمار بن شريف. 198، 200

لقائيد محمد بن حسين. 73، 83

لقائيد مراد. 94

لقائيد نبيل. 51

لقائيد يوسف. 76، 85، 86، 93، 94

ك

كاريت. 8

كليان حسين باي، للدعوة بوكمية.

119، 126، 124، 125، 126،

127، 130، 134، 172، 188،

190

علي العليخ المرطاس (علوش عي
المرطاس). 54، 65، 66

علي المملوك. 258، 262

عمار بن الحملأوي. 244

عمار بن عون. 258

عمر (أعا). 236، 237

عمر باشا. 243، 250

عمر بن خالد. 282

عمر بن الفشي. 301

العوادي. 53

عيسى بن محمد التعالبي. 87، 90

غ

عمر. 225

ف

فارسي. 18

فاهمة بنت فرحات. 103

فالن إسترهاري. 18، 208

فالير. 141، 102، 197

فرحات باي، ابن مراد باي. 95، 96،

97، 98، 99، 100، 101،

103، 105، 189

فرحات بن جلاب. 161

فرحات بن سحنون. 263

فرحات بن سعيد. 294، 295، 305

فرحات بن علي. 143

فرحات بن مراد. 266

فوتور دو بارادي. 43

فيرو (لوران شارل). 51، 52، 83،

مصطفى نخوجة. 220، 221، 236، 237
مصطفى داي. 114
مصطفى الوزياجي (مصطفى بن سليمان). 195، 196، 197
لقدم دولامورسيار. 305
معمربن لخرش. 240، 241، 259
مقورة بن عاشور. 246، 275
مبي. 203
مسجور. 60
مصور البلي. 267
مول الشفقة. 251
مولاي أحمد. 66
مولاي حسن. 54، 55، 56، 60
مولاي عبد الله. 46
مولاي عبد المؤمن. 54
مولاي محمد (السلطان محمد). 45، 46
67، 54، 49
مولاي ناصر. 54

ن

نعمان باي (محمد نعمان باي بن علي).
23، 232، 233، 234، 235، 236، 237
نعمة الله. 259
نعمون. 220، 221
نقيب أرماني. 297
نقيب فريار. 297
نقيب يوسف. 297

محمد الشريف (الخليفة). 191
محمد دباقي. 24
محمد العربي بن نعمون. 288
محمد لكبير باي. 151، 203
محمد الفاروسي (لوراق). 69
عمود باشا (نوس). 233
عمود بن تشاكر. 242، 253، 256
261، 262، 263، 267، 278
279، 280، 281، 290
نختاري. 264
الربط سيدي محمد. 174
الربط لعربي. 301
مراد باشا. 101
مرد باي. 66، 85، 86، 89، 95، 189
مراد (باي تونس). 109، 110، 111
112، 113، 212
مرجان. 260
مسعود (الخباز). 221
مصطفى باش (18م). 4، 5، 116
مصطفى باشا (19م). 199، 209، 210
مصطفى بن باش تدرري. 225
مصطفى بن حبل. 103
مصطفى بن زكري. 267
مصطفى بن سليمان (القاضي). 56
مصطفى بن عاشور. 215، 222، 223
246
مصطفى بن كوتشوك عي. 258
مصطفى بن ليص. 258، 263، 278
مصطفى بن لخرش. 241

هـ

المطادف بن علي. 235

هايندو. 46، 47، 48، 52

هوغو دي مونكاد. 56، 60

و

وزان حسن. 118

ي

يحيى آغا. 285

يوسف (الباشا)، أبو الخيال. 83، 86،

90، 92، 93

يوسف صاحب الطابع. 215

يوسف (فايد الدار). 237، 239، 259

يوعرطا. 15

يونس ابن علي باشا. 125، 131، 135، 136

فهرس الضرق والقباثل والشعوب

i

الأعلبة. 255	لأترك 13، 17، 19، 21، 22، 28
الإنجلز. 198، 200، 209، 210، 216	32، 33، 36، 37، 43، 44، 45
243	46، 47، 49، 52، 53، 56، 57
الإنكشاريون. 63، 118	58، 62، 63، 64، 68، 70، 74
لأوروپيون 48، 104، 119، 142، 197	75، 76، 77، 85، 87، 88، 89
لأرجاق 134، 148، 226، 227	90، 94، 97، 107، 113، 121
أولاد إبراهيم. 35، 268، 269	123، 131، 135، 139، 140
أولاد بلقاسم. 123	145، 146، 147، 149، 175
أولاد بن زكري. 176، 258، 266	181، 183، 186، 203، 204
203، 275، 271	208، 210، 212، 215، 217
أولاد بن العطار. 256	219، 221، 224، 225، 227
أولاد بن ليض. 116، 288	228، 229، 241، 243، 248
أولاد بن معمون 288	257، 276، 285، 286، 287
أولاد بورمان. 241، 247، 288	288، 290، 292، 293
أولاد بوعكاز. 162	الإخوان. 174
أولاد بوعون. 109، 196	الأرواغ. 54
أولاد ثنان. 265	الأسان. 62، 63، 67، 153، 154
أولاد الحاج. 250	155، 156، 184، 195، 203
أولاد حبة. 250	أسرة بن وادعل (بلوادقل). 134، 188
أولاد خلوف. 118	أسرة سيدي إبراهيم الضرباني. 88
أولاد دراج. 36، 248، 249، 278	أسرة سيدي علي الوتسي. 188
أولاد دياب. 106	أسرة الشيخ رادي. 188
أولاد سحنون. 291	أسرة عبد القادر الراشدي. 188
أولاد سعيد. 82، 196، 299	أسرة محمد بن علي. 188
أولاد سمد بن سلامة. 241	أسرة مسعود المحبي. 188
أولاد سلام. 265، 288	الأعلاج. 120

ب

البيلاز. 99، 100
البرانية. 150
البربر. 57، 71، 112، 113
بربروس (الإحوة). 43، 44، 45، 50،
57، 60، 75، 76
السندقيون. 160
اليلربيات. 106
بن يلس. 291
بني أورار. 72
بني جندل. 169
بي حمد. 9، 73
بني حطاب. 250
ني صييح. 250
سي عامر. 255، 255
بني عباس. 33، 62
سي عجاب. 247
بني مزلين. 264
بني منصور. 34، 41
بي وابان. 204، 250
سي وجدة. 272، 298

ت

التلاعمة. 36، 225، 258، 275، 305
تيم. 100
التوسيون. 82، 112، 113، 126
139، 212، 213، 232، 233

ج

جنايدية. 107، 195، 196، 204

أولاد سلامة. 235

أولاد سلطان. 144، 286، 288، 306

أولاد سي أحمد. 265

أولاد سيدي إبراهيم. 235

أولاد سيدي الشيع (أولاد بن بطون). 75

أولاد سيدي عبيد. 176، 177، 247

244

أولاد سي زريعة. 196

أولاد سي علي تاحامت. 273

أولاد شليح. 273

أولاد صاولة. 77، 131

أولاد عامر. 298

أولاد عبد النور. 122، 241، 286، 291

أولاد عراس. 250

أولاد علي بن صابر. 265

أولاد علي بن يحيى لعواسي. 200

أولاد عمر. 151

أولاد عبدون. 250

أولاد عيسى. 68

أولاد ماضي. 235

أولاد معلقة. 298

أولاد مفران (المقرانيون). 33، 36

118، 241، 242، 270

أولاد موسى. 196

أولاد نابت. 241

أولاد ناصر. 121

أولاد ناصر بن خالد. 88، 89

أولاد نابل. 149، 278

أولاد يحيى بن طالب. 35، 265

108، 145، 146، 149، 150،

225، 218، 170

الرتاني. 225

زراعة. 35، 250

رواية. 38، 39، 65، 72، 143، 231،

238، 253، 290

س

السراوية. 225

الطفية. 152، 170، 218، 243، 263،

302

ش

النابة 144

الشارية. 34، 35، 123

ص

العصايجية. 24، 32، 146، 161، 199،

272

ع

عامر الشراة. 35، 237

عامر العراة 36

عائلة الثعالبي. 88

عائلة المسيح. 73

عائلة بن ياديس. 71، 188

عائلة بن جلاب. 161

عائلة بن حسين. 82

عائلة بن الساسي. 58

عائلة بن السابح 245

عائلة بن عبد الحليل، بن جلول. 133،

134، 188

عائلة بن عمرو شريف. 82

الحراثيون. 22، 110، 112، 113،

115، 116، 125، 126، 137،

139، 138، 140، 141، 154،

158، 159، 207، 220، 232، 233،

خويون. 43

ح

حراكة. 24، 35، 242، 273، 305، 306،

خمصيون. 55، 67

الحباشة. 35، 84، 121، 122، 176،

200، 264، 305

■

دائرة السراوية. 40

دائرة الراد. 41

المريد. 56

الدواير. 23، 227

ذ

الدواودة 35، 242

ر

الرهبان الكوثيون. 141

الرومان. 15، 134، 171

ز

زردارة. 35، 196

الرمالة. 11، 24، 39، 40، 107، 108،

109، 120، 130، 144، 145،

146، 152، 170، 218، 240،

248، 272، 273، 274

لزمول. 13، 24، 35، 37، 39، 40،

- عائلة بن قانة، 162
عائلة بن لقفون، 77، 76، 75، 71، 28، 88، 80، 98، 100، 88
عائلة رويوش بن أبي لول الدودي، 56
عائلة الصخري، 90
عائلة عبد المومن (أولاد سيدي عبد المومن)، 76، 75، 28، 77، 78، 93، 94
العشيرة، 1
العشيرة، 235
العرب، 11، 13، 19، 27، 31، 32، 34، 35، 39، 45، 46، 57، 63، 66، 68، 71، 84، 85، 88، 89
، 93، 2، 120، 12، 125، 37
، 150، 153، 159، 169، 172
، 185، 20، 223، 227، 228
، 233، 237، 274، 287، 289
العشائر، 196
العشيرة، 272
العشيرة، 293
العشيرة، 294
ف
الفرنسيون، 128، 127، 75، 37، 28، 133، 140، 163، 164، 169، 197، 199، 206، 212، 233، 251، 260، 282، 297، 298، 300، 302، 303، 305
الفرنسيين، 301
الفقيرات، 281
- ق
انقبائل، 34، 122، 206، 207، 208، 210، 213، 301، 304
قيدة بوطة، 71
لقنطيون، 10، 55، 56، 65، 84، 111، 205، 213، 229، 257
اللقنئون، 143
قرلة، 40، 68
لقوم، 23، 123، 176، 208، 214، 215، 219، 223، 227، 228
، 248، 274، 302
ك
الكر، غلة، 27، 37، 89
م
المرايطون، 156، 173، 200، 249، 250
المريون، 9، 73
المراقية، 37، 40
المسلمون، 11، 27، 92، 102، 133، 151، 154، 155، 164، 169
، 180، 193، 204، 236
المسيحيون، 47، 63، 67، 81، 120، 153، 154، 206
المعامرة، 269
الموريون، 86، 22
ن
النصارى، 102، 153، 156
النماشة، 56، 176، 204، 247، 264
، 268، 272

هاصن أوجير 195

النوجية 2.7

و

الوندانية، 268

ي

اليهود، 26، 155، 164، 255، 259

فهرس الأماكن والبلدان

أ

- أبواب الحديد. 226، 33
إسبانيا. 64، 67، 152، 153، 184، 197
إفريقيا. 43، 52، 67، 81، 124، 147،
213، 197، 180
أليكانت. 155
أم الأصتاب. 273
أم الأصنام. 122، 124
أميف أو المالح. 149
بجلترا. 140، 197، 198، 207، 243
لأوراس. 34، 35، 68، 69، 100،
123، 196، 265، 269، 272،
299، 305، 306
أورلال. 259
أوروبا. 9، 13، 73، 143، 197، 289
إيستور (سطورة). 49
إيطاليا. 48، 57

ب

- باب الجاية. 26، 78، 94، 164، 245
باب الخصر. 162
باب الدروج. 220
باب سيدي عبد السلام. 162
الباب العالي. 20، 46، 50، 90، 199،
291
باب عزون. 213، 226
باب القنطرة. 26، 67، 164، 281
باب الواد. 26، 61، 238، 299، 300
بانة. 39، 144، 170، 171، 196، 273
باجة. 66
بلردو. 245
الباردو. 139، 176
البليار. 172
بجاية. 9، 34، 38، 39، 55، 62، 73،
206، 209، 217
البحر الأبيض المتوسط. 34، 114
برج بوعريبيع. 88
مرج الخيانة. 63
مرج علي رابيس. 138
مرج الصقية. 44، 176
مرج العديسين. 63
سكرة. 35، 38، 62، 82، 91، 93،
234، 305، 306، 307
الطحة. 78
عداد. 9، 10، 71، 73، 289
بلاد الحاشة. 121، 122، 176
بلاد رواوة. 65، 72، 143، 253
بلاد السقية. 218، 302
بلاد سوف. 265
لمرمة. 35، 109، 143، 286
البليدة. 203، 285
السقية. 157، 158
بن هسي. 41

84، 109، 111، 112، 113،
115، 116، 117، 118، 120،
121، 124، 125، 126، 127،
128، 130، 131، 132، 134،
135، 136، 137، 138، 139،
140، 141، 142، 143، 149،
157، 158، 159، 160، 161،
172، 203، 204، 211، 212،
213، 214، 215، 216، 218،
223، 231، 232، 233، 234،
264، 265، 294، 301

النيطري 20، 34، 195، 226، 298
نيكمارت 130، 145

ج

جامع اللاط. 70

جامع سيدي بركات العروسي 305
جامع سيدي عبد الرحمن 307
جامع سيدي مكتي 163
الجامع الكبير. 78، 79، 101
جامع المالكية. 162
جامع معمر 113
جال البابور. 72
جبل أهر خلو. 305، 307
جبل شطاه. 156، 169، 193، 250،
288
جبل القراسطة. 282
جبل قريون. 108، 218
جبل مستواه 196
جبل وارفر. 156، 174، 175

بونة علي. 144، 171

بوسعادة 235

بوشفرون 161

بومحوس 115

بونة 122، 124، 133، 172، 189،
197، 198، 199

بوبة 101

بيراحدد 291

البياد (سلسلة) 34

بر البشيراب 41، 225، 241، 253

بر مريات 237

ت

تادرت وسفريفة 282

تارفة. 193، 201

تاغروت. 241

تسة 34، 35، 36، 38، 157

تداس 44

تركيا 37، 275

التركيتان 37

تستور. 113

تفرت 14، 62، 161، 162، 265

تلمسان. 9، 45، 46، 62، 73، 151، 187

تنس 48

تنس 63

توبرسوق 113

تولون. 197

توس. 24، 31، 43، 44، 45، 46، 49

51، 52، 53، 54، 55، 56، 57

58، 66، 67، 70، 73، 76، 82

- جبل الوحش. 134
الحريد. 198، 265
جسر أو مال. 85
جسر القطرة. 170، 193، 194، 300
حملة. 40، 212
جبل سادي محمد العرب (جبل صالح ماني) 169، 246
حسوة. 48
حمام لعنة. 112
حجل. 48، 49، 53، 122، 204، 252، 251، 217
حمام (حمامة قسنطينة) 44، 49، 50، 51، 53، 55، 84، 85، 103، 144، 169
حد امعصل. 104
الحديقة. 153
حديقة ماريغزو. 307
الحراش. 152، 153، 156
حصن فرنسا. 89
حصن القديس ميشال. 63
الخصنة. 36، 62، 296، 306
حفرة صهاجة. 85
حلق الرادي، حصن الساعة. 66، 67، 81
خيام. 299
الحمامات. 81
حمام قصر الطير. 237
حمرة. 38، 41، 101، 282
الحمير. 152
الحوش. 41
حي التليس. 162
الحيرش. 82
خ
حولة سيدي عبد القادر. 254
الحوا. 84
حناق تاشوطة. 152
الحقة. 295
حنس. 153، 154
د
دار التونسي. 199
دارمي العبادي. 219
دار سمون. 220، 221
دحوس. 41
الدريّة. 193
دلس. 44
الدير. 35
الديس. 235، 295
ذ
ذراع الأحمر. 33، 41
ذراع البعال. 41
ذراع شيتي. 56
ذراع الصال. 41، 241، 269
ذراع القبور. 248، 249
الدرعان. 299
ر
رأس الحجل الحافة. 82
راس الحمامة. 290

171، 193، 207، 210، 237،

241، 286، 290، 291، 306

سفينة بيربير 297

سكينة 35، 48، 85، 171

سمعة 125

سمندو 56

سميرن 37، 148، 234، 238

سهن سفينة 120

سهل ملينة 39، 170

سهل نفوس 71

سوسة 130

سوق أمرس 278

سوق السراحيب 180

سوق المعز، 276

سيدي محمد الغراب 174، 246

سيدي خليل 161

سيدي سعيد الصفراوي 266

سيدي عيسى 34

سيدي فرج 13، 289

سيدي مبارك 41

سيدي مبروك 94

سيدي هجرس 34

سيرتا 15

سيفوس 24

ش

شاربو 137

الشارع 164

شارع الرادعين 92

الربطة 209

رحبة الحمام 61، 72، 144، 217

رحبة الصوف 03

ريعة 36، 205، 261، 265، 286

ز

الزاب 62، 88، 259، 292

زينة 122، 196، 248

زاوية سيدي أبو لعاس 72

زاوية سيدي أحمد بن علي 118

زاوية سيدي علي بن مبارك 116

زاوية سيدي ياسمين 250

زاوية الشيخ سيدي عبد 176

زاوية لشيخ انوزاب 72

الزعاطشة 161

زعون 26

زعمرة 36، 286

الزيب 162، 163، 265

س

ساحل سبور 265

سجن نقصة 182، 192، 222، 263، 277

سدرة الشريعة 278

سدرة العانة 275

سدرة 116

السرى 40

سطارة 82

سطورة 48، 122، 170، 172

سطين 41، 85، 88، 110، 112

- شارع روو. 193
 شارع الطاية. 261
 شارع غدير بلعطاس. 220
 شارع كاورو. 183
 شارع كرماد. 193، 183
 شارع كومب. 183
 شرشال. 260
 شطابة. 288، 250، 156
 عين الخشبة. 40
 عين الرمل. 306
 عين زانة. 292
 عين سمارة. 107
 عين طافة. 122
 عين فسقية. 108
 عين قجارو. 133
 عين باقوت. 273

ف

- فاس. 9، 73
 فاما. 123
 فح سيلة. 302
 فح طراد. 247
 الفحص الأبيض. 44، 48، 53، 54، 84، 85
 فرحيوة. 35، 172، 215، 223، 246، 253، 275
 فرقاس. 123
 فرنسا. 11، 12، 13، 74، 89، 140، 141، 142، 151، 155، 161، 165، 192، 197، 206، 210، 211، 216، 231، 264، 280، 287، 289، 295، 296، 303، 306، 307
 انفسقة. 170، 218
 مفونة. 100
 فليسة. 46، 143، 212، 213
 فلق الريت. 180
 فيبيل. 85، 307

ص

- صفاقس. 149، 150
 صفلية. 91

ط

- اطاية. 305
 طبرقة. 34
 طرابلس. 67، 111
 طولقة. 161، 259

ع

- عداورة. 298
 عتبة الخماله. 144، 145
 عتبة العشاري. 299
 عفة عمال. 285
 عانة. 38، 45، 47، 56، 57، 58، 63، 67، 72، 81، 87، 90، 192، 93، 116، 132، 169، 170، 189، 204، 213، 225، 243، 258، 264، 286، 292، 293، 297، 302، 303
 العناصر. 153

142، 143، 144، 146،
147، 148، 149، 152،
157، 158، 159، 160،
161، 163، 165، 168،
169، 170، 171، 172،
174، 175، 176، 177،
178، 180، 181، 182،
183، 188، 189، 191،
193، 194، 195، 197،
198، 199، 200، 201،
202، 203، 204، 205،
206، 207، 208، 209،
211، 212، 213، 214،
215، 216، 217، 218،
219، 221، 222، 224،
226، 228، 229، 230،
233، 234، 235، 237،
238، 240، 241، 242،
243، 246، 247، 248،
250، 251، 252، 253،
255، 256، 257، 259،
260، 261، 263، 264،
266، 267، 269، 271،
272، 274، 275، 276،
277، 278، 281، 282،
285، 286، 288، 290،
291، 292، 293، 294،
295، 296، 297، 298،
299، 300، 301، 302،
303، 304، 305، 306، 307

ق

قارب، 41، 241، 269،
قناة، 45، 47، 89، 170، 195، 197،
199، 211،
قناة، 171، 278، 299، 302، 303،
قاهرة، 9، 73، 83،
قحال، 85، 88، 89،
قرطبة، 9، 63، 73،
القسطنطينية، 37، 46، 50، 56، 65،
67، 199، 232،
قسطنطينية، 7، 9، 10، 11، 15، 17، 18،
19، 20، 21، 22، 25، 26،
28، 33، 34، 35، 36، 38،
39، 40، 41، 43، 44، 45،
46، 47، 48، 49، 51، 52،
53، 54، 55، 56، 57، 58،
59، 60، 61، 62، 63، 64،
65، 66، 67، 68، 69، 70،
76، 77، 78، 79، 81، 82،
83، 84، 85، 86، 87، 88،
89، 90، 91، 93، 94، 95،
96، 97، 99، 100، 101،
102، 103، 104، 107،
108، 109، 110، 111،
112، 113، 114، 116،
118، 120، 121، 122،
124، 125، 126، 127،
128، 129، 130، 131،
132، 134، 135، 136،
137، 138، 139، 141

- الفصبة. 21، 39، 78، 111، 138، مانطا. 81
 139، 162، 253، 254، الماش. 198
 276، 297، المانع. 306، 307
 271، 222، 36، ماعون. 172، 57
 173، قصر العمولة. المتكوك. 248
 20، 38، 47، 48، 49، 52، 143، منبجة. 41
 170، 217، مجاز الأحمر. 110
 139، قنعة لباردو. مجاز الحمار. 41
 234، 232، قلعة الكاف. مجاز عمار. 303، 302، 299
 82، ثلوب الثيران. بحاة. 36، 41، 241، 270
 282، لقلبة. مجردة. 169، 215
 135، 130، 126، 47، القبروان. عجر الطين. 102
 ك
 34، 113، 115، 137، 142، الكاف. مدراسن. 122
 264، 233، 143، مدرسة بن أفوياس. 61
 33، 111، 171، 175، كدية عتي. مدرسة سيدي الكتاني. 163، 165، 184
 214، 218، 229، 238، المدفع التونسي. 172
 249، 250، 263، 296، مدلسو. 144
 299، 304، المدينة. 235، 263، 277، 291، 298
 299، 304، المدينة المنورة. 128، 172، 183، 250، 258
 170، الكرشة. مرج كوحيل. 110
 62، كوكو. مرفاس. 72
 48، كولو (القل). مرسى الكبير. 62، 63
 ل
 123، لاسير. مرشو. 193
 161، يشة. مروانة. 69
 164، بعوربو. مستعانم. 62، 63
 276، 219، 128، مسجد سوق العزل. 128
 164، مسجد سيدي التلمساني. 164
 164، مسجد سيدي صعر. 164
 245، مسجد سيدي علي العجل. 245
 م
 271، 262، 258، مارونة. 149
 149، المانح، أمسيف.

فهرس الاماكن والبداان

وااءى سبوس . 169

وااءى الاءام . 278

وااءى ،ءملفء . 82

ورءلة . 62

وروءة 285

وهران . 20 . 62 . 90 . 92 . 118 . 151 .

172 . 177 . 179 . 197 . 203 .

233

فهرس الموضوعات

8	ترجمة الكتب
9	قراءة نقدية لكتب
15	نوطنة لكتاب
17	مقدمة الكتاب
19	تنظيم الجهاز الحكومي لعمالي
22	تكوين المخزن
26	إدارة قسطنطية
29	مداخل الولاية
31	الدخوش ..
34	إدارة الولاية
37	القوة العمومية

الفترة الأولى : من 1514 إلى 1647

43	بدايات احتلال قسطنطية من طرف الأتراك
81	القرن السابع عشر

الفترة الثانية : من 1647 إلى 1792

97	فرحات باي
101	محمد بن فرحات باي
103	رجب باي
105	حيدر الدين باي
105	دالي باي
106	ناش آغا باي
107	شعار باي

109	علي خوجة باي
114	أحمد باي بن فرحات
114	إبراهيم باي العليج
117	حمودة باي
117	علي بن حمودة باي
117	حسين شاوش باي
117	عبد الرحمن بن فرحات باي
117	حسين، المدعو دنغزلي باي
118	علي بن صالح
119	كليان حسين باي، المدعو بوكعية
129	حسن باي بن حسين، المدعو بوحنك
134	حسين باي، المدعو زرف عينو
143	أحمد باي بن علي، المدعو القلي
147	صالح باي بن مصطفى
178	إبراهيم باي، المدعو بوحصع

الفترة الثالثة والأخيرة، من 1792 إلى 1837

191	حسين باي بن حسن باي بوحنك
195	مصطفى الوزناحي
198	الحاج مصطفى إنجليز باي
203	عصمان باي
209	عبد الله باي
212	حسين باي
216	علي باي
221	أحمد شاوش، المدعو القبائلي
230	أحمد طوبال

232	نعمان باي
236	احمد تشاكر باي
255	قارة مصطفى باي
257	احمد باي المملوك (للمرة الأولى)
259	احمد باي الميلي
261	براهم باي الغربي
263	أحمد باي المملوك (للمرة الثانية)
271	براهم باي القريشلي
277	احمد باي منماني
285	الحاج أحمد باي، آخر بايات قسنطينة
309	فهرس الأعلام
321	فهرس الفرق والقبائل والشعوب
326	فهرس الأماكن

طبع هذا الكتاب
بمطبعة موقان - البلدية
أكتوبر 2019

هذا الكتاب

توثيقٌ لمرحلة هامة من تاريخ إقليم بابلك الشرق وعاصمته قسنطينة خلال الفترة العثمانية؛ التي استمرت لما يزيد عن ثلاثة قرون، ابتداءً بوصول الإخوة بربروس إلى الجزائر عام 1516 إلى غاية انتهاء حكم العثمانيين بسقوط مدينة قسنطينة في يد الغزاة الفرنسيين يوم الجمعة 13 أكتوبر 1837.

يتضمن الكتاب، في بدايته، تشريعاً لنظام الحكم العثماني في الجزائر؛ المعروف بنظام البايك، وذلك من خلال شرح مختلف أجهزته ومؤسساته الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، وتوضيح العلاقة العضوية التي تربط بينها، ومدى تأثيرها على المجتمع آنذاك. وبعد ذلك، سردٌ دقيقٌ للأحداث التي رافقت دخول الأتراك إلى قسنطينة، والظروف العصيبة التي عرت بها المنطقة إلى حين استقرارهم فيها بشكلٍ نهائي.

ويتعرض الجزء الأكبر من الكتاب إلى سرد سيرة البايات الذين تتابعوا على حكم إقليم قسنطينة باسم السلطنة العثمانية على امتداد حكمها للبلاد.

نظراً لأهمية هذا العمل؛ باعتباره مصدراً من المصادر القيمة لدراسة تاريخ بابلك الشرق بصفة خاصة، وتاريخ الجزائر بشكلٍ عام؛ عكف المؤرخ الأستاذ أحمد ميساوي رحمه الله على ترجمته وتحقيقه، ولكن المنيّة حالت دون أن يرى النور في حياته؛ فأخذت على عاتقي مهمة مراجعته وإخراجه إلى النور؛ لتحقيقاً لمبتغى الفقيد، ووفاءً لذكراه الطيبة، واستكمالاً لسيرته النبيلة.

هارون حمادو

